

الشيخة العماد

قل
رسول افق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكتبة
عربية

قل وقل فقل يا رسول الله

جمع وترتيب
الخاتمة لكتاب الله وأهله الموصلية
صبرية يحيى عموري (أم نصير)

مراجعة
د. ذاكر محمد سعيد الحساوي
والأستاذ حازم شاكر مصطفى

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

اسم الكتاب
قل وقل فقل
يا رسول الله

جمع وترتيب
الشيخة الموصلية
صبرية يحيى حمودي (أم نصير)

عدد الصفحات : ٥١٦ صفحة
حجم الكتاب : ٢٥ x ١٧ سم
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٢٧هـ - ٢٠١٦م

تنسيق طباعي : كرم الفارس

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية (١٦٨٠) لسنة ٢٠١٨م



الوسام

للطباعة والنشر

موصل - شارع النجفي - عمارة الشبخون
موصل - المجموعة الثقافية - الفرع الأول بعد النفق

٠٧٧٠٢٠٤٣٨٨٠ - ٠٧٥٠١٧٤٤٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على نبيه ورسوله المبعوث رحمةً
للعالمين ، وبعد

فهذه كلماتٌ من لسانٍ وقلبٍ ينبضُ بدقاتٍ سريعةٍ ليلبي نداء الله ، ويؤدّي
واجبات كُلف بها : " **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** " وهذا جزءٌ يسيرٌ من العبادة لقوله تعالى :
﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ .

أحمد لله رب العالمين .. أحمدك يا ربَّ حمداً كثيراً كثيراً كثيراً ... لا يليق
أحمد إلا بك يا ربّي ، يا خالقي ولا يُحمدُ غيرك من مخلوقٍ على وجه الأرضِ
سواك .. أحمدك ربي على النعم التي أكرمتني بها والتي لا تعد ولا تحصى ، أحمدك
أن خلقتَ ألقم الذي أمسكته بيدي وأصابعي ، لأكتبَ كلماتك وحروفك القرآنية التي
أنزلتها على حبيبك محمد ﷺ الذي أرسلته إلى الناس كافةً ليكون بشيراً للمؤمنين
العابدين الفائزين بجناتك التي : " **لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبٍ
بشر** " .. ونذيراً لمن عصاك وكفّر بنار جهنم وبئس المصير .

كلماتٌ تصدرُ من أمة الله ، الخادمة لكتاب الله وللإسلام والمسلمين ، تكتب
وهي ترتجف خوفاً من الله ورغبةً في الوصول إلى جنات ربي التي وعدَ بها المتقين
بعد أن ألقاه بوجه طليق إن شاء الله . كلمات تقربني إلى الله وتكشف عن سريري التي
أودعني الله بها ، كلما أكتب وأنجز عملاً أريد وجه الله بهذا أزيد ملامةً لنفسي لأني
مقصرة في عملي ودأبي وعبادتي ، وأذرفُ دموعي وأنا أكتب فتسقط على الورقة لتنال
حظاً معي في هذه الكتابة التي سوف تبقى إن شاء الله مضاءً بالنور الإلهي الذي يسطعُ

علينا ، نور الشمس ونور القمر والنجوم .. وتنور قلوب المؤمنين الذين يقرءون هذا الكتاب وغيره من الكتب التي سهرت الليالي لكتابتها ، راجية عفوه ورضاه عني وعن والدي وأن يدخلهما الجنة كما ربياني صغيراً.

اللهم إن كنت مقصرة بحقك فأرجو عفوك عني وأدعو منك قائلةً : اللهم إنك عفؤ كريم تحب العفوف أعف عني .. اللهم أجعلني من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

الخادمة لكتاب الله

صبرية يحيى حمودي

أم نصير

الأربعاء ١٠ / رمضان / ١٤٣٧ هـ

الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠١٦ م

حروف من نور الإله

هذا الكتاب يحوي الآيات التي بدأت بكلمة ((قل ، فقل ، وقل)) عددها في القرآن الكريم (٣٣٣) كلمة ، أمر الله بها رسوله الكريم قائلاً له :

قل يا محمد .. يا رسول الله

ونحن نقول سمعنا وأطعنا

هذه الكلمة من حرفين فقط :

فالقاف هو الحرف الأول في كلمة ((قل)) التي بَلَّغ الله رسوله بها ، وأمره أن يبلغ الناس بها أمراً ونهيّاً وما أنزل من الآيات والذكر الحكيم .

وهو حرف يخرج من أقصى اللسان لهوي - قريب من اللهاة - صفاته : **الجهر** أي الإعلان ، والشدة ، والاستعلاء ، لأنه أمر من الإله إلى عباده الذين خلقهم وصوّرهم ورزقهم من الطيبات فيجب إطاعته والعمل بأمره المتمثل بـ ((قل)) .

أما حرف **اللام** : مخرجه من بين حافتي اللسان ، وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ومن صفاته :

الجهر أيضاً أي الإعلان ، إعلان ما قاله الله تعالى والأمر بذلك والعمل به ، ثم فيه بينية ، واستفال ، وانفتاح ، واذلاق للناس كافة ، لإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ... وهذه الصفات منسجمة صوتياً مع مراد الله سبحانه وتعالى ... إعلانٌ وجهراً مع اثبات ويسر وانسراح لمن أطاع الله ورسوله ... وفقني الله وإياكم لطاعته والعمل بكتابه الكريم ... كتاب الهدى والنور والاستقامة .

السَّيِّئَةُ الْعَوْرِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن معجزاً ببلاغته كل منظوم ومنثور ، وأطلع في سمائه شهباً مستنيرة البدور ، وأخرج بمعرفة بيانه وتفسيره من الظلمات إلى النور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم المولى ونعم النصير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه : ﴿ تَوْرًا عَلَى نُورٍ ﴾ النور: ٣٥ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ، وكل من بذل جهده في خدمة الله العزيز صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم البعث والنشور .

أما بعد :

فلقد مدح الله تعالى أهل العلم فقال : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ المجادلة: ١١ ، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ : (وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنَّما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافٍ)^(١) .

وقد جاء هذا المدح الإلهي وهذا الثناء النبوي على أهل العلم عامة .

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب فضل العلم ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ٨١/١ ، برقم ٢٢٣ ؛ وأبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، ١٧/٣ ، برقم ٣٦٤١ .

ولا شك في أن أهل القرآن هم أعلى أهل العلم مكانة ، لأن العلوم إنما ينال شرفها ومكانتها من مادتها .

ولما كان كلام الله هو مادة علم التفسير ، فلا شك من أنه من أعظم العلوم وأرفعها مكانة واعلاها قدراً ، لأنه يحوي بين جوانبه كل العلوم الأخرى ، فالمفسر يذكر في تفسيره علوماً كثيرة كالقراءات ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والفقه ، وأصوله وغيرها من العلوم .

ولما كان الاشتغال بتفسير الآيات من أعظم القربات وأفضل الطاعات وخير ما تنفق به نفائس الأوقات وبه تنال أعلى الدرجات وتدرك به الغايات بدخول الجنات وصحبة سيد السادات ﷺ ورؤية رب المخلوقات ﷻ .

فقد عكف عليه المتقدمون والمتأخرون ، حتى تنوعت أساليبهم وتفاسيرهم ، بين المأثور والفقهي والبياني واللغوي وغيرها حتى شهدنا في العصر الحديث التفسير الموضوعي وهو ما يدور حول لفظة قرآنية معينة كما فعلت الشيخة الحاجة صبرية (أم نصير) وفقها الله والتي كتبت عن لفظة (قل .. وقل .. فقل) فجمعت هذه الألفاظ أينما وجدت في كتاب الله ﷻ وراعت فيها الترتيب المصحفي ، وجمعت أقوال المفسرين الكبار المتعلقة بالآيات التي تضمنت لفظة (قل) وكذلك الآيات التي تلتها مما له تعلق بها ، فتناولت أسباب النزول واللغة والنحو والقراءات والتفسير بالمأثور والتفسير البياني .

وقد أجادت في ذلك فأخرجت لنا كتاباً مهماً في التفسير الموضوعي وبأسلوب
سلس سهل خالي من التعقيد ليسهل على طلبة العلم وغيرهم الاستفادة مما سطرته
وكتبته .

أسأل الله لها التوفيق والسداد على ما جرى به قلمها ونطق به لسانها من
الصواب في ختمة كتاب الله تعالى ، وأسأله أن يبارك في عمرها ووقتها وعائلتها لتحفنا
بالمزيد في هذا الميدان وغيره .

د. ذاكر محمد سعيد الحساوي

الجامع للقراءات العشر القرآنية

وإمام جامع الباشا

السَّيِّئَةُ الْعَوْرُطِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ الجمعة: ٢ .

﴿ قُلْ يَتَّيَبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ الأعراف: ١٥٨ .

تَقَدَّمَ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ وَرَقِيَّتْهَا (الْحَضَارَةُ وَالْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ) رَاجِعٌ إِلَى الْمَنْهَجِ
التربوي والعلمي والاجتماعي الذي تسير عليه ، والى نظرتها الشمولية عن الكون
والانسان والحياة ، ودقة تفكيرها ، ولا تتم الا عن طريق التوجه الصائب والتربية
القويمة التي تجعل الانسان ان يكون بمستوى المسؤولية .

والتربية الاسلامية منهج الهي كامل شامل جوانب الحياة ، والتصور الاسلامي
الرباني الصحيح يُشعر الانسان بالاخوة والمحبة والعدالة والتعايش في الاسرة
الواحدة ، ويحقق انتصار النفحة العلوية يعمق انسانية الانسان في الحياة وفي كيانه
وانطلاق الروح الى مصدرها الالهي .

بين التأصيل والمعاصرة يتجلى هدف .. قل .. رسالة اتساق اشتراطات تمكين
الامة ، متوازنة بين الكم المسطور لا ميسرة هي ولا متجاوزة السقف الضروري ، لا
يتحرر فيها الغلو ولا يُقيدها الانغلاق ، لينهض الذوق في الرسالة الكريمة ويعم
الجمال فتستجيب ارواح الصالحين .

رسالة بلسان وقلب ينبض بسم الله يُلبّي نداءه في الطاعة والعبادة ، صوتٌ أكبرُ من الكلمات مدّ على العالم ظلّه ، للدين مشكاةً ، وللمنهجية شُعلة ، تستمدُّ أوصافها من المبادئ التي قامت عليها ، منهجيةٌ عمليةٌ جامعةٌ استندت الى اساليب التبليغ في خصوصيتها ، ومعاني العقيدة في شموليتها ، مضامين المعرفة الاسلامية في موضوعاتها ، خطابها على قدر عقول المُتلقين .

قل...فقل...وقل: تشريف الله تعالى لخاتم انبياءه ورسله ، خطابٌ تكامليٌّ باساسيات ما تقوم عليه عمارة الحياة وعمارة الانسان .

اسلوب طلب لأمر المخاطب...العبرة ليست بخصوص السبب انما بعموم اللفظ...يتداخل ويتماسك بعضه ببعض يتعاقد المعنى والمبنى ، يُحقق المعاني العلوية وهي تعمل في الميدان الذي اختاره لها خالقها الحكيم ، منهج الهي كامل شامل جوانب الحياة ، يحقق انسانية المؤمن وانطلاق الروح الى مصدرها الالهي والتلقي عن الله وحده ، منهج العقيدة .

اربع آيات جاءت مؤكدة لها لتعدل ثلث القرآن ويتضمن عرضَ الخطوط الرئيسية في حقيقة الاسلام الكبيرة ، ففي الرسالة لا حقيقة ولا وجود الا الحقيقة المطلقة-الله سبحانه-ولا وجود الا وجوده وحده .

الرسالة غايةٌ وامنية ، لا اعتزال ، او اهمال ، او كراهية ولا حروب ، فعل حضاري من داخل التاريخ جهاد دائم لترقية البشرية ، تفاعل مع المصدرية الالهية .

حديث الله قل...الى رسوله يبين له مسار الحياة بكل تفاصيلها

- الدنيا والاخرة- لتكون سندا له وقل لأهل الكتاب أخبرهم بأني أنا ربُّ العالمين ، لم تكفرون ، لم تصدّون ، ولا يكتفون بالصدّ عن سبيل الله وابتغاء

الاعوجاج في انفسهم ويسعون الى استدراج المؤمن الى ما هم عليه من ضلال ، الله جل ثناؤه يتحدث لرسوله حديثاً عاماً الى جانب حديث خاص .

وقل اثر قل .. فقل .. تشوّق لمعرفة المزيد وحديث الله يُغني اللغة العربية يُفجّر فيها آفاق المعاني الجديدة ، والكاملة لا تقتصر على المعنى المألوف بل يتجدد بما يُضفي الحديث الالهي اليها والقرآن الكريم مع مرور السنوات وتبقى المعاني السابقة مضافا اليها هذه المكتشفات والمشتقات .

وهذا يمتاز الخطاب الالهي ليقى متجددا ويبقى القارئ يرتقي في درجات تلقي معانيه ، القرون السنوات الاحداث ، المكتشفات ، تحتاج الى مرجعيتها القرآنية كي يتجنب الانسان تحويل نعمة المكتشفات الى نقمة .

هذه المرجعية التي تجعلنا منضبطين في استخدامها وبالتالي منتفعين بها ، ومقدمين من خلالها صور ، وآيات القرآن المشرقة الى العالم ، نُقدّم الى المسلمين بكل ما يتمنون به من روح الانسانية والتسامح والمحبة التي ارساها القرآن الكريم فيهم ويضعنا الحديث الذي يرويه الله تعالى لرسوله ازاء نظام للقيم الانسانية .

معاني.. قل .. فقل .. وقل .. يا محمد تغذية روح التعاطف ، التراحم بين المسلمين ، تمتين عمران المحبة العالي باجمل المعاني الروحية على الطف وادق ما يكون الانسجام ولتفتح المعاني الافاق وتوزع المنافذ وتُعزّز الاركان لمعرفة الله الثمرة الطيبة لاستقرار هذه الحياة ولتحقيق شريعة الله في الافاق وفي كل ركن من اركان الحياة .

دعوة لتداول القرآن ، تخريج مصابحه ، بناء اخوة الايمان-فرديا-اجتماعيا- تقوية بناء الامة-حضاريا-عمرانيا-تُخاطبك الرسالة الان في زمانك هذا وانت المشتاق لاجلاء القلب وتجديد النفس واعدادها لهذا العصر واعادة تشكيلها تربية

وتركية . هذه آمالنا بالفعل لا بالتخمين تنبت البشرية ، قل .. فقل .. وقل .. ترى عجبا كيف يصوغ القرآن المجيد شبكة الروح الممتدة من المجتمع الانساني الى الله رب العالمين ، هذه الرسالة غايتها بيان نهج الاشتغال بكتاب الله ، كيفية اعادة بناء الانفس على توجهاته وعلى وفق مقاييسه الصحيحة هي...آلة استبصار مُستقاة من كتاب الله. الحمد لله اولا واخيرا وبه الثقة ومنه التوفيق وهو المستعان المُعين.

الاستاذ / حازم شاكر مصطفى

ماجستير في اللغة العربية والعلوم الاسلامية

المشرف الاختصاص التربوي

في اللغة العربية والتربية الاسلامية

القول بلا علم / هو كفر صريح

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
 بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ البقرة: ٨٠ - ٨٢

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۗ ﴾ الآية: أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله المدينة ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ ۗ ﴾ إلى قوله: ﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ۗ ﴾ .

وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس: إن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة فإذا انقضت انقطع عنا العذاب فنزلت الآية. [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

قل لهم يا محمد: هل عهد إليكم ربكم ذلك؟ إن كان كما تقولون، فلن يخلف الله وعده أم تقولون على الله شيئاً لا علم لكم به فإن ذلك غير ممكن إلا بوحى يبلغه الرسل، وبدون هذا يكون افتراءً على الله وجرأةً عليه لأنه قول بلا علم فهو كفر صريح.

ليس الأمر كما ذكرتم بل تمسكم النار وتمس غيركم دهرًا طويلًا فكل من أحاطت خطيئته بجوانب إحساسه ووجدانه واسترسل في شهواته وأصبح سجين آثامه فجزاؤه النار خالدًا فيها أبدًا لما اقترف من أسبابها التي استوجبت ذلك العقاب.

والمراد بالسيئة هنا (الشرك بالله) وصاحب الشرك مخلد في النار، وإذا تاب العبد توبة نصوحًا من ذنبه وأقلع من الذنب فلا تحيط به الخطايا.

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِنَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ" ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] " هذا حديث حسن صحيح، [سقل: المراد نظف وصى مرة قلبه لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب]

والذين آمنوا وصدقوا بالله ورسله واليوم الآخر وعملوا صالح الأعمال فادّوا الواجبات وانتهوا عن المعاصي فأولئك جديرون بدخول الجنة جزاء وفاقًا على إخبارهم وإنابتهم إليه وإخلاصهم له في السر والعلن.

وفي هذا دليل على أن دخول الجنة منوط بالإيمان الصحيح والعمل الصالح معًا.... عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك - وفي حديث أبي أسامة (غيرك) - قال: " قل: آمنتُ بالله، فاستقم " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أسامة بن زيد، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ (أي تخرج أمعاءه)، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحَمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟

ألم تكن تأمر بالمعروفِ ، وتنهى عن المنكرِ ؟ فيقولُ : بلى ، قد كنتُ أمر بالمعروفِ ولا آتية ، وأنهى عن المنكرِ وآتية " [صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : أيُّ العملِ أفضلُ ؟ فقال : " إيمانٌ بالله ورسوله " . قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الجهادُ في سبيلِ الله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حجٌّ مبرورٌ " (المبرور : هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية) [صحيح البخاري - كتاب الإيمان / صحيح مسلم]



موقف اليهود من القرآن والأنبياء

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ۗ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ۖ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿٩٣﴾ البقرة: ٩١ - ٩٣

إذا قال الرسول ﷺ لليهود في المدينة ومن حولها: آمنوا بالقرآن الذي أنزله الله تعالى، قالوا: نحن دائبين على الإيمان بما أنزل على أنبياء بني إسرائيل كالتوراة وغيرها.

ويكفرون بما سوى التوراة وهو القرآن الكريم الذي جاء مصدقاً لها وهو الحق من ربهم الذي لا شك فيه، وكيف يكفرون به وهو مؤيد لما في التوراة بالعقل والنقل؟.

قل لهم يا محمد لتكون الحجة عليهم بعد ما اقترفوا فحش المخالفة لما أنزل عليهم والفسوق والفجور بذلك، إن كنتم صادقين فيما أنزل إليكم فلم تقتلون الأنبياء وهو محرّم عليكم قتلهم في دينكم؟؟

إن قتل الأنبياء محرّم عليكم بل فيه شديد العقاب على القتل مطلقاً فما هذا منكم إلا عصيان لكلام الله تعالى لأنه أمركم بتصديقهم وأتباعهم.

إنكم أيها اليهود لا ينفع فيكم وعظ ولا تفيدكم العبر، ولا يثمر فيكم معروف لقد جاءكم موسى بالمعجزات الدالة على صدق دعوته المؤيدة لنبوته : كالعصا التي صارت ثعباناً لقت ما صنعه سحرة فرعون ، واليد التي أخرجها من جيبه وصارت بيضاء من غير سوء ، وقلق البحر حين تبعكم فرعون وقومه ثم اتخذتم العجل إلهاً بمجرد غيبته عنكم لمناجاة ربه، وأعرضتم عن عبادة الله بعدوانكم وظلمكم لأنكم تعلمون إنه لا يقدر على هذه المعجزات إلا الإله الواحد، القاهر فوق عباده.

واذكروا أيها اليهود إذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور، وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اسمع طاعة وامثال فقلتم استهزاءً سمعنا قولك، وعصينا أمرك، ثم شغفتم حباً بعبادة العجل الذي صنعه لكم موسى السامريّ ونسيتم آلاء الله عليكم فإذا كان هذا الإيمان الذي تدعونه، فبئس الإيمان المقترن بهذه السيئات إذ لو كنتم مؤمنين حقاً لتركتم هذه القبائح.



إن كانت الدار الآخرة لكم؟؟

﴿قُلْ﴾ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ أَلَّيْنِ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ البقرة: ٩٤ - ٩٦

أخرج ابن جرير عن أبي العالية ، قال : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ الآية ، فلم يفعلوا . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

كان اليهود يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ويقولون : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة وهي أربعون يوماً مدة عبادتهم العجل ، ويزعمون أنهم أولياء الله من دون الناس ... فأراد الله أن يفضحهم ويكشف سوءاتهم فأمر رسوله محمداً أن يقول لهم : إن كانت الجنة التي في الدار الآخرة خاصة بكم دون سائر الناس كما زعمتم . فالوصول إليها هين وسهل ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، فإن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة الدنيا ، لما يصير إليه من نعيم الجنة ، ويزول عنه من أقدار الدنيا وشقائها . ولكنهم لن يتمنوا الموت أبداً خوفاً لكفرهم وقبح

أعمالهم الظالمة وتحريف التوراة... ولتجدنهم يا محمد أحرص الناس على الحياة الدنيا، ومن الذين أشركوا فريق يكفر عناداً واستكباراً مع أنه يعرف ما يؤول إليه أمره يوم القيامة من العذاب الدائم ، وهذا الفريق يود لو يعمر ألف سنة على ان تعميره في الدنيا وإن طال لا يبعده من العذاب لأن مصيره إلى الموت لا محالة والله مطلع على ما يعمل هؤلاء الكفار .. فيجازيهم عليه يوم القيامة.



من كان عدواً لجبريل فإنه عدو الله !!

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾
 وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
 أَوْكَلَمَا عَلَّهُدُوا عَهْدًا تَبَدُّهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ البقرة: ٩٧ - ١٠٠

أخرج أحمد والنسائي ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنبأتنا بهنّ ، عرفنا أنك نبي واتبعتناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه ، إذ قالوا : الله على ما نقول وكيل ، قال : " هاتوا " قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ، قال : " تنام عيناه ، ولا ينام قلبه " قالوا : أخبرنا كيف تؤنّث المرأة ، وكيف تُذكر ؟ قال : " يلتقي الماءان ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكّرت ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت " قالوا : أخبرنا ما حرّم إسرائيل على نفسه ؟ قال : " كان يشتهي عرق النّسا ، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا - قال أبي : " قال بعضهم : يعني الإبل - فحرّم لحومها " ، قالوا : صدقت ، قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : " ملكٌ من ملائكة الله ﷻ موكّلٌ بالسحاب بيده - أو في يده - مخراقٌ من نارٍ ، يزجرُ به السحاب ، يسوقه حيث أمر الله " قالوا : فما هذا

الصوت الذي نسمع؟ قال: "صوته" قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: "جبريل عليه السلام"، قالوا: جبريل الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ إلى آخر الآية.

فالمولى جلّ وعلا يبلغ رسوله محمداً أن يقول لليهود: من كان عدواً لجبريل فليمت غيضاً وكمداً، فإن جبريل هو الذي ينزل بالقرآن على قلبك وهو موطن الحفظ والفهم بأمر الله وتيسيره، ومصداقاً لما سبقه من الكتب السماوية وهدى من الضلال وبشرى للمؤمنين بالجنة يوم القيامة.

الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أخرج اسحق بن راهويه في مسنده وابن جرير من طريق الشعبي، عن عمر رضي الله عنه: "أنه كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن قال: فمر بهم النبي ﷺ فقلت: نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال عالمهم: نعم نعلم انه رسول الله، قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بالنبوة فقال عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك. قلت: فمن رسلكم من الملائكة قالوا ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة، قلت: كيف منزلتهما من ربهما. قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر من الجانب الآخر. قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسلم عدو جبريل وإني أشهد أنهما ورهبا أسلم لمن سالموا وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي ﷺ وأنا أريد أن أخبره فلما لقيته، قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت عليّ، فقلت: بلى يا رسول الله فقرأ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾

حتى بلغ ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ قلت يا رسول الله : والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم فوجدت الله قد سبقني " وإسناده صحيح إلى الشعبي، وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأخرجه ابن جرير من طريق السدي. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وقال ابن عباس : أن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن سوريا ، حاج النبي فسأله عن أشياء فلما اتجهت الحجة عليه قال : أي ملك يأتيك من السماء ؟ قال : " جبريل " قال : ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمننا بك ، إن جبريل نزل بالعذاب والقتال والشدة فإنه عادانا مراراً كثيرة وكان أشد ذلك علينا : أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدي رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بختنصر ليقته ، فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليس له قوة فأخذه صاحبنا فدفع عنه جبريل ، وقال لصاحبنا : إن كان ربكم أذن في هلاككم فلا تسلط عليه ، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله ؟ فصدقه صاحبنا ورجع إلينا وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً ، فأنزل الله هذه الآية. وقال مقاتل : قالت اليهود كان جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

من كان عدواً لله بمخالفة أوامره وعدواً للمقربين إليه من الملائكة والرسول وعدواً لجبريل وميكائيل فإنه كافر مستحق سخط الله وعقابه، وإنما كانت معاداة جبريل تشمل عدواة ميكائيل مع أنهم لم يعلنوها .. لأن عدواة أحدهما عدواة للآخر فكلاهما من الملائكة المقربين.

عن ابن عباسٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ صُورِيَا الْفَطِيُونِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ فَتَتَّبِعَكَ بِهَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ومن عادات اليهود أنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم وقد عاهدوا الرسول ﷺ على أن لا يعاونوا المشركين عليه ثم نكثوا عهدهم واستخفوا بما عاهدوا، فهو دأبهم وإن أكثرهم على هذا الحال لأن ديدنهم هذا وعاداتهم في كل وقت وحين.



زعم اليهود وأمانيتهم

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ
 أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾
 بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَى شَيْءٍ
 وَقَالَتِ النَّصْرِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ البقرة: ١١١ - ١١٣

قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود ، وقالت النصارى كذلك ،
 وزعم كل فريق أن دخول الجنة محصور فيهم وهي أمانى باطلة لا دليل على صحتها
 فأمر الله رسوله أن يطلب منهم الدليل والبرهان على قولهم إن كانوا صادقين .
 وردّ الله عليهم بأن من أخلص لله نفسه وعبادته ولم يشرك بالله وهو محسن في
 جميع أعماله فله ثوابها عند ربه لا يضيع ولا ينقص ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران ، وذلك : أن وفد نجران لما قَدِموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود ، فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقالت اليهود : ما أنتم على شيء من الدين ، فكفروا بعبسى والإنجيل وقالت النصارى : ما أنتم على شيء من الدين ، فكفروا بموسى والتوراة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] كذلك قال المشركون عبدة الأصنام مثل قولهم في إنكار الأديان كلها وبطلان ما يخالف عقيدتهم ، فالله يحكم بين هذه الطوائف الثلاث فيما اختلفوا فيه يوم القيامة .



من عرف الحق فالله وليه وناصره

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِي وَلَا
 الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
 نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ
 يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠ - ١٢١

قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ﴾ قال المفسرون : إنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ، ويطمعونه أنهم إذا هادتهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال ابن عباس : هذا في القبلة ، ذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم ، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم فيئسوا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

الملة هي الطريقة المشروعة للعباد وسُميت ملة لأن الأنبياء أملوها وكتبوها لأمتهم، وتسمى ديناً لأن العباد انقادوا لمن سنّها، وتسمى شريعة لأنها مورد للمتعطشين إلى ثواب الله ورحمته .

وقد كان النبي ﷺ يرجو أن يبادر أهل الكتاب إلى الإيمان به ولكنهم لم يفعلوا ولم يجيبوا دعوته مع العلم إن أصل الدين واحد من توحيد الله ﷻ وتقويم ما اعوجج من الفطرة الإنسانية بما طرأ عليها من تقاليد وحضارات فاسدة.

فكانت هذه الآية تبيِّنًا للنبي ﷺ من احتمال إسلامهم وإبطال زعمهم أن ملتهم هي الهدى دون غيرها.

فردَّ الله تعالى عليهم بأن ما أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هؤلاء فهم الذين خرجوا من أصول الدين العام بالإضافة إلى التبديل والتحريف وزرع الفرقة بين منهج الأنبياء فيما أنزله الله تعالى. ولئن اتبعت أهواءهم وما أضافوه إلى دينهم وجعلوه أصلاً من أصول شريعتهم بعد ما حصل لك من اليقين والطمأنينة بالوحي الإلهي الذي نزل عليك ومنه علمت إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويل وإنهم نسوا حظاً مما ذكروا به.

﴿ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي فالله لا ينصرك ولا يساعدك على ذلك إذ أن أتباع الهوى لا يكون طريقاً موثقاً إلى الهدى وإذا لم ينصرك الله ويتولَّ شؤونك فمن ذا الذي ينصرك من بعده؟

وهذا الإنذار كان موجهاً إلى النبي ﷺ الذي عصمه الله من الزيغ والزلل وأيده بالكرامة، هو في الحقيقة خطاب للناس كافة في شخص النبي ﷺ.

فمن عرف الحق فالله وليه وناصره لا يخاف في تأييده لوم اللاتئمين ولا إنكار المعاندين.



صبغة الله (شريعته وسنته وفطرته)

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِمَامًا إِنْ كُنَّا نَدْعُو إِلَّا نُدْعُوهُ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَخِي لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُلِيَاءَ قُلْ إِيَّاكُمْ يَدْعُوا أَنفُسَكُمْ وَأَسْمَاءَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهْتَدُوا وَإِن لَّوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ فَسَيْكِفِكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة: ١٣٥ - ١٣٨

قوله: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ۗ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابتنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابتنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا، فلا دين إلا ذلك، ودعوهم إلى دينهم. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

ثم أمر الله تعالى بإتباع جميع الأنبياء دون تفریق بين أحد منهم ونصدق بذلك تصديقاً.

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم " الآية . رواه البخاري في الصحيح عن بندار [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الشهادات]

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الأنبياء وتبرأت النصارى من محمد عليه الصلاة والسلام وأقرت بغيره بل تشهد ان الجميع بعثوا بالحق والهدى.

ونحن له مسلمون خاضعون له بالطاعة مدعنون له بالعبودية وذلك هو الإيمان الصحيح، فإن آمنوا بمثل إيمانكم الصحيح أي بما انزل الله على النبيين والمرسلين وتركوا ادعاءهم الباطلة فقد اهدوا إلى الحق والصواب كما اهديتهم.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي إذا عرضوا عمّا تدعوهم إليه من الرجوع إلى أصل الدين وفرقوا بين الرسل فصدّقوا بعضاً وكذبوا بعضاً فسيكفيكمهم الله إيذاءهم ومكرهم وينصرك عليهم.

وقد أنجز الله وعده للنبي وللمؤمنين، فقتل وسبى بني قريظة ونفى بني النضير إلى الشام وضرب الجزية على نصارى نجران. وهو سميع لما يقولون بألسنتهم من الدعوة إلى الكفر والضلال عليهم بما يبتغون لك من العداوة والبغضاء والحسد.

قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ قال ابن عباس : إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد ، فأتى عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم يقال له

المعمودي ليظهوره بذلك ويقولون : هذا ظهور مكان الختان فإذا فعلوا صار نصرانياً حقاً فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ﴾ أي صبغنا الله وفطرنا على الاستعداد للحق بما جاء به الأنبياء والمرسلون ولا تتبع آراء الرؤساء وأهواء الزعماء وتقاليدهم الوضعية.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَةً﴾ لا أحد أحسن من صبغة الله فإنه هو الذي يصبغ عباده بالإيمان ويظهرهم من أدران الكفر وينجيهم من الشرك أما ما أضاف الأخبار والرهبان من أهل الكتاب إلى الدين فهو من الصبغة البشرية والصنعة الإنسانية التي تجعل الدين الواحد مذاهب متفرقة والأمة شيعاً متنافرة.

ونحن لا نعبد سواه ولا نتخذ الأخبار والرهبان أرباباً يزيدون في ديننا وينقصون ويحللون ويحرمون حسب أهوائهم.

فصبغة الله هي الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وهو دين الإسلام لا الصبغة التي تصبغ بها أبناؤهم وهي غمسهم في ماء اصفر يتطهرون به وهي كالختان لغيرهم. وليس هناك صبغة أحسن من صبغة الله لأنها صبغة الإسلام وعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد.



الشبهات تعترض سبيل الحق

﴿ **قُلْ** أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى **قُلْ** إِنَّمَا أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ البقرة: ١٣٩ - ١٤٠

كان أهل الكتاب يقولون : الأنبياء كلهم منا ، لم تكن الأنبياء من العرب ، فلو كان محمداً نبياً لكان منا ، فأمر الله رسوله أن يقول لهم : أتجادلوننا في أمر الله واصطفائه نبياً من العرب دونكم ، وهو ربنا وربكم ولا يختص بقوم دون قوم ، ويصطفي من عباده للرسالة من يشاء ولنا أعمالنا نجازي بها ولكم أعمالكم تجازون بها ، فلم تنكروا علينا أن يكرمنا الله باختيار نبي منا ؟ ولم تستبعدون أن يكون في أعمالنا ما يستحق الإكرام ، فتكون النبوة فينا ؟ ولم تكون أعمالكم لا تستحق شيئاً عند الله فحرمكم إياها ؟ إننا نحن مخلصون لله في الدين والعمل فنحن أجدر منكم بأن يكون الرسول منا .

يقول اليهود والنصارى : إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب كانوا يهوداً أو نصارى ؟ ويغالطون مغالطة تاريخية لا تصدر من عاقل مع أن الله يقول : ما كان

إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، ويقول :
يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ؟ أفلا
تعقلون. أأنتم أعلم أم الله ؟ إنه لا أحد أظلم ممن أخفى شهادة من الله مدونة عنده في
الكتاب الذي بين يديه ، فمن أخفى شهادة الله لإبراهيم في أنه ليس يهودياً ولا نصرانياً
ليس ببعيد أن يكتتم شهادة الله في محمد وكتاهما صريحتان في كتب أهل الكتاب ، وما
الله بغافل عما يعملون فسوف يعاقبهم أشد العقاب.



الاعتراض على تحويل القبلة

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زَرَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِن لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٤

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، قال : " كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ، ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله : ﴿ قَدْ زَرَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ ، فتوجه نحو الكعبة " ، وقال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ﴿ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ فصلَّى مع النبي ﷺ رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد : أنه صلى

مع رسول الله ﷺ ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف (مال) القوم ، حتى توجهوا نحو الكعبة . [صحيح البخاري - كتاب الصلاة]

فُرضت الصلاة على المسلمين بمكة ليلة الإسراء قبل الهجرة النبوية بنحو سنة ونصف ، وكان النبي ﷺ وهو بمكة يستقبل الصخرة التي في المسجد الأقصى بيت المقدس في الصلاة . كما كان أنبياء بني إسرائيل قبله يفعلون ذلك ولكنه كان يحب استقبال الكعبة ويتمنى لو حوّل الله القبلة إليها ومن ثم كان يجمع بين استقبالها واستقبال الصخرة فيصلي جهة جنوب الكعبة مستقبلاً الشمال .

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمروا أن يستقبلوا بيت المقدس تألفاً لليهود الذين كانوا كثيرين بالمدينة ومن حولها ، وكان رسول الله ﷺ وصحابته يتحرقون شوقاً إلى الاتجاه نحو الكعبة ، لما لها عندهم وعند آبائهم وأجدادهم من قبلهم من المكانة والقداسة ، ولأنها بيت الله الذي أقامه جدّهم إبراهيم مع ابنه إسماعيل ، فكان النبي ﷺ يرفع بصره إلى السماء ينتظر أمر الله على لسان الوحي بالتحول إلى الكعبة ولا سيما بعد أن كثر لفظ اليهود بقولهم : ان محمداً يتبع قبلتنا ويخالف ديننا ، فنزل الوحي يأمر الله رسوله أن يتجه المسلمون في صلاتهم نحو الكعبة ، وتقول الكفار والمنافقون واليهود الذين يتتهزون كل فرصة للطعن في الإسلام ، فاتخذوا من هذا التحول وسيلة للنيل من الرسول فقالوا : إن محمداً في حيرة من أمره لا يدري أين يتجه في صلاته ؟ بل لقد ارتد لهذا السبب عن الإسلام جماعة من ضعاف الإيمان .

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ / أي الجهال من المنافقين واليهود ممن خفت أحلامهم وطاشت عقولهم ولجوا في العناد وأعرضوا عن النظر إلى الحكمة في تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة : ما الذي حوّل المسلمين في صلاتهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟

فقل لهم يا محمد : إنّ الله سبحانه وتعالى لا يختص به مكان دون آخر والكون كله ملك له ، يأمر عباده بالتوجه في الصلاة إلى أي جهة شاء ، ولا اعتراض على حكمه . وإنما يجعل الله تعالى للناس قبلة لتكون جامعة لهم في عبادتهم .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وكما هديناكم يا أمة محمد إلى الصراط المستقيم وجعلنا قبلكم بيت الله الذي أقامه إبراهيم عليه السلام جعلناكم خياراً عدولاً لتكونوا شهداء على الأمم الذين من قبلكم ويكون الرسول شاهداً عليكم بأن بلغكم رسالته ، وما جعلنا القبلة إلى بيت المقدس إلا على سبيل الاختبار أي المؤمنين يتبع رسوله فيما يأمره الله . وأيهم يشكك في الدين فيتأثر بكلام الكفار . وليتميز الثابت على دين الإسلام ممن ينكص على عقبيه ولم يتغلغل الإيمان إلى أعماق قلوبهم فارتدوا عن الإسلام .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي : كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ قد ماتوا على القبلة الأولى ، منهم أسعد بن زرارة ، وأمارة أحد بني النجار والبراء بن معرور أحد بني سلمة ، وأناس آخرون جاءت عشائهم فقالوا : يا رسول الله توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى ، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا ؟ فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ ، ثم قال : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : " وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود " إلى غيرها وكان يريد الكعبة ، لأنها قبلة إبراهيم ، فقال له جبريل : إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئاً ، فسل ربك أن يحولك عنها إلى قبلة إبراهيم . ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله فأنزل الله هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ... وما كان الله ليضيع ثواب صلاة من نحو القبلة الأولى وهي بيت المقدس قبل التحول ، إنّ الله رءوف بالناس كثير الرحمة بعباده .

إننا يا رسول الله نرى اهتمامك بشأن التوجه إلى الكعبة ورفع بصرك إلى السماء انتظاراً إلى إجابتك ما تحب من تحويل القبلة نحو الكعبة وتشوقك إلى إصدار أمرنا فلنحولنك إلى القبلة التي تحبها وتشتاق إليها... فاستقبل في صلاتك الكعبة. وأينما يكن المسلمون فليولوا وجوههم نحوها. وإن اليهود والنصارى يعلمون هذا التحول هو الحق الذي فرضه الله على إبراهيم وذريته من عباده ويعلمون أنك لا تأمر بالباطل وإنك النبي المبشّر به في كتبهم.. وما الله بغافل عما يعملون من تدبير وكيد.



الشهور القمرية

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١٨٩

عن ابن عباس: " قوله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ قَالَ نَزَلَتْ فِي مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَتَعَلْبَةَ بْنِ عَنَمَةَ ، وَهُمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَأْسُ الْهَلَالِ يَبْدُو - أَوْ يَطْلُعُ - دَقِيقًا مِثْلَ الْخَيْطِ ، ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَعْظُمَ وَيَسْتَوِي وَيَسْتَدِيرُ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ وَيَدْقُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ ، لَا يَكُونُ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ ؟ . فَنَزَلَتْ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ فِي حِلِّ دِينِهِمْ ، وَلِصَوْمِهِمْ ، وَلِفِطْرِهِمْ ، وَعِدَّةِ نِسَائِهِمْ ، وَالشُّرُوطِ الَّتِي بَيْنَهُمْ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ " [معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني] مُبَيَّنَةٌ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي زِيَادَةِ الْقَمَرِ وَنَقْصَانِهِ وَظُهُورِهِ وَأَسْتِخْفَاءِهِ كُلِّ شَهْرٍ فَإِنَّ فِي هَذَا التَّغْيِيرِ الْكُونِي فَوَائِدٌ لِلنَّاسِ فِي دِنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ ، لِأَنَّ الْهَلَالَ لَوْ بَقِيَ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ مَا حَصَلَ التَّوْقِيتُ لِأَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا مِنْ أَوْضَاعِهِ الْمَخْتَلِفَةِ أَوْقَاتًا يَحْدُدُونَ بِهَا الْأَجَالَ فِي الدِّيُونِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَيُقَدِّرُونَ عَلَى حَسَبِهَا الْأَعْمَالَ وَيَعْرِفُونَ مَوَاقِيتَ الصُّومِ وَالْفِطْرِ وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ وَمَدَّةَ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وكان من عادة الأنصار إذا أحرموا بالحج أو العمرة يلتزمون ألا يحول بينهم وبين السماء حائل، وحرّموا على أنفسهم أن يأتوا بستاناً أو بيتاً أو داراً من الباب ، فإن كان أحدهم من أهل المُدُن ويتخذون البيوت مساكن لهم ، نَقَبَ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ نَقْبًا

يخرج منه ويدخل أو ينصب سلماً يصعد به داخل البيت وخارجه وإن كان من أهل الوبر أي ممن يسكنون الخيمة خرج من خلف الخيمة وكان لا يجوز لأحد منهم أن يدخل ويخرج من الباب حتى يؤدي المناسك ويتحلل من الإحرام وكانوا يعدون ذلك براً وخيراً وعبادة تُقرّبهم إلى الله. وحافظ الأنصار على هذه العادة زمن الجاهلية وفي بدء الإسلام وكان بعض قبائل العرب يطلق عليها: (الحُمس) وهي التي لا تأخذ بهذه العادة. ومنها قريش وكنانة وخزاعة وثقيف، ولم ينكر ﷺ عليهم ذلك، عن الزُّهري قال: ".... بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَهَلَ زَمَانَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِالْعُمْرَةِ، فَدَخَلَ حُجْرَةً، فَدَخَلَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي أَحْمَسُ" قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَتِ الْحُمُسُ لَا يُبَالُونَ ذَلِكَ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: وَأَنَا أَحْمَسُ، يَقُولُ: وَأَنَا عَلَى دِينِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿وَلَيْسَ إِلَهِ يَبْتِغَى ثَأْمًا أَلْبِئُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]، ونبه الله على هذه العادة ليس فيها شيء من البر والخير ولا معنى للتمسك بها وبقائها، وإنما البرّ الحقّ والخير المحض وهو العمل الصالح مقرونًا بتقوى الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وارتقاب ثوابه وخوف عقابه. فعليكم أن تراقبوه وتقصدوا بأعمالكم وجهه راجين منه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.



الإنفاق في سبيل الله

﴿ سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^ط وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ البقرة: ٢١٥

قال ابن جرير: " سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم؟ فنزلت:

﴿ سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ ﴿ فذلك النفقة في التطوع، والزكاة سوى ذلك كله " [جامع البيان في تفسير القرآن

للطبري]

وقد بين الله سبحانه وتعالى ما يجب على الموسر من فعل الخير، بإنفاق المال

على الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهذا من المال الحلال لأن

الطاعة لا يمكن أن يكون أساسها معصية الله أو حراماً.

وكلما تُنفقوا من وجوه الخير والبرّ تزدادون ثواباً وأجرًا عند الله، وأن المال

المقصود في هذه الآية هو ليس مال الزكاة فإنه حق معلوم ونصيب مقرر في مال

الإنسان، خرج من ملكه، وعدم إخراجه وإعطائه تعطيل ركن من أركان الدين يعاقب

عليه في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الآية بيان وقوع الإنفاق لكسب ثواب الله :-

أ- الوالدان أولاً : فإن الإنسان مهما أحاطهما بصنوف البر وأغدق عليهما من الخير فلن يوفيها حقهما.

ب- الأقربون بتفضيل الأقرب فالأقرب.

ج- اليتامى : ومعلوم أن البر بهم يخفف من لوعتهم ويزيل وحشتهم ويُجبر ما تصدع من قلوبهم لأنهم فقدوا رعاية الأب.

د- المساكين : وهم الذين لا يجدون ما ينفقون وما أبرّ أن يُعين القادر مسكيناً على الحياة فيسُدّ جوعه ويكسيه ويُشعره بإنسانيته، وهذه ما توثق رباط المودة والمحبة بين المسلمين، وتربط برباط المودة.

هـ- ابن السبيل : وهو المسافر المنقطع عن ماله في طلب علم أو سعي لرزق وحيل بينه وبين حصوله على ماله أو عجز عن كسب الرزق فباب الخير مفتوح لمعونته حتى يتحقق التكافل والتراحم بين أبناء الأسرة الإنسانية الكبرى، إنَّ الله يعلم كل العلم كيف اكتسبتمُ المال وكيف أنفقتموه وهو الذي يثيبكم على قدرٍ ما أنفقتم وعلى حسب ما قصدتم.



القتال في الأشهر الحرم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن
 سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ
 اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن
 دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ
 كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
 هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة: ٢١٧ - ٢١٨

عن الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى هَبَطُوا نَخْلَةَ ،
 فَوَجَدُوا بِهَا عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي عِيرِ تِجَارَةٍ لِقْرِيشٍ فِي يَوْمِ بَقِي مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ،
 فَاخْتَصَمَ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : هَذِهِ عُرَّةٌ مِنْ عَدُوٍّ ، وَغَنَمٌ رَزَقْتُمُوهُ ، وَلَا نَدْرِي
 أَمِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ هَذَا الْيَوْمِ أَمْ لَا ، وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : لَا نَعْلَمُ الْيَوْمَ إِلَّا مِنَ الشَّهْرِ
 الْحَرَامِ ، وَلَا نَرَى أَنْ تَسْتَحِلُّوهُ لِطَمَعِ أَشْفِيئْتُمْ عَلَيْهِ ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ
 عَرَضَ الدُّنْيَا ، فَشَدُّوا عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ وَغَنِمُوا عَيْرَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كِفَارَ قْرِيشٍ ،

وكان ابنُ الحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ ، فَرَكِبَ وَفَدَّ كِفَارِ قَرِيشٍ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَقَالُوا : أَتَحِلُّ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ " [دلائل النبوة للبيهقي]

يَسْأَلُ كِفَارِ قَرِيشٍ يَا مُحَمَّدَ عَنِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ فِي قِتَالٍ يَحْصُلُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بِقِتْلِ الْحَضْرَمِيِّ فِيهِ فَقُلْ لَهُمْ : حَقًّا إِنْ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَلَكِنِّكُمْ تَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا وَأَنْتُمْ وَقَعَ مِنْكُمْ مَنَكَرَاتٌ أَشَدُّ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، مِنْ صَدِّكُمْ النَّاسَ عَنِ دِينِ اللَّهِ ، وَكُفْرِكُمْ بِهِ وَمَنْعِكُمْ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْهُ وَهُوَ وَطَنُهُمْ وَهُمْ أَهْلُهُ ، كَمَا فَعَلْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ حِينَمَا أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَحِينَمَا مَنَعْتُمُوهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَلَيْسَ هَذَا مِنْكُمْ أَكْبَرَ جَرْمًا وَأَعْظَمَ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ وَإِنَّ بَقَاءَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ وَمَنْعِهِمْ عَنْهُ لَفِتْنَةٌ أَكْبَرُ وَزُرًّا وَأَعْظَمُ إِثْمًا مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ .

وَاللَّهُ يَحْذَرُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ السُّكُوتَ عَنِ الْكُفْرِ وَبِنَبْهَكُمْ عَلَى إِنْهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى قِتَالِكُمْ مَتَى سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ أَوْ فِي غَيْرِهَا لِيُرَدَّوْكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَعِيدُوْكُمْ إِلَى الشِّرْكِ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا لِأَنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي نَفْسِكُمْ وَالَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَرْجِعُونَ كِفَارًا سَيُعْطَلِ اللَّهُ كُلَّ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَعْمَلُونَ مَعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ سَفْكَ دِمَائِهِمْ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ يَقِيمُونَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ الَّذِينَ يَطْمَعُونَ فِي رَحْمَتِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَ إِيْمَانِهِمْ وَهَجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ، وَلَنْ يُوَافِقَهُمْ بِخَطَأِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَاللَّهُ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ عَمِيمُ الرَّحْمَةِ بَعْبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ .

حكم الخمر والقمار وبيان مضارهما

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾

﴿ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ البقرة: ٢١٩

الخمرُ من المفاسد التي إذا اعتادها إنسان تحكمت في إرادته وملكته عليه هواه، وشق عليه أن يتركها وقد سلك الله في تحريمها التدرج حتى لا تشعر النفوس بمشقة المنع، فانزل الله فيها أربع آيات أولها:

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل: ٦٧ ، وعن أبي ميسرة ، قال : قال عمرُ : " اللهم بين لنا في الخمرِ بيانًا شافيًا ، قال : فنزلت الآية التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، قال : فدعني عمرُ فقُرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمرِ بيانًا شافيًا ، فنزلت الآية التي في النساء : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، قال : وكان مُنادي النبي ﷺ يُنادي إذا حضرت الصلاة : لا يقربن الصلاة السكران ، قال : فدعني عمرُ فقُرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمرِ بيانًا شافيًا ، قال فنزلت الآية التي في المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ۚ ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ قال عمرُ : انتهينا انتهينا " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، وحرمت الخمر وصارت من الكبائر.

والميسر كان شائعاً بين العرب وهو يطلق على كل أنواع القمار .
وكل متبصّر يعلم أنّ كثيراً من المفاسد الشائعة، والأموال الضائعة والأسر
المنحلّة والأخلاق المرذولة، والأعراض المسلوّبة، يرجع إلى الخمر والقمار ولَمَّا
جاء الإسلام كان حريصاً أن يوقّي أبناءه شرور المفاسد فحرمها تحريماً قاطعاً.



أوجه إنفاق المال

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠﴾

في آيات سابقة بين الله تعالى وجوه إنفاق المال وذكر أنها للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، بعد سؤال المؤمنين رسول الله ﷺ ولكنهم يسألون عن المقدار الذي ينفقونه في جهات الخير، فأجابهم الرسول الكريم بأمر من ربه قائلاً: إن ما تنفقون من أموالكم هو العفو، وهو القدر الزائد عما يحتاج إليه الإنسان لنفقته ونفقة عياله وكان الرجل من أصحاب الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا كان له مال من ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع قدر ما يكفيه وعياله لنفقة سنة فأمسكه وتصدق بسائره وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وعياله يوماً وتصدق بالباقي، وكان بعض المسلمين يبالح فينزل عن كل ما يملك تصدقاً على الناس وتقرباً إلى الله ولكن النبي لم يقر هؤلاء على المغالاة في الصدقات إلى هذه الحد.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل بيضة من ذهب، فقال: يا رسول الله، أصبت هذه من معدن، فخذها فهي صدقة، ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن، فقال: مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه، فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها، فلو أصابته لأوجعته، أو

لَعَقَرْتَهُ ، فقال رسول الله ﷺ : " يأتي أحدكم بما يملك ، فيقول : هذه صدقة ، ثم يقعدُ
يَسْتَكِفُّ الناس ، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى " [سنن أبي داود- كتاب الزكاة]

إن مثل هذا البيان الواضح للإجابة عما سألتهم أيها المسلمون والنظام المحكم
الدقيق الذي يضمن لكم الخير في الدارين.

يبين الله لكم آياته ويهديكم سبيله لتفكروا فيما هو خير لكم في الدنيا والآخرة.
فتحبسوا أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقوا الباقي فيما ينفعكم عند الله في
الآخرة.



الولاية على مال اليتيم

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ البقرة: ٢٢٠

عن ابن عباسٍ ، قال : " لما نَزَلَتْ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ انطلق مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ ، فجعل يَفْضُلُ الشَّيْءُ مِنْ طَعَامِهِ ، فَيَحْبِسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ . فاشتدَّ ذلكَ عليهم ، فذكرُوا ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فأنزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ فَخَالَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ويبين الله ما يجب عليهم لليتامى لينالوا به الخير وهو أن يكون المقصود من مخالطتهم ومعاشتهم هو الإصلاح لهم ، فلقد أباح الله للأوصياء أن يخلطوا نفقاتهم بنفقة اليتيم بشرط ألا يغبنوهم ولا يظلموهم ، لأنه من العسير تحديد ما يأكله اليتيم كما أنه من الشاق عزل طعامه وشرايه ، فإن هذا يوحش نفسه ولهذا يبين الله ما يجب أن يراعيه الأوصياء في شأن اليتامى ، وهو أن يراعوا مصالحهم وأن يعتبروهم إخواناً لهم تربط بينهم أخوة الدين وهي أقوى من أخوة الصهر والنسب ، وليست رعاية مصالح اليتامى مقصورة على التصرف في أموالهم فقط ولكنها مبسوطة على الإشراف

على تعليمهم وتربيتهم والمحافظة على صحتهم وصيانة أخلاقهم وثمار أموالهم وتنميتها في خير الوجوه وأن يشعروهم بالأخوة والمودة والرحمة ويظهروا اهتمامهم فيهم حتى لا تستوحش نفوسهم ولا تتصدع قلوبهم باليتم وأراد الله التيسير عليكم بمخالطة اليتامى ولو أراد لضيق عليكم وكلفكم المشقة فأثمكم بمخالطتهم.

ومفهوم الآية أن الله أباح للأوصياء أن يخلطوا من أموال اليتامى بأموالهم ما يصعب عليهم تحديده كثمن الطعام والشراب ويقبل تقديرهم في ذلك على حسب مستوى المعيشة والحياة التي يعيش فيها اليتيم ، أما التصرفات التي جرت العادة بالتوثق فيها فعلى الأوصياء أن يقدموا عليها البيانات الخاصة بها.



أحكام الحيض

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣) البقرة: ٢٢٢ - ٢٢٣

يجبُ على الرجل ألا يباشر أمرأته إذا كانت حائضاً حتى ينقطع الحيض وتطهر، أي تغتسل منه، وتنظف جميع جسمها، لأن ذلك ما يؤذي الرجل والمرأة إذا حصلت المباشرة فيه فإذا تطهرت المرأة واغتسلت بعد انقطاع الحيض، فقد حلّ لزوجها أن يباشرها كما أمر الله، أي بعد انقطاع الحيض وبعد الطهر.

والله سبحانه وتعالى يحب عباده الذين يتوبون من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزّهين عن المعاصي والأقذار ولما نزل قوله تعالى: ﴿ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال، فأخرجوهنّ من البيوت، عن أنسٍ: أنّ اليهود كانوا لا يجلسون مع الحائض في البيت ولا يأكلون ولا يشربون، قال فذكر ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: " اصنعوا كلّ شيءٍ إلا الجماع " [سنن ابن ماجه - كتاب الطهارة وستنها]

عن مجاهد قال : عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه فأسأله عنها ، حتى انتهى إلى هذه الآية : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ فقال ابن عباس : إن هذا الحي من قريش كانوا يتزوجون النساء ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ، فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار ، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة ، فأنكرن ذلك ، وقلن : هذا الشيء لم تكن نؤتى عليه ، فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ قال : إن شئت مقبلة وإن شئت مدبرة ، وإن شئت باركة ، وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث ، يقول : أتت الحرث حيث شئت . [رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه]

النساء حرث للرجال ، يلقون فيهن بأصل النسل ، ويزرعون فيهن الولد ، وقد حلّ لرجالهن أن يباشروهن في موضع النسل وفي مسلك الولد ويستمتعن بهن كيف شاءوا وفي أي حال أرادوا ما داموا لا يشذون في الاستمتاع ولا يخالفون ما أحلّ الله في الجماع ، وعليكم أيها الرجال أن تقدموا لأنفسكم الأعمال الصالحة لتجدوها أمامكم عند الله يوم القيامة واعلموا إنكم ستلاقون وجهه ليحاسبكم على ما فعلتم من خيرٍ أو شرٍ ، فبشر يا محمد أتباعك المؤمنين الذين امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه بما أعدّ لهم من الكرامة في دار النعيم .



ستغلبون أيها اليهود في الدنيا وتحشرون في جهنم يوم القيامة

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَعَثَىٰ قَتَلْتُمُوهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ آل عمران: ١٢ - ١٣ ﴾

عن ابن عباس، قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: "يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً"، قالوا: يا محمد، لا يعزتك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أعماراً، لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلاً، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَعَثَىٰ قَتَلْتُمُوهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ببدر ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [سنن أبي داود - كتاب الخراج والإمارة والفية]، ثم أخبرهم أنهم سيغلبون في الدنيا وسيجمعون يوم القيامة ويساقون إلى جهنم وقد أعددت فراشاً لهم بسوء أعمالهم وبئس الفعل فعلهم الذي أدخلهم النار... وقل لهم أيضاً: إن من الأدلة على صدق ما أقول من أنكم ستغلبون في الدنيا وتحشرون إلى جهنم في الآخرة، ما وقع تحت بصركم بين المسلمين وبين مشركي قريش وقد كان المسلمون يقاتلون في طاعة الله وعلى دين الله.

وكان الكافرون من قريش يحاربون في سبيل الشيطان وعلى الكفر وكان عدد
المشركين نحو ضعفي عدد المسلمين، ومع ذلك فقد اقتضت مشيئة الله أن يتوهم
المشركون أن المسلمين أكثر منهم ليُلقي الله في قلوبهم الرعب .. وقد رأيتم أن الله نَصَرَ
المسلمين على قلة عددهم والله يقوي نصره من يشاء ويُعينهم.



خير من حب الدنيا

﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقٰنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٥ - ١٧

قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ : ١٤ ، فمن المُرِيئُ للشهوات ؟ قيل هو الشيطان ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمٰلَهُمْ ﴾ النمل: ٢٤ ، وتزيين الشيطان وسوسته وتحسينه الميل إليها ، وقيل المُرِيئُ هو الله تعالى ويدل عليه : ﴿ اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلٰى الْاَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبُوْهُرٍ اِيَّاهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٧ وتزيين الله للابتلاء ليظهر عبد الشهوة من عبد المولى ، وهو ظاهر قول عمر : ((اللهم لا صبر لنا على ما زينت لنا إلا بك)) .

إن الذين زُيِّن لهم حب الشهوات من الحياة الدنيا ، قل لهم يا محمد : هل أعلمكم بخير من ذلك ؟؟ ثم أخبرهم انه هناك جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، لا يدخلها إلا المتقون وهذه الجنات فيها مُتَع كثيرة خير من مُتَع الدنيا وأزواج مطهرات من كل أذى يعترى النساء في الدنيا كالحيض والنفاس وغيرها .

ورضا الله الذي لا يظفر به إلا من يعمل عملاً صالحاً يستحق عليه دخول الجنة، والله الذي أعد للمتقين هذا كله يعرف من يخافه من عباده ويطيعه ويعرف من يفضل ما عنده على ما زين للناس في الدنيا ومن يؤثر ما زين للناس في الدنيا على ما أعد الله في الآخرة.. ويجازي كلاً على حسب عمله في الآخرة.

وهؤلاء المتقون يقولون : يا ربنا إننا آمننا بك وصدقنا بنبيك وسمعنا وأطعنا فاعفُ عنا، وتجاوز عن سيئاتنا، ونجنا من عذاب النار.
وهؤلاء المتقون هم :

الصابرون / الذين يصبرون عن الشهوات، ويصبرون في البأساء والضراء وحين البأس.

والصادقون / الذين صدقوا في قولهم وفي فعلهم بالعمل بالأوامر واجتناب النواهي.

والقانتون / المطيعون الذين لا يترددون ولا يتلكنون.

والمنفقون / الذين يؤدون زكاة أموالهم في الحدود التي رسمها الله وينفقون شيئاً منها في وجوه الإنفاق التي بينها الله.

والمستغفرون / في أوقات السحر بالصلاة والدعاء تخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الاستجابة ... والنفس أصفى ... والروح أجمع ... والعبادة أشق ، فكانت أقرب إلى القبول ، قال ابن كثير : " كان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فإذا قال نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح "

الإسلام دين الحق

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ^ط وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُ ^ط فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ^ط وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلْغُ ^ط وَاللَّهُ بِصِيرِ ^ط بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ آل عمران: ٢٠

كان النبي ﷺ يدعو اليهود في المدينة إلى ترك ما أحدثوه في دينهم وتعوده من التحريف والتأويل والرجوع إلى حقيقة الدين وإسلام الوجه لله والإخلاص له ، ولكن لا فائدة من الجدل مع مثل هؤلاء لأنهم مكابرون ومعاندون.

يقول الله سبحانه وتعالى للنبي : فإن جادلك أهل الكتاب أو غيرهم بعد أن أقمت لهم البراهين والبيئات وجئتهم بالحق .. فقل لهم : أقبلت بعبادتي على ربي مخلصاً له معرضاً عما سواه أنا ومن اتبعني من المؤمنين.

وقل للذين أتوا الكتاب أي اليهود والنصارى ومشركي العرب ، وخص هؤلاء بالذكر مع أن البعثة عامة لأنهم هم الذين خوطبوا أولاً بالدعوة : أسلمتم كما أسلمت بعد أن وضحت لكم الحجة وجاءكم من البيئات ما يوجب ويقتضيه ، أم تُصرون على الكفر والعناد؟؟ فإن أسلموا هذا الإسلام الذي هو روح الدين فقد فازوا بالحظ الأوفر ونجوا من الضلال ، لأن المسلم لله مستنير القلب متجه إلى طلب الحق، وإن تولوا وأعرضوا عن الإسلام فلن يصيبك ضرر إنما أنت مبلغ ما أنزل الله من الحق وقد أديته على أكمل وجه.

والله بصير بعباده .. فهو أعلم بمن طمس قلبه وجعل على بصره غشاوة فوقع في اليأس ولم يرجى له الهداية والتوفيق.

الله مالك الملك

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ

الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ

مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران: ٢٦ - ٢٧

((من دلائل قدرة الله تعالى))

قال ابن عباس وأنس ابن مالك : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، ووعد أمته مُلْكَ فارس والروم ، قالت المنافقون واليهود : هيهات ، هيهات من أين لمحمد مُلْكُ فارس والروم ؟ هم أعز وأمنع من ذلك ، ألم يكفِ محمداً مكة والمدينة حتى طَمَعَ في مُلْكِ فارس والروم فأنزل الله تعالى هذه الآية : ٢٦ آل عمران . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

خطب رسول الله ﷺ على الخندق يوم الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً ، قال عمرو بن عوف : كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا أدركنا تحت ذوناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة ، كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا : يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن تعدل عنها وإما أن يأمرنا فيها بأمره ، فإننا لا نحب أن نتجاوز خطه ، قال : فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال : يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت

حديدا وشقت علينا فمرنا فيه بأمر ، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك ، قال : فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضربها ضربة فصدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيتها ، يعني المدينة حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح فكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرهما فبرق منها برق أضواء ما بين لابتيتها حتى كأن مصباح في جوف بيت مظلم وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون وأخذ يد سلمان ورقى ، فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط ؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال : " رأيت ما يقول سلمان " قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : " ضربت ضربتين الأولى فبرق الذي رأيتم ، أضواءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ﷺ أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم ، أضواءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ﷺ أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل ﷺ أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا "

فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله ، موعد صدق ، وعدنا النصر بعد الحفر ، فقال المنافقون : ألا تعجبون ؟ يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا ، قال : فنزل القرآن ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الأحزاب: ١٢ وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عن قتادة ، وذكّر لنا " أن نبيّ ﷺ سأل ربّه جلّ ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى : ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

هذه الأدلة على عظمة الله تعالى فهو مالك الملك وهو المعطي والمانع ويؤتي الملك والنبوة من يشاء من عباده كآل إبراهيم . قال تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٥٤ .

ومن دلائل قدرته سبحانه وتعالى : أنه يدخل الليل في النهار كلاً منهما في الآخر فيزيد منهما وينقص ، ويده الأمر والكون في قبضته والسموات والأرض مطويات بيمينه ، وهو سبحانه يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي حياة مادية واضحة كإخراج النبات الرطب من الحب اليابس وعلى العكس حياة معنوية ملحوظة كإخراج العالم من الجاهل والجاهل من العالم والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

ومن أدلة قدرته انه يرزق جميع المخلوقات في الدنيا والآخرة ويرزق من يشاء بغير حساب ولا رقيب ولا تعب ولا مشقة ، فله سبحانه وتعالى خزائن السموات والأرض التي لا تنفذ ولا تغيض ولا تفنى ولا تنقص ... ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وهو الخالق لكل شيء .

تنبيه / في الاقتصار على ذكر الخير (بيدك الخير) دون ذكر الشر تعليم لنا الأدب مع الله ، فالشر لا يُنسب إلى الله تعالى أديباً وإن كان منه ، خُلِقاً وتقديراً لله ﷻ : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ النساء : ٧٨



الله عالمٌ بخفايا الأمور

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) آل عمران: ٢٩ - ٣٠

سبق هذه الآية قوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كان الحجاج بن عمرو وكهمس بن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباططتهم لا يفتنوكم فأبى أولئك النفر إلا مباططتهم وملازمتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال الكلبي: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالآخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم، وقال جبير عن الضحاك عن ابن عباس: نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري وكان بدرياً نقيباً وكان له حلفاء من اليهود، فلما خرج النبي يوم الأحزاب قال عبادة: يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قل لهم يا رسول الله : إن الله يعلم ما يُخفيه الناس في صدورهم أو يظهره،
والله يعلم أيضاً جميع ما يحدث في السموات والأرض ومن ذلك الميل إلى الأعداء
أو البعد عنهم والله تام القدرة على كل شيء .

ويوم القيامة يجد الإنسان أمامه كل عمل من خير أو شر، أما الخير فيفرح به
ويسرّ له لأنه سيُثاب عليه وأما الشر فيودُّ أن يباعد الله بينه وبينه وألّا يعاقبه عليه ،
فعقاب الله أليم ومع ذلك فهو رءوف رحيم .. ولولا رأفته وحبه الخير للناس كافة لما
نهاهم وحذّرهم، ومحبة العبد لربه بطاعته وأتباع أوامره .



الطاعة والمحبة لله ورسوله

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْكَافِرِينَ ﴾ ٣٢ - ٣١ آل عمران: ٣٢ - ٣١

يزعم بعض الناس أنهم يحبون الله ورسوله ولكنهم لا يتبعون شيئاً من أوامر الله ورسوله. فمن ركائز المحبة إظهار الطاعة والانقياد للأوامر الإلهية... قال الإمام الشافعي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كنت تظهر حبه لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وتكررت أوامر القرآن الكريم بالطاعة فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الأنفال: ٢٠، وبيخ الله سبحانه وتعالى الذين يدعون محبة الله ورسوله ويعصون أوامرها كما في الآيات المتقدمة.

وقد ذكر العلماء عدة أسباب لنزول هذه الآية: حيث قال ابن عباس: وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها الشنوف (أي حلي الأذان) وهم يسجدون لها فقال: "يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام"، فقالت قريش: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله، ليقربونا إلى الله زلفى، فأنزل الله

تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه : ﴿ فَأَتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم ، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عن بكر بن الأسود ، قال : سمعتُ الحسن ، يقول : " قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَحِبُّ رَبَّنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فجعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وقال ابن عباس أيضاً : إن اليهود لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أنزل الله تعالى هذه الآية ، فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ على اليهود فأبوا أن يقبلوها . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

محبة العبد لربه تكون بطاعته وأتباع أوامره واجتناب نواهيه ، ومحبة الله لعبده تكون بتوفيقه وهدايته والمغفرة له والتجاوز عن ذنبه الذي يتوب عنه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جَبْرِيْلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جَبْرِيْلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبِغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ " [صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب]

فالذي يحب الله يجب عليه أن يطيع نبيه فيحبه الله ويغفر له ذنبه ... وإذا دُعي الناس إلى طاعة الله وطاعة الرسول فلم يطيعوا وبقوا على كفرهم ، فإن الله لا يرضى فعلهم ، ولا يغفر لهم .

آية المباهلة الابتهاال إلى الله

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

وَأبنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ

اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ آل عمران: ٦١

إنَّ شأن عيسى عليه السلام شأن آدم ، خلقه من تراب من غير أب ولا أم ، وخلق عيسى من غير أب ثم قال : (كن فيكون) أنشأه بشراً بنفخ الروح فيه .. فهذا هو الحق من ربك .

فمن جادلك يا نبي الله من بعد ما جاءك من العلم الذي أرسله الله إليك في كيفية خلق آدم وعيسى ، فقل لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل وندعو وليدع كل منا ومنكم للمباهلة والدعاء فأبوا .

عن حذيفة بن اليمان ، قال : جاء العاقبُ والسَّيِّدُ ، صاحِبَا نجرانِ ، إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِنَاهُ (الملاعنة: أن يحلف الخصمان ويجعلا لعنة الله على الكاذب منهما) ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فَلَا عَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ ، وَلَا عَقِبُنَا (ما يتركه الإنسان من ذرية من الابناء والاحفاد) من بعدنا ، قالا : إِنَّا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال " لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ " ، فاستشرفَ له أصحابُ رسولِ الله ﷺ فقال : " قم يا أبا عبيدةَ بنِ الجراحِ " فلما قام ، قال رسول الله ﷺ : " هذا أمينُ هذه الأمةِ " [صحيح البخاري - كتاب مغازي]

واخرج أبو نعيم في الدلائل ، عن جابر قال : " قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْعَاقِبُ وَالطَّيِّبُ ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَا : أَسْلَمْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَكَ ، قَالَ : " كَذِبْتُمَا ، إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُمَا مَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ " قَالُوا : فَهَاتِ أُنْبِئْنَا . قَالَ : " حُبُّ الصَّلِيبِ ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْخَنْزِيرِ " قَالَ جَابِرٌ : فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمَلَاعِنَةِ فَوَاعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُغَادِيَاهُ بِالْغَدَاةِ فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يَجِيبَاهُ وَأَقْرَأَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ فَعَلَا لِأَمْرِ الْوَادِي عَلَيْهِمَا نَارًا " ، قَالَ جَابِرٌ : فِيهِمْ نَزَلَتْ : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ ، وَ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، وَ﴿ نِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وأخرج ابن عساکر عن جعفر عن أبيه انه لما نزلت هذه الآية جاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وأمر أن يدعو المحتاجين والمجادلين في شأن عيسى من أهل الكتاب والاجتماع كان رجالاً ونساءً وأطفالاً ويتهل إلى الله بأن يلعن الكاذب فيما يقول من أمر عيسى ﷺ .



جميع الأمم على ملة التوحيد

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران: ٦٤

كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام واستشهد فيه بالآية الكريمة التي فيها إخلاص الدعوة لعبادة الله وحده ، ونص الكتاب كما ورد في صحيح مسلم - كتاب البر والصلة : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله " الأريسيين : أي الفلاحين والخدم ، وقيل هم أتباع آريوس الذي قال بأن المسيح هو مخلوق وليس ياله وقد اضطهد أتباع آريوس واعتبرت تعاليمه خروجاً عن القانون الكنسي .

يأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لليهود والنصارى : تعالوا إلى كلمة عادلة نتبعها جميعاً ، لا يختلف فيها كتاب من الكتب المنزلة عن غيره ، بل نجد الدعوة إليها واضحة في التوراة والإنجيل والقرآن جميعاً وتلك الكلمة العادلة تنحصر في إننا نعترف بوحدانية الله سبحانه وتعالى فلا نقول : عزيز ابن الله . ولا نقول : المسيح ابن الله . ولا نشرك معه أحداً غيره في الألوهية ولا يدين بعضنا لبعض بالتعظيم لغير الله ،

ولا في تحليل ولا تحريم على ما يشتهون. وإذا لم يستمع هؤلاء لنصحك ولم يستجيبوا لدعوتك فقل لهم أنت ومن معك من المؤمنين : اشهدوا علينا بأننا مسلمون حقاً، منقادون لله، نعبده وحده مخلصين له الدين.. وأما أنتم فليستم هكذا.

التزم النبي ﷺ بالكلمة السواء هذه وكتب بها إلى هرقل عظيم الروم وإلى غيره من أمراء وملوك العالم، ودعا بها أهل الكتاب في الجزيرة العربية، وكذلك ينبغي أن يُدعى بها أهل الكتاب إلى يوم القيامة.



التلاعب بالدين

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ

أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ آل عمران: ٧٣ - ٧٤

سجّل القرآن الكريم مواقف لأهل الكتاب كثيرة ومتعصبة وهي : أن يهود خيبر أرادوا خديعة المسلمين وهي أن يؤمنوا بمحمد أول النهار ويكفرون آخره. فإن سُئِلُوا عن السبب قالوا : آمنا حتى إذا رجعنا إلى التوراة والإنجيل عرفنا أنه ليس النبي المبشر في التوراة ، وقالوا أيضاً لأتباعهم لا تظهروا سركم إلا لمن تبع دينكم.

فردّ الله عليهم إن الله هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى الإيمان بما ينزل على رسوله من الآيات البينات ، فالهداية من الله وتوفيقه ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويختص برحمته من يشاء والله دائم الفضل العظيم.

اللهم أدم فضلك علينا وارحمنا برحمتك واهدنا إلى دين الحق وإلى الطريق المستقيم... متأسين ومقتدين بنبيك محمد ﷺ حيث كان يتهجّد بالليل يدعو الله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: " اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهنّ ، ولك الحمد لك

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلِكِ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلِكِ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلِكِ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، ... " [صحيح البخاري - كتاب الجمعة]



السَّيِّئَةُ لِلْعَوَامِلِ

الإيمان بجميع الأنبياء

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

آل عمران: ٨٤ - ٨٥

أخرج سعيد بن منصور، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ الآية قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَجَّ الْبَيْتِ " فقالوا: لم يكتب علينا وأبوا أن يحجّوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

قل يا محمد أنت وأمتك: نحن آمننا بالله الواحد الأحد وما أنزل علينا في القرآن الذي هو مصدر المعرفة الثابت الشامل لجميع الشرائع والأحكام. وآمنا بما أنزل على الأنبياء السابقين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل وما أوتي النبيون الآخرون من ربهم كداود وسليمان عليهم السلام. مما لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى.

نحن مؤمنين بالله رباً وإلهاً ونؤمن بكل الأنبياء إيماناً لا نفرق فيه بين أحد منهم بل نؤمن بالكل .. على أن كل واحد نبيّ مُرسل من الله لأُمته يهديها إلى سواء السبيل ولا نفعل كما يفعل غير المسلمين من الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض

الآخر، ونحن له مسلمون منقادون... ومن يتبع ديناً غير الإسلام وهو دين جميع الأنبياء والذي ارتضاه لعباده، فلن يُقبل منه قطعاً وهو في الآخرة من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ولم يذكروها بالإسلام الشامل.

روى الإمام أحمد، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: " يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مُفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهونَ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظهرِ آدم أن لا تُشركَ بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشركَ "

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ، يقولُ الله سبحانه: " الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، مَنْ نازعني واحداً منهما، ألقيتهُ في جهنمَ " [سنن ابن ماجه - كتاب الزهد]



إدعاء تحريم ما لم يحرمه الله

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ۗ فَلِئَلَّا تُتَّوَعَّتْ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ آل عمران: ٩٣ - ٩٤

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قال أبو روق والكلبي: نزلت حين قال النبي ﷺ " إنا على ملة إبراهيم " فقال اليهود: كيف وأنتم تأكلون لحوم الإبل وألبانها؟ قال النبي ﷺ: " كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نُحِلُّهُ " ، فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه ، فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأنزل الله ﷻ تكذيباً لهم ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قصة إسرائيل ولحم الإبل:

كان يعقوب بن إبراهيم عليهما السلام وهو الملقب بإسرائيل (أي الأمير المجاهد مع الله) قد أُصِيبَ بوجع (عرق النَّسَا) وطال سقمه واشتد عليه فحلف إن شفاؤه الله لِيُحَرِّمَنَّ عَلَى نَفْسِهِ كُلَّ عَرَقٍ ، و لِيُحَرِّمَنَّ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الْأَطْعَمَةِ إِلَيْهِ وَهِيَ لَحْمُ الْإِبِلِ وَ لِيُحَرِّمَنَّ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الْأَشْرَبَةِ إِلَيْهِ وَهِيَ لَبَنُ الْإِبِلِ فَحَرَّمَ وَلَدُ يَعْقُوبَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَا حَرَّمَهُ أَبُوهُمْ عَلَى نَفْسِهِ .

إنّ جميع الأطعمة كانت حلالاً لبني يعقوب عليه السلام ، فلمّا حرّم يعقوب على نفسه لحوم الإبل وألبانها تبعه ولده في تحريمها على أنفسهم ، وزعموا أنّ تحريمها عليهم نزل في التوراة فأحالهم النبي صلى الله عليه وآله على التوراة ليأتوا بموضع التحريم فيها إن كانوا صادقين فيما يزعمون .

والذين يكذبون على الله بعد أن ثبت أن التوراة ليس فيها تحريم كما يزعمون تحريمه ، هم المكابرون والمعاندون فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بسبب كفرهم .



صَدَقَ اللَّهُ ... مَكَانَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩٥

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ٩٦

آل عمران: ٩٥ - ٩٦

جميع الأطعمة كانت حلالاً لبني يعقوب عليهم السلام فلما حرّم يعقوب على نفسه لحوم الإبل والبانها تبعه أولاده في تحريمهما على أنفسهم، وثبت في التوراة انه ليس فيها تحريم لما يزعمون تحريمه .. فقل لهم يا محمد : ان الله صادق فيما أخبر به من أن الطعام كله كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من غير أن يحرم الله عليه، فيجب أن تتبعوا ملة إبراهيم الحنيفة السمحة الحقّة التي تتفق مع دين الإسلام ولا تتفق مع ما عليه الآن اليهود ولا النصارى ولا المشركون.

قال أهل الكتاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله : كيف تدّعي أنك على ملة إبراهيم وأنتك أولى الناس به وإبراهيم واسحق والأنبياء بعدهم كانوا يعظّمون بيت المقدس ويصلّون إليه، فلو كنت على ما كانوا العظّمته ولما تحوّلت إلى الكعبة فخالفت الجميع.

قال مجاهد : تفاخر المسلمون واليهود ، فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة ؛ لأنه مهاجر الأنبياء - أي مواضع الهجرة - وفي الأرض المقدّسة ، وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل . فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

دلّت هاتان الآيتان على مكانة البيت الحرام وما تميّز به من مميزات ، أولها :
 إنه أقدم بيت وضع للعبادة، والأولية في الزمان تستلزم الأولية في الشرف والمكانة بناه
 إبراهيم وإسماعيل كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾
 البقرة: ١٢٧ ، ثم بُني المسجد الأقصى بعد ذلك بعشرات السنين .

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه ، قال : قلتُ يا رسولَ الله ، أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أولٌ ؟
 قالَ : " المسجدُ الحرامُ " قالَ : قلتُ : ثم أيُّ ؟ قالَ " المسجدُ الأقصى " قلتُ : كم
 كان بينهما ؟ قالَ : " أربعون سنةً ، ثم أينما أدركتكَ الصلاةُ بعدُ فصلِّه ، فإنَّ الفضلَ
 فيه " [صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء]

والميزة الثالثة : إنه موطن هداية للناس ، حيث دعي العالمون إليه فأجابوا ..
 ويتجهون إليه في أدعيتهم وصلواتهم ، وتهوي أفئدتهم على انه مصدر هداية النفوس
 التي تحجه وتعتمر فيه .

والميزة الرابعة : فيه آيات واضحات لا تخفى على أحد منها : مقام إبراهيم
 للصلاة والعبادة، وفيه صخرة فيها أثر قدمه الشريف، ومن دخل البيت الحرام كان
 آمناً على نفسه مطمئناً على ماله حتى ولو كان مطلوباً للثأر وذلك معروف عند
 العرب في الجاهلية والإسلام، أما ما وقع فيه من مخالفات أو اقتتال فذلك جناية
 عظيمة من العصاة والجهلاء، وفيه الحجر الأسود المعروف مبدأ الطواف حول
 الكعبة، وفيه ماء زمزم المبارك النافع لما شرب له .

والميزة الخامسة : إنه مكان الحج والعمرة ... وحج البيت فرض على
 المستطيع وهو ركن من أركان الدين، والاستطاعة نوعان : بدنية ومالية فلا يجب إلا
 على من تمكن من الركوب وأمن الطريق وقدر على السفر، ومن جحد هذه المزايا

وكفر بها ولم يمثّل أمر الله في الحجّ وغيره فإن الله غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية.

وأهم ميزة للبيت الحرام انه سبب وحدة المسلمين في أنحاء العالم لاتجاههم إليه في صلاتهم وانه موضع أمن وسلام لمن دخله.

من هدي رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة قال : سمعتُ النبي ﷺ : " من حجّ فلم يرفُثْ ، ولم يفسُقْ رجَعَ كيوم ولدته أمُّه " [صحيح البخاري - كتاب الحج]

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أن رسولَ الله ﷺ قال : " العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما ، والحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلا الجنةُ " [صحيح البخاري / صحيح مسلم - كتاب الحج]



عتاب لأهل الكتاب عن عدم إيمانهم بالقرآن

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ۗ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩) آل عمران: ٩٨ - ٩٩

عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شاس بن قيس ، وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه . فعَظَمَهُ ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم وذكرهم يوم بُعَاثٍ وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . وكان يوم بُعَاثٍ يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا حتى تَوَأَّبَ رجلان من الحيين على الركب أوس بن قِيظِي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها الآن جَدَعَةَ ، وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة - والظاهرة : الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من

المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : " يا معشرَ المسلمين ، الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفرِ وألفَ به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً " فعرف القوم أنها نزعَةٌ من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري].



النهي عن اتخاذ الأعداء بطانة

﴿ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا
 ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ **قُلْ** مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ **إِن** اللَّهُ
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ **إِن** تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ وَإِن تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ
 يَفْرَحُوا بِهَا **وَإِن** تَصْرَبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا **إِن** اللَّهُ بِمَا
 يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ **آل عمران: ١١٩ - ١٢٠**

جاء في الآية (١١٨) من سورة آل عمران نهي المؤمنين من اتخاذ بطانة لأنفسهم - أي أولياء وأصفياء من أهل دين غير دينهم ويؤثرونهم على إخوانهم المسلمين بالمودة والصدقة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ بطانة الرجل : خاصته الذين يستنبطون أمره ، مأخوذ من بطانة الثوب للوجه الذي يلي البدن ويسمى الوجه الظاهر ظهاره وهي تستعمل للواحد والجمع مذكراً ومؤنثاً.

هؤلاء الناس يتمنون أن يضرروكم وأن يسوءوكم ولا يسروكم وإن صدورهم وقلوبهم تخفي من الحقد عليكم والكره لكم ، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى منهم بقوله: ﴿ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ أي إنكم توادونهم وتواصلونهم ولكنهم لا يحبونكم ويتمنون لكم الشر والضرر مع أنكم آمنتم بالكتب السماوية كلها ومنها كتابهم ، فكان يجب أن يقدروا ذلك ولكنهم يُظهرون المودة والمحبة ويبطنون الفساد

وعدم الإيمان بوحداية الله تعالى ، وإذا افترقوا عنكم وخلا بعضهم ببعض بعيداً عنكم
عظوا أطراف أصابعهم غيظاً منكم وكرهاً لكم.

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ إن تنالوا خيراً
بتعاونكم وانتصاركم أو دخول الناس في دينكم أو تصيبكم نعمة .. يحزنهم ذلك
ويؤلمهم ويشعل نار الحقد في قلوبهم ، وإن لحقكم ضرر في أي أمر من الأمور ..
يسرهم ذلك وينعشهم ، ولكن المسلمين إن صبروا على ما أصابهم واتقوا الله في كل ما
يعملون وأخذوا حذرهم من أعدائهم فإن كيدهم لا يضركم شيئاً والله بما تعملون
عالم ومحيط بأعمالهم.



إن الأمر كله لله

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ
 وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ
 يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ **قُلْ** إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي
 أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا
 هَهُنَا **قُلْ** لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
 مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ آل عمران: ١٥٤

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ الآية: روى الترمذي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: " رفعت رأسي يوم أُحدٍ فجعلتُ أنظرُ، وما منهم أحدٌ يومئذٍ إلاَّ ويميدُ (يتحرك ويضطرب) تحت جَنَاحَتِهِ (الجحفة: الترس وهو الدرع المصنوع من الجلود القوية) من النعاس " فذلك قول الله عز وجل: الآية، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج ابن راهويه عن الزبير رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يوم أُحدٍ حين اشتد علينا الخوف وأرسل الله علينا النوم فما منا أحدٌ إلاَّ ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فحفظتها منه، فأنزل الله

ذلك : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .
[لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

حينما همّت قريش بالعودة إلى مكة بعد أحد ، واعدوا النبي ﷺ على أنهم سيلقونه على بدر في العام المقبل ، كان المسلمون إذ ذاك فريقين : فريقاً مؤمناً خالص الإيمان أنزل الله السكينة على قلبه وأخذه النوم ، حتى لكان الرجل منهم يسقط سيفه من يده ، فلا يحس أنه سقط ، وفريقاً منافقاً لم يطمئن قلبه بالإيمان ، فلا هم له إلا نفسه ، هؤلاء طار النوم من أعينهم فظنوا بالله الظنون الكاذبة والآثمة التي تشبه ظنون أهل الجاهلية المشركين المكذبين فلا يصدقون إن الله ناصر نبيه ، وأخذ بيده ويقفون أذلاء ، يقولون : ليس لنا من الأمر من شيء لأنه لو كان لنا من الأمر شيء لما قتلنا المشركون هنا ، فأمر النبي بعد أن عرفه الله على نيتهم أن يقول لهم : إن الأمر كله لله ولو أن الأمر بيدنا ، ما خرجنا لنلقى مصارعنا ، ولو أنكم بقيتم في بيوتكم لخرج الذين قدر الله عليهم أن يقتلوا إلى مصارعهم حيث يصرعون إن الله عليم بالنيات من خير وشر ، وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

عن أبي هريرة ، قال : قيل للنبي ﷺ : ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ ؟ قال : " لا تستطيعونه " ، قال : فأعادوا عليه مرتين ، أو ثلاثا كل ذلك يقول : " لا تستطيعونه " ، وقال في الثالثة : " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتّر من صيام ، ولا صلاة ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " [صحيح مسلم - كتاب الإمارة]

عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : " يا أبا سعيد ، من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة " ، فعجب لها أبو سعيد ، فقال : أعدها عليّ يا رسول الله ، ففعل ، ثم قال : " وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض " ، قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله " [صحيح مسلم - كتاب الإمارة]

الأخذ بالأسباب وتصحيح الأخطاء

﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانَ فَيَاذِنِ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنِتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

صَدَقِينَ ﴿١٦٨﴾ آل عمران: ١٦٥ - ١٦٨

﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ الآية روى الإمام أحمد ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لما كان يوم بدر ، قال : نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيّف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مديديه وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : " اللهم أين ما وعدتني ؟ اللهم أنجز ما وعدتني ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تبعد في الأرض أبداً " قال : فما زال يستغيث ربه صلى الله عليه وسلم ، ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأثاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّه ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله ، كذاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ،

وأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُدْكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ الأنفال: ٩ ، فلما كان يومئذ ، والتقوا فهزم الله ﷻ المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله ﷻ أبا بكر وعلياً وعمر فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ، فقال رسول الله ﷻ : " ما ترى يا ابن الخطاب ؟ " قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكيني من فلان - قريبا لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صنائدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوي رسول الله ﷻ ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما أن كان من الغد ، قال عمر غدوتُ إلى النبي ﷺ ، فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان ، فقلتُ : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ، قال : فقال النبي ﷺ : " الذي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاءِ ، لقد عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ " - لشجرة قريبة - وأنزل الله ﷻ : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَن يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الأنفال: ٦٧ إلى قوله ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ الأنفال: ٦٨ من الفداء ، ثم أُحِلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمُ ، فلما كان يوم أحدٍ من العام المقبل ، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷻ ، وكسرت رَبَاعِيَّتُهُ ، وَهَشِمَتِ الْبَيْضَةُ (الخوذة التي يغطي بها المحارب رأسه) على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وأنزل الله تعالى : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدَّ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ بأخذكم الفداء. الحديث رجاله رجال الصحيح وقد عزاه ابن كثير والسيوطي لابن أبي حاتم. [أسباب النزول للحافظ الممتقن]

ترشد هذه الآيات الكريمة أهل الإيمان والحق إلى معرفة أسباب الهزيمة في أحد من خلال هذا العتاب الإلهي ، فإذا كنتم أيها المؤمنون هُزمتُم في معركة أحد وقتل منكم سبعون ، فقد هزمتُم المشركين في معركة بدر وقتلتم من المشركين سبعين وأسرتُم سبعين ، إن هزيمتكم في أحد كنتم أنتم سببها كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ علمًا إن الله قادر على نصركم ولكنه أراد أن يعلمكم من دروس الهزيمة لتتجنبوا الأخطاء في المعارك الأخرى ، وما أصابكم يوم التقى الجيشان جيش المسلمين وجيش المشركين فباذن الله وبإرادته وتقديره لأن كل شيء في الوجود خاضع لإرادة الله وحكمته .

لقد حدثت الهزيمة في معركة أحد ليُعَلِّمَ إيمان المؤمنين ويُعَلِّمَ نفاق الذين نافقوا ، لأنهم إذا قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله فما كان منهم إلا أن قعدوا وتكاسلوا قائلين للمؤمنين : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وسرنا معكم ، ولكننا نعلم أنكم لا تقاتلون ، هم يومئذٍ للكفر أقرب منهم للإيمان فإن من يقعد عن الجهاد في سبيل الله ليس من المؤمنين .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥

إن المتخلفين يوم أحد عن الجهاد تظاهروا بالإيمان بأفواههم فقط ولم يؤمنوا بالإسلام فهم المنافقون، وكان يظنون أن الموت والهلاك بسبب الذهاب إلى ساحات القتال إنهم جبناء ، فلو أن أجل الموت جاءهم في السلم ، وهم في بيوتهم ، هل يستطيعون أن يدفَعوا الموت عن أنفسهم ؟ لا . فهم أينما وجدوا يدركهم الموت ولو كانوا في بروج مشيدة .

من مفتريات اليهود

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا
بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي
قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾

آل عمران: ١٨٣ - ١٨٤

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا ﴾ قال الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوه، وفي فنحاص بن عازورا وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا، وأنزل عليك كتابا وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار. فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

من مفتريات اليهود التي سمعها الله وأخبر عنها، قول من يقولون: إن الله أوصانا إلا نصدق رسولا فيما يقول إلا إذا جاء بقربان يقربه إلى الله فإذا أكلت النار ذلك القربان صدقناه، فأمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم: قد جاء من قبل رسل لهم الأدلة القاطعة على صدقهم ومنها القرابين التي أكلتها النار ولكنكم مع ذلك استكبرتم وضللتهم وكفرتهم. بل تعديتهم إلى قتل الأنبياء وأنتم الآن تطلبون القربان تهزلون كما هزل من قبلكم.

فلا تجزع يا محمد على أن يكذبك هؤلاء المكذبون جميعاً ولا يحزنك ما يفترون عليك ، ولا ما ينسبونك إليك مما ليس في صفاتك فقد كذب أسلافهم رسلاً قبلك أرسلناهم إليهم وبين أيديهم الأدلة القاطعة على صدقهم ، والكتب المضيئة بنور اليقين ، فحرفوها وبدلوها وأساءوا إلى رسلكم .



احتكام المنافقين إلى الطاغوت

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ النساء: ٦٣

لقد كشف الله في هذه الآيات موقف المنافقين الذين لا يطيعون الله والرسول ولا يرضون بحكمهم بل يريدون حكم الطاغية (كعب بن الأشرف) أو الكاهن (أبي بردة الأسلمي) هؤلاء سمّاهم الله (الطاغوت).

قال الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف وهو الذي سمّاه الله تعالى (الطاغوت) فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ، فاختصمنا إليه، ففضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجنا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إلى عمر، فقال لليهودي: اختصمنا أنا وهذا إلى محمد ففضى لي عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجئت إليك معه. فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال لهما: رويدا حتى أخرج إليكما، فدخل عمر واخذ سيفه فاشتمل عليه ثم خرج إليهما وضرب به المنافق حتى برد (مات)، وقال:

هكذا أقضي لمن لم يرصّ بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي. ونزلت هذه الآية... وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرّق بين الحق والباطل فسُمي بالفاروق. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

إن الله يعلم ما في قلوب المنافقين من الكذب والميل إلى الشغب وإثارة الفتنة ونصب المكاييد، فأمر رسوله أن يُعرض عن قبول عذرهم وعن مطالبتهم بدم القتييل الذي قتله عمر وأن ينصح لهم بالكفّ عن النفاق وأن يقول لهم قولاً مؤثراً في أنفسهم يستشعرون منه التهديد والاستئصال وتبلغُ في نفوسهم الأثر الذي يريدُه.



أحوال المتخلفين عن واجب الجهاد

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

شَهِيدًا ﴿٧٨﴾ النساء: ٧٧ - ٧٩

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ الآية، نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء؟ فيقول لهم: "كفوا أيديكم عنهم، فإني لم أؤمر بقتالهم" فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين كرهه بعضهم

وشق عليهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية... وعن ابن عباس : أن عبد الرحمن وأصحابه أتوا إلى النبي ﷺ بمكة ، فقالوا : يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمننا صرنا أذلة ؟ فقال : " إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم " فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال ، فكفوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ .
[أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

ألم تنظر إلى أولئك الذين قيل لهم في مكة في بداية نشر الدين الإسلامي :
التزموا السلم والسلام وامنعوا أنفسكم عن حروب الجاهلية وأقيموا الصلاة بأركانها وبخشوع واطمئنان وآتوا الزكاة حقها فهي تقوي الصلة بأمة الإسلام ، ولكن حين فرض عليهم القتال ضد المجرمين بعد الهجرة إذا فريق منهم وهم المنافقون والضعفاء يخافون لقاء المشركين كخوفهم من الله أو أشد خوفاً ، ويفرون من الحرب ويقولون : ربنا لِمَا كتبت علينا القتال ؟ وهلا أخرت القتال إلى مدة أخرى ، فإن في القتال سفك للدماء وتيتم الأولاد وترمل النساء .

أجابهم الله بقوله تعالى : قل لهم يا محمد : إن التمتع بالحياة الدنيا قليل وفانٍ ، والآخرة هي دار البقاء وخير من الدنيا لمن أطاع الله وامتثل لأوامره ، فأنتم تحاسبون على أعمالكم .. إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ولا تظلمون من الجزاء على أعمالكم مقدار فتيل ، والفتيل : ما يكون في شق التمر مثل الخيط ، وبه يضرب المثل في القلة .

قوله تعالى : ﴿ أَيِنَّمَا كُفُّوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ قال ابن عباس ، في رواية أبي صالح : لما استشهد من المسلمين من استشهد يوم أحد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد : لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ... ثم رغبهم في القتال وبين لهم أن الموت مصير كل شيء . أي أن الموت محتم لا مهرب له ، فهو لا بد أن يدرككم ولو تحصنتم في القصور أو القلاع أو الحصون المنيعة ، فالمرء قد يقتحم الحرب ولا

يصاب بالأذى ، وقد يموت المعتصم في البروج المشيدة والحصون المنيعة !! فلا عذر لكم أيها المشبوطون ، لماذا لا تدافعون عن الحق وتمنعون الشر أن يتفشى حتى تستحقوا مرضاة الله وسعادة الآخرة ؟ ولماذا تكرهون القتال وتخافون الناس وتودون البقاء ؟ أليس هذا ضعفاً في الدين وحوار في العزيمة تؤاخذون بها وتقوم عليكم الحجة .

ثم ذكر الله سبحانه شأنًا آخر أشد دلالة على حماقة وضعف العقل ومرض القلب فقال : وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولون هذه من عندك يا محمد وهذه مقالة اليهود والمنافقين .

فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون وماذا دهاهم في عقولهم ؟؟ فهم لا يعلمون حقيقة ما يقولون ؟ إنهم يأخذون بادئ الرأي من الحديث ولا يفقهون حديثاً ولا يربطون الأسباب بالمسببات فتلك الحكمة لا تنال إلا بفضل الروية والأناة والتدبر ، ومن وصل إلى هذا القدر من الفهم لا يقول إن السيئة لا تقع إلا بشؤم أحد ، بل ينسب كل شيء إلى سببه .

إن كل حسنة تصيبك أيها المؤمن فهي من فضل الله وجوده . فهو الذي سخر لك المنافع التي تتمتع بها فقد سخر لك الهواء الذي يحفظ الحياة ، والماء العذب الذي يمد كل الأحياء والنباتات وغيرها من المواد الغذائية ، وأنعم عليك بوسائل الراحة والهناء ، وكل سيئة تصيبك هي من نفسك بما أوتيت من قدرة على العمل واختيار درء المفساد وجلب المنافع وترجيح الحق ومعرفة ما يسوء إليك وما ينفع لأن الإنسان لا يضبط إرادته وهواه ولا يحيط علماً بالأسباب فيقع بما يسوء له .

لا تعارض بين قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي كل من الحسنة والسيئة ، وبين قوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ إذ الأولى الحقيقة أي خلقاً وإيجاداً . والثانية

تسبباً وكسباً بسبب الذنوب : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى: ٣٠ ، أو نقول : نسبة الحسنه إلى الله ، والسيئة إلى العبد ، هو من باب الأدب مع الله في الكلام ، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة كقوله ﷺ : " الخير كله بيدك والشر ليس إليك " والله أعلم . [صفوة التفاسير]

إن طاعة الله من أسباب النعم ، وعصيانه يجلب النقم .

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ والرسول ليس عليه إلا البلاغ وليس له دخل بما يصيب الناس من الحسنات والسيئات لأنه لم يرسل إلا للتبليغ والهداية لا مغيراً لنظم الكون وتحويل السنن أو تبديلها : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر: ٤٣ .



رعاية المرأة واليتامى

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ^ط قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء: ١٢٧

أخرج ابن جرير، قال: كان لا يرث إلا الرجل الذي قد بلغ، لا يرث الرجل الصغير، ولا المرأة؛ فلما نزلت آية الموارث في سورة النساء، شق ذلك على الناس، وقالوا: يرث الصغير الذي لا يعمل في المال ولا يقوم فيه، والمرأة هي كذلك فيرثان كما يرث الرجل الذي يعمل في المال. فرجوا أن يأتي في ذلك حد من السماء، فانتظروا فلما رأوا أنه لا يأتي حدث، قالوا: لئن تم هذا إنه لواجب ما منه بد، ثم قالوا: سلوا. فسألوا النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ .

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾: أي يطلبون منك الفتيا في شأنهم بيان ما أشكل من أحكامهن من جهة حقوقهن المالية والزوجية.

قل يا محمد: إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلي من الأحكام في كتابه العزيز في يتامى النساء اللاتي لا توتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن لجمالهن والتمتع في أموالهن، حيث كان الرجل منهم يضم اليتيمة ومالها إلى نفسه، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها، وما

يتلى عليكم في شأن المستضعفين من الولدان الذين لا تعطونهم نصيبهم من الميراث وقد كانوا إنّما يورثون الرجال دون الأطفال والنساء.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ : أي تهتموا بهم اهتماماً خاصاً ويجري العدل في معاملتهم ، فإن ذلك هو الواجب الذي أمرنا الله به ثم رغّبهم في العمل بما فيه فائدة اليتامى من الخير ، وهو مجازيكم به ولا يضيع عنده شيء.



ميراث الكلالة أو الاخوة

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُهُأ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦)

النساء: ١٧٦

أنزل الله تعالى في أوائل سورة النساء وأواخرها نظاماً مفصلاً للميراث فيه الحق والخير والعدل.

قال الخطابي: أنزل الله تعالى في الكلالة آيتين: أحدهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء وفيها إجمال، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَتْ كَلَالَةً﴾: ١٢ ثم أنزلت الأخرى في الصيف وفيها بيان الميراث للكلالة.

الكلالة: في اللغة الإحاطة ومنه الإكليل لإحاطته بالرأس، وسُمي ما عدا الوالد والولد بالكلالة لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان وكالإكليل المحيط برأسه، أما قرابة الولادة ففيها يتفرع بعض من بعض كالشيء الذي يتزايد على نسق واحد.

أي إذا كان الميت رجلاً أو امرأة موروثاً كلاله، أي إذا ليس له ولد ولا والد وله أخ أو أخت من أم.

عن جابر بن عبد الله ، يقول : دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وأنا مريضٌ لا أعقلُ ، فتوضأ ، فصبوا عليّ من وُضوءِهِ ، فعَقَلْتُ ، فَعَقَلْتُ : " يا رسولَ الله ، إنما يرثني كلاله ، فنزلت آيةُ الميراثِ " . [صحيح البخاري / صحيح مسلم - كتاب الفرائض]

ومعنى هذه الآية : يطلب منك يا رسول الله الفُتيا فيمن يورثون كلاله وهي ما عدا الوالد أو الولد أي الإخوة الأشقاء أو لأب والأخوات الشقيقات أو لأب ، لجابر بن عبد الله الذي لم يكن له عند وفاته والد ولا ولد ، وإنما إخوة أشقاء من أب وأم وهم عصابات لم يفرض لهم شيء من فرائض الإرث ، فإن كان للمتوفي أخ لأم فقط فنصيبه السُدس ، وإن زاد عن ذلك فكانوا إخوة لأم فنصيبهم الثلث فقط كنصيب الأم سواءً كانوا اثنين فأكثر يستوي المذكر والمؤنث في النصيب بلا فارق .

وإن كان للمتوفي أخت شقيقة أو لأب فلها نصف التركة (ما ترك) مع عدم الولد ، والرجل يرث أخته بالتعصيب إن لم يكن لها ولد ذكر أو انثى وهو يستغرق جميع التركة إن كان أخاً شقيقاً أو لأب ، فإن كان أخاً لأم فلا يستغرق الميراث وإنما فرضه السدس .

وإن كان للمتوفي أختان فأكثر شقيقتان أو لأب فلهما الثلثان مما ترك أخوهما ، أما الأختان لأم فأكثر فلهما الثلث فقط والباقي لمن يوجد من العَصبة .

وإن كان الإخوة الوارثون ذكوراً أو إناثاً ، فللذكر مثل حظ الأنثيين ، أما الأخوة لأم فهم شركاء في الثلث .

يبين الله تعالى هذا التوزيع وقيامه على الحق والعدل ، فذكر سبحانه وتعالى أنه يبين لكم أمور دينكم لئلا تضلوا عن الحق في قسمة التركات وغيرها ، وإن ما شرعه الله فيه الخير والمصلحة لكم ، وهو صادر عن علم واسع لله فعليكم بالالتزام بهذه الأحكام لأنها قائمة على الحق والخير والبركة لكم .

إنَّ الهدى والخير فيما شرعه الله ، والضلال والشر في الإعراض عن شرع الله ، والله على كل شيء رقيب .

ماذا أحل الله

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ **قُلْ** أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ المائدة: ٤ - ٥

أحلّ لنا الله الكثير من الطيبات ولم يحرم إلا القليل، أحلّ الله الطيبات النافعة غير المحرمات العشر المتقدمة في الآية: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ﴾ ٣ .

قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ الآية. عن أبي رافع قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله، ما أحل الله من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. [رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه].... وذكر المفسرون شرح هذه القصة، قالوا: قال أبو رافع: جاء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ

واستأذن عليه فأذن له ، فلم يدخل ، فخرج رسول الله ﷺ فقال : " قد أذنا لك يا رسول الله " فقال : أجل يا رسول الله ، ولكننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب ، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو ، قال أبو رافع : فأمرني أن لا أدع كلباً في المدينة إلا قتلته حتى بلغت العوالي ، فإذا امرأة عندها كلب يحرسها ، فرحمتها فتركته ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فلما أمر رسول الله بقتل الكلاب جاء ناس فقالوا : يا رسول الله ، ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي تقتلها ؟ فسكت رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساک ما لا نفع فيه منها ، وأمر بقتل الكلب العقور ، وما يضر ويؤذي ، ودفع القتل عما سواهما وما لا ضرر فيه . وقال سعيد بن جبیر : نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزید بن المهلهل الطائنين ، وهو زید الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، فقالا : يا رسول الله ، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، فإن كلاب آل درع وآل حويرية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب ، فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا يدرك ذكاته ، وقد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ ﴾ يعني الذبائح ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ يعني وصيد ما علمتم من الجوارح ، وهو الكواسب من الكلاب وسباع الطير . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

يسألك المؤمنون أيها الرسول عما أُحِلَّ لهم من المطاعم واللحوم قل : أُحِلَّ لكم ما تستطيبه نفوسكم السليمة الفطرة، وهي غير الخبائث، قال الإمام الشافعي : الطيبات : الحلال المستلذ وكل مسقذ كالوزغ والخنافس وغيرها فهي من الخبائث حرام.

وأُحِلَّ لكم صيد الجوارح المُعَلِّمة، كالكلاب والفهود والصقور والعقبان والنسور ونحوها من الطيور، فكل ما صاد بعد تعليم فهو جارح أي (كاسب)

تعلّمونهن من الحيلة في الاصطياد والتأني لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علّمه الله الإنسان.

ويجوز الأكل من الصيد الذي أمسكه الكلب ونحوه وذلك بشرط ان تكون الكلاب والجوارح والطيور مُعلّمة، ومرسلة من الصائد لا من نفسها حتى يكون قتل الجارح للصيد ذكاة شرعية، بان ترسل الكلب أو الطير فيرسل وتزجره فينزجر، وان يذكر الصياد اسم الله فيقول (باسم الله ، الله أكبر) وذلك شرط عند الجمهور غير الشافعية، وبشرط ألا يأكل الكلب المعلم شيئاً من الصيد في رأي الجمهور غير المالكية.

ثم أمر الله تعالى بالالتزام بالأوامر وذكر الحساب لأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

أحلّ الله الطيبات وأحلّ للمسلمين ذبائح أهل الكتاب وللكتابيين ذبائح المسلمين، ولا تحل ذبائح المشركين عبدة الأصنام والأوثان ولا ذبائح المجوس ونحوهم مما لا يدين بدين سماوي ولا التزوج بهنّ.

وأباح لكم أيها المؤمنون التزوج بالحرائر المؤمنات والكتايبات العفيفات من اليهود والنصارى، إذا آتيتموهن أجورهنّ أي مهورهنّ فيشترط إيتاء مهورهنّ وأن يقصدوا الإحصان والاعفاف لا سفح الماء عن طريق الزنا العلني، ولا عن طريق الزنى الشرعي وهو اتخاذ الأخدان وقوله : (محصنين) أي متزوجين على السنّة بعقد زواج صحيح .

وقد حذر الله من المخالفات ورغب فيما تقدم من أحكام الحلال ، فذكر أنّ من يكفر وينكر شرائع الإسلام وتكاليفه ، ويجحد أصول الإيمان وفروعه فقد أبطل ثواب عمله وخاب في الدنيا وخسر في الآخرة.

إدعاءات الكفار

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۚ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ المائدة: ١٧ - ١٩ ﴾

الله سبحانه وتعالى واحد أحد، فرد صمد، خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير ومن غير الممكن أن يتصور أحد من المخلوقات أن يكون له صفات الخالق المبدع أو حظ من الألوهية.

ولا يدعي بشر أنه أقرب إلى الله إلا بعبادته وطاعته، فالقرب من الله معنويًا لا ماديًا ولا حسيًا يكون ذلك بمقدار الطاعة والالتزام بأوامر وشرائع الله تعالى.

قل لهم يا محمد ، أي قل للكفرة المتجرئين على مقام الألوهية وزعمهم الباطل بأن المسيح هو الله ، فمن يستطيع أن يمنع إرادة الله إن شاء أن يهلك المسيح عيسى وأمه ومن في الأرض جميعاً؟ وإذا كان المسيح معرضاً للفناء كغيره من المخلوقات فكيف يكون إلهاً؟ فالله واحد أحد لم يلد ولم يولد وله ملك السموات والأرض وما بينهما ، ومن قدر على خلق آدم من غير أب ولا أم ، وعلى خلق حواء من غير أم ، وعلى خلق عيسى من غير أب ، فهو يخلق حسب مشيئته وهو قادر على كل شيء قدير... فاعتبروا يا أولي الأبصار.

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ الآية : روى ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : أتى رسول الله ﷺ ، نعمان بن قصي ، وبحر بن عمر ، وشاس بن عدي فكلّموه وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه فأنزل الله فيهم الآية. [أسباب النزول للحافظ المتقن]

وقالت اليهود والنصارى نحن المقربون من الله قرب الأبناء من الآباء ، فقل لهم يا محمد : إن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم؟؟ ومن كان بهذه المنزلة لا يعذب ، وقد عذبكم الله بالقتل والأسر والمسخ ، واعترفتم أيها اليهود أن النار لن تمسكم في الآخرة إلا أياماً معدودة تعذبون فيها وهذا يتنافى مع العلاقة التي تزعمونها ، فإن الأب لا يعذب ابنه والحبيب لا يعذب حبيبه فارجعوا عن غروركم فأنتم كاذبون فيما زعمتم ، وإنما أنتم بشر من جملة من خلقهم ، والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن كفر وعصى رسله. والله وحده ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المرجع يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ الآية ، روى ابن اسحق وابن جرير والبيهقي وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه ، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن

عبادة ، وعقبة بن وهب : يا معشر اليهود اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده ، فأنزل الله الآية . [أسباب النزول للحافظ المتقن]

يا أهل الكتاب من يهود ونصارى : قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ المبشّر به في كتبكم بيّن شرائع الدين وأحكامه لكم بعد انقطاع الوحي وعدم إرسال الرسل مدة تتجاوز نحو ستة قرون ليقطع معذرتكم لقولكم : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم محمد ﷺ بشيراً ونذيراً فلا عذر لكم بعد ذلك في بقاءكم على كفركم وعنادكم والله على كل شيء قدير فيعذبكم إن لم تتبعوه .



من أوصاف اليهود الذميمة

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ

مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنذِرُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ

لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ المائدة: ٥٩ - ٦٠

قل يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى هل تعيرون علينا من شيء وتكفروننا لأجله. إلا إيماننا الصادق بالله وتوحيده وإثبات صفات الكمال له، وإيماننا بما أنزل إلينا وبما أنزل من قبل على رسله لقله انصافكم ولأن أكثركم فاسقون خارجون عن الإيمان الصحيح.

عن ابن عباس، قال: " أتى رسول الله ﷺ نفرٌ من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطبٍ ورافع بن أبي رافعٍ وعازرٌ وخالدٌ وزيدٌ وأزار بن أبي أزارٍ وأشيعٌ، فسألوه عمَّن يؤمنُ به من الرسلِ، فقال: " أو منُ بالله وما أنزلَ إلينا، وما أنزلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ، وما أوتيَ موسى وعيسى، وما أوتيَ النبيونَ من ربهم، لا نفرقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمون ". فلما ذكر عيسى جحدوا بنبوته وقالوا: لا نؤمنُ بعيسى، ولا نؤمنُ بمن آمن به. فأنزلَ اللهُ فيهم: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ثم ردّ على الاستفهام التهكمي باستفهام تهكمي مثله فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ استعمال المثوبة في الجزاء الحسن أكثر من استعمالها في الجزاء السيئ من باب التهكم والازدراء.

أي هل أنبئكم أيها المستهزون بديننا وأذاننا ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا﴾ المائدة: ٥٨ .. ما هو شر من عملكم هذا جزاء وثواباً عند الله.

عن مجاهد: "﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَلَمْ يُمَسِّخُوا قِرَدَةً ، وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمَلُ أَسْفَارًا" وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لِظَاهِرٍ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ مُخَالَفٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعِبَدَ الطَّاغُوتِ ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ : ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَصَعَقَهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ ذَلِكَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْعَجَلَ ، فَجَعَلَ تَوْبَتَهُمْ قَتْلَ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أَمَرُوا بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، "[جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ومثل هؤلاء لا يحملهم على الاستهزاء بدين المسلمين وبصلاتهم وأذانهم إلاّ الجهل وعمى البصيرة.



أيها اليهود والنصارى لستم على شيء من الحق والصدق

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا
وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّابِرُونَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ المائدة: ٦٨ - ٦٩

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ روى ابن جرير وابن أبي حاتم ،
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن
الصفيف فقالوا : يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم وابنه ، وتؤمن بما عندنا ؟
قال : " بلى ولكنكم أحدثتم وحدثتم بما فيها وكنتم ما أمرتم أن تبينوه للناس " قالوا
: فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، فأنزل الله تعالى الآية . [لباب النقول في
أسباب النزول للسيوطي]

يا أهل الكتاب لستم على شيء يعتد به من أمر الدين ولا ينفعكم الانتساب إلى
موسى وعيسى والنبين حتى يقيموا التوراة والإنجيل والعمل الصالح ، وفيما بُشرا به
من بعثة النبي الذي يجيء من ولد إسماعيل . وما أنزل إليكم من ربكم على لسان
محمد وهو القرآن المجيد .

إنهم يعتنقون عقيدة فاسدة باطلة إلى أن يعملوا بمقتضى ما أنزل الله وليزدن كثيراً منهم طغياناً وكفراً، فلا تحزن ولا تتأسف على القوم الكافرين إذا لم يؤمنوا بك فما عليك إلا البلاغ.

إن الذين آمنوا واليهود والنصارى والصابئون من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً فلا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون على فوات ما يستحقونه من الثواب.

وهذه الآية تدل على أن الصابئين الذين ضلوا وخرجوا عن أديان أهل الكتاب كلها، إن تابوا وآمنوا بالله ورسوله إيماناً صادقاً وعملوا الأعمال الصالحة يتقبل الله منهم توبتهم ويدخلهم جنته إن استقاموا على الإيمان وأصلحوا، ووقعت (الصابئون) هنا مرفوعة لأنها مبتدأ خبرها محذوف والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا وكذا. والصابئون كذلك.

لقد اجترأ أعداء الإسلام على ادعاء الخطأ في القرآن الكريم وألفوا كتباً في ذلك، وعدوا رفع الصابئين من هذا الخطأ وجهل هؤلاء السخفاء أن النحو وضع بعد نزول القرآن فإذا قصر النحو عن الإحاطة بما ثبت عن العرب فليس العيب عيب القرآن وإنما العيب سُقم الفهم.



الفساد والانحراف عن الدين

﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذْنَاهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ المائدة: ٧٦ - ٨١

أسباب الانحراف لغير المؤمن عن الإيمان هي :

١. عبادة غير الله الذي لا يقدر دفع الضر عنهم ولا جلب النفع لهم، فالأصنام لا تنفع المشركين ولا تضرهم، والله وحده العليم بكل شيء فهو يستحق العبادة وحده دون سواه.

٢. والسبب الثاني في الانحراف والفساد هو المغالاة في الدين وتجاوز الحدود في وصف عيسى واتباع أهواء قوم وآرائهم الواهية من غير حجة ولا برهان، أولئك القوم أضلّوا كثيراً من الناس وضلّوا عن سواء السبيل والرأي المعتدل.

٣. وسبب الانحراف الثالث هو عصيان أوامر الله تعالى وتماديهم في العصيان، فاستحقوا اللعن - أي الطرد من رحمة الله، وما على من جاء من بعدهم من الأجيال إلا الحذر من المعاصي والمنكرات والحرص على الاستقامة وترك المنتهيات.

٤. وسبب الانحراف الرابع هو الرضا بالجريمة والسكوت عن المنكر لأن الساكت راضٍ عن الفعل، وهو شيطان أخرس ولذا كان من أهم حصون الدين الحفاظ على دائرة الحق والعدل فيه وترك المنكر. ومن الواجب تكتل الأفراد والجماعات والسعي لاستئصال شأفة الفساد الديني والخلقي والاجتماعي.

٥. وسبب الانحراف الخامس هو ترك موالاة ومناصرة الذين آمنوا فإن كثيراً من أهل الكتاب كانوا في صدر الإسلام يتولون مشركي مكة ويتآزرون معهم ويتركون موالاة المؤمنين.

ولكنهم بهذه الموالاة لغير جند الإيمان أساؤوا لأنفسهم وتعرضوا لسخط الله وغضبه عليهم. وكانوا خالدين في النار وعذابها الشديد ولو كانوا مؤمنين بالله وبالرسول وبالقرآن المنزل من ربه ما اتخذوا المشركين أولياءً وأنصاراً وأصدقاءً وأعواناً... ولكن كثيراً منهم فاسقون - أي خارجون عن طاعة الله ورسوله وأصول الدين.

الخبِيث والطيب

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ يَتَأُولَىٰ أَلْبَابًا لِّعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ المائدة: ١٠٠

لَمَّا زَجَرَ اللَّهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ .. وَرَغَّبَ فِي الطَّاعَةِ فِي الْآيَةِ الَّتِي سَبَقَتْهَا حَيْثُ قَالَ :
﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٨) وَأَتْبَعَهُ بِالتَّكْلِيفِ فِي الْآيَةِ
بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ سِرَّهُمْ وَعَلْنَهُمْ . أَمْرُ
رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَالْفَاجِرُ وَالْبَرُّ ،
وَالْمُفْسَدُ وَالْمُصْلِحُ ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ أَيُّهَا الْمَكْلُفُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ لِأَنَّهُ لَا يَسَاوِي شَيْئًا عِنْدَ
اللَّهِ بَلْ تَرْجَحُ بِهِ كِفَّةَ السَّيِّئَاتِ .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَشَرَبَ
الْخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ . أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ لِعِنِّ شَارِبِهَا وَعَاصِرِهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعِهَا وَأَكْلَ
ثَمْنِهَا " فَجَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي ،
فَاقْتَنَيْتُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ مَالًا ، فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْمَالُ إِنْ عَمَلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ ﷺ : " إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، إِنْ اللَّهُ
لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

تكذيب الكفار بالرسالة ... والرد عليهم

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الأنعام: ١١

إنَّ موقف المشركين من دعوة الإسلام يتمثل بشيء من العناد والمكابرة ، قال الكلبي : إنَّ مشركي مكة قالوا : يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنتك رسوله .. فنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾ الأنعام: ٧ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ، وقال جماعة من المشركين كالنضر بن الحارث : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ الإسراء: ٩٠ .

قال محمد بن إسحاق : دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم فيما بلغني ، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعبد بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف بن وهب ، والعاص بن وائل بن هشام : لو جُعِلَ معك ملكٌ يا محمدٌ يُحَدِّثُ عنك ويرى معك فأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الآية . [تفسير ابن أبي حاتم]

وهكذا تبين لنا هذه الآيات انه لو جاء محمد ﷺ بأشد وأشنع مما جاء به من الأخبار بعقوبات الأمم السابقة لكذبوا به وهذا يؤكد عنادهم، إنهم اقترحوا اقتراحين : أولهما : أن ينزل الله عليهم كتاباً مسطوراً من السماء يخبرهم بصدق نبوة محمد ويطلبهم بالإيمان به، قال عبد الله بن أبي أمية : لا أومن لك حتى تصعد إلى

السماء ثم تنزل بكتاب فيه :- [من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا كنت أصدقك]. ثم أسلم بعد ذلك عبد الله هذا وقتل شهيداً في الطائف. إن عبد الله وأمثاله من المشركين لو جاءهم كتاب إلهي مسجل من الله والتقطوه بأيديهم لقالوا : هذا سحر واضح.

والاقتراح الثاني : أن ينزل الله ملكاً من السماء يروونه ويكون مؤيداً لرسول الله ﷺ فيكون معه نذيراً ومؤيداً ونصيراً .. فردّ الله عليهم بأنه لو أنزل معه ملكاً كما اقترحوا لقضي الأمر بإهلاكهم ثم لا يمهلون ليؤمنوا، بل لجاءهم من الله العذاب كما قال تعالى : ﴿ مَا نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ الحجر: ٨ ، وكذلك لو أنزل الله ملكاً مع الرسول البشر لكان متمثلاً بصورة الرجل ليخاطبهم ويخاطبوه ويتنفعوا به ثم يعود الأمر كما كان ويقعون في اللبس والاشتباه نفسه ويختلط عليهم ثم يكذبون رسول الله ولا يؤمنون برسالة القرآن.

فلا تأس يا محمد واصبر ولا تهتم بما تلقاه من قومك كالوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف وأبي جهل وغيرهم.

قل لهؤلاء المكذبين : سيروا في الأرض ثم انظروا وتأملوا كيف كان عاقبة المكذبين من قبلكم مثل قوم نوح وهود وعاد وثمود وقوم فرعون كيف أهلكهم الله بذنوبهم .. فأنتم مصيركم مثلهم في الإهلاك في الدنيا وعذاب النار والخزي في الآخرة.



لمن هذا الكون والوجود وما فيه ؟؟

﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

الأنعام: ١٢ - ١٣

حاور الله تعالى من علياء سمائه المشركين أمراً نبياً بهذا السؤال وهو : من مالك جميع ما في السموات وما في الأرض ؟ ولمن هذا الكون والوجود وما فيه ؟ والمقصود بهذا السؤال هو التوبيخ .. لأن المشركين في الجاهلية كانوا يعتقدون بأن الله هو الخالق كما قال رب العزة عنهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥ .

أمر الله ﷺ محمداً ﷺ بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي الذي لا يستطيع أحد نقضه أو إنكاره : فيا أيها الكافرون برههم : لمن ما في السموات والأرض ؟ ثم سبقهم في الجواب فقال : الله . إذ لا يستطيع أحد إنكار ذلك ومن صفات الله صفة الرحمة بجميع عباده ومن مقتضيات رحمته حشر جميع الناس يوم القيامة للشواب والعقاب والجزاء على الأعمال، وإقامة العدل بين الناس .. قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ النجم: ٣١ ، فالذين لا يؤمنون هم الذين حشروا أنفسهم .

قوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية ، قال الكلبي : عن ابن عباس
إن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، إننا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما
تدعو إليه الحاجة ، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلاً وترجع
عما أنت عليه ، فنزلت هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

ثم يؤكد الله تعالى ملكيته المطلقة لجميع الكون : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ﴾ وإنه المتصرف بكل شيء وهو السميع لكل ما يحدث ، العليم لكل ما يقع ،
المحيط علمه بكل ما دق وعظم ، وبكل فعل ونية ، والشامل سمعه كل مسموع من
الأقوال والأصوات والحركات .



الله ولينا

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ ﴾

إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَن يُصِرَّ عَنْهُ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴿ الأنعام: ١٤ - ١٨ ﴾

وهل يصح لذي عقل استمداد القوة والعون من غير الرزاق المُطعم لجميع خلقه ولا يُطعمه أحد ولا يحتاج لأحد؟ يقول النبي بأمر ربه: إنني أنا نبي الله ورسوله وأمرت أن أكون أول من خضع وانقاد لعظمة الله وجلاله وألا أكون من المشركين.

عن المغيرة بن شعبة، أن النبي ﷺ كان يقول في دُبر كل صلاة مكتوبة: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " [صحيح البخاري - كتاب الأذان].... كلمة الجد تطلق على المعاني التالية: الغنى - المال وهما في دائرة الحظ، العظمة، الجد الذي هو والد الأب أو والد الأم، والمقصود في كلمة الجد في الحديث: الحظ في نطاق الغنى والمال، و(ذا) بمعنى: صاحب، فيكون المعنى: ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي ولا ينفع صاحب الحظ والمال والغنى ماله وغناه إذا

أردت أن تعاقبه يا ربّ أو تهلكه ولا يدفع عنه شيئاً من ذلك بل الذي ينفعه إنّما هو عمله الصالح.

حين وجد الكفار أن رسول الله ﷺ ماضٍ في دعوته ولا يباليهم وأنّ دعوته تلقى قبولاً عند ذوي الفطرة السليمة قالوا له : علمنا إن ما يحملك ما تفعل إلا الحاجة، فنحن نجمع لك من أموالنا ما تشاء حتى تصير أغنانا.. فقال لهم الله : أخبرهم يا محمد إن جميع المخلوقات في قبضة الله فهو القادر وحده على أن يغنيني، وهو الذي يملك الناطق والصامت والساكن والمتحرك يحيط علمه بكل شيء في أي وقت من أوقات الليل والنهار وهو السميع العليم. الذي يسمع ويعلم دبيب النملة في الليلة الظلماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فكيف أتخذ غيره معبوداً وناصرأ؟ وكيف تطلبون أن أعبد غيره أيها الجاهلون؟ وهو القادر الذي أبدع السموات والأرض وهو الذي يرزق الناس ولا يحتاج إلى شيء مما يرزقه لغيره، لأنه غني عن كل ما سواه.

قل للكفار أيها الرسول بعد أن أوردت الآيات والبراهين على وجوب عبادة الله وحده وعلى إنك لا تتخذ معبوداً وناصرأ قل لهم : إني أمرت من لدن خالقي أن أكون أول من أسلم وجهه لله سبحانه وتعالى حين اختارني للرسالة ونُهييت عن الشرك. فكيف تطلبونه مني أيها العاصون؟ وإني أخاف إن عصيت ربي بمخالفة أمره ونهيه، عذاب يوم عظيم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وهو يوم القيامة.. ومن يصرف عنه العذاب في ذلك اليوم العظيم فإنما يكون ذلك برحمة من الله وبإنعامه. فيفوز بدخول الجنة وهو الفوز الذي لا فوز يعادله.

وإن ينزل بك ضر كمرض أو فقر فلا يقدر على تفريجه إلا الله وإزالة دفعه، وإن يصيبك بخير كصحة أو رخاء ونعمة فمن الله وهو القادر على كل شيء ولا راداً لفضله، يصيب به من يشاء من عباده وهو القاهر المستعلي فوق عباده بالغلبة والقدرة، وهو

الحكيم الخبير .. قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فاطر: ٢ .

عن ابن عباس أنه قال : كنت رديف رسول الله ﷺ ، فقال : " يا غلام ، أو يا غُليم ، ألا أعلمك كلماتٍ ينفعك الله بهنَّ ؟ " فقلتُ : بلى . فقال : " احفظِ الله يحفظك ، احفظِ الله تجده أمامك ، تعرّف إليه في الرّخاء ، يعرفك في الشّدّة ، وإذا سألت ، فاسألِ الله ، وإذا استعنت ، فاستعن بالله ، قد جفّ القلم بما هو كائنٌ ، فلو أنّ الخلق كلّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك ، لم يقدرُوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك ، لم يقدرُوا عليه ، واعلم أنّ في الصبرِ على ما تكره خيراً كثيراً ، وأنّ النصرَ مع الصبرِ ، وأنّ الفرجَ مع الكربِ ، وأنّ مع العسرِ يسراً " [مسند أحمد بن حنبل]



أصدق الشهود

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ الأنعام: ١٩ - ٢٠ ﴾

قال الكلبي: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].... أي قل لهم يا محمد: أي شهادة أصدق وأعظم من شهادة الله تعالى وهو شهيد بيني وبينكم على صدق دعوتي.

وشهادة الله برسالة الرسول ﷺ هي:

١. إخباره بها في كتابه بنحو قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

٢. تأييده بالآيات الكثيرة التي من أعظمها القرآن الكريم. فهو المعجزة الدائمة بما ثبت عن عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله وبما اشتمل عليه من أخبار الغيب ووعده الرسول والمؤمنين بنصر الله على أعدائهم.
٣. شهادة كتبه السابقة وبشارة السابقين به ولا تزال هذه الشهادة في كتب اليهود والنصارى.

أما شهادة الله تعالى بصدق ما جاء به هي :

١. قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَلْمَنَ بِكَ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ .
٢. ما أقامه من الآيات في الأنفس والآفاق يدل على توحيده واتصافه بصفات الكمال.
٣. ما أودعه جل شأنه في الفطرة البشرية من الإيمان بإله واحد له صفات الكمال والبقاء.
- فكل ما بلغه القرآن فهو مكلف باتباعه حتى تقوم الساعة، ثم وبخ الله المشركين على عبادتهم الأصنام فقال: أنكم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى؟ وأمر رسوله أن يجيب بقول: لا أشهد وإنما أشهد أنه تعالى إله واحد لا إله إلا هو ولا شريك له وإنما بريء مما تشركون.

وقد ردّ الله تعالى على اليهود والنصارى بأن الذين زعموا من رؤساء أهل الكتاب ان محمداً ليس له عندهم ذكر ولا صفة في التوراة والإنجيل إنما هم يعرفونه محمداً بصفاته التي يجدونها عندهم في كتبهم كما يعرفون أبناءهم ولكنهم ينكرون ذلك. فأثروا التافه والحقير وهو الرياسة والجاه مع خسران أنفسهم وبقائهم على

الضلال .. على الجليل العظيم وهو الإيمان بالرسول الكريم الذي يؤدي بهم في الآخرة إلى النعيم المقيم فهم لا يؤمنون حتى لا يضيعوا ما هم فيه من الرياسة والجاه.

عن ابن جريج ، قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ، يعني النبي ﷺ . قال : " زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا : والله لنحنُ أعرفُ به من أبنائنا من أجل الصفة والنعته الذي نجدُهُ في الكتاب ، وأما أبنائنا فلا ندري ما أحدث النساء " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]



لو شاء الله لجمع الناس على الهدى

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦)

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ **قُلْ** إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ الأنعام: ٣٦ - ٣٧

الذين يسمعون كلام الله سماع فهم يستجيبون لله وللرسول لسلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وطهارة قلوبهم دون الذين قالوا: سمعنا وعصينا من المتكبرين الجاحدين، والموتى أي الذين لا ترجى استجابتهم لأنهم كالموتى لا يسمعون ما ينفعهم فيترك أمرهم إلى الله الذي يبعثهم بعد الموت ويرسلهم إلى موقف الحساب فينالون ما يستحقون على كفرهم وسيء أعمالهم، فلا تذهب نفسك حسرات عليهم إذ ليس في استطاعتك هدايتهم.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي وقال الظالمون لأنفسهم الذين يجحدون بآيات ربهم يقولون: هلاً أنزل عليه آية من ربه من الآيات التي أقرحوها عليه وجعلوها شرطاً لإيمانهم.

قل لهم يا محمد: إن الله قادرٌ على أن ينزل آيةً مما أقرحتم إذا اقتضت حكمته ذلك، لا ما تتعلق بشهواتهم لتعجيز النبي ﷺ... ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ الأنعام: ٧، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ القمر: ٢.



الدعاء من الله تعالى في الشدة والرخاء

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الأنعام: ٤٠ - ٤٥

قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أخبروني عما أنتم فاعلون إذا أتتكم أمارات عذاب الله مثل ما أنزل بالأمم السابقة. كالخسف والريح الصرصر العاتية والصاعقة والظوفان، أو خفتم الساعة وأتتكم القيامة بأهوالها ومخازيها.. أتدعون أصنامكم وتلجئون إليها في كشف الضر عنكم إن كنتم صادقين في أنها آلهة؟

ثم قال لهم الجواب بقوله: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ فيكشف ما خفتم منه إن شاء وتسون أصنامكم ولا تتذكرون إلا الله وحده.

وذلك لأن الله أودع في فطرة الإنسان شعوره بالضعف وتوحيد الله والإذعان التام للخالق المبدع مالك الأرض، وباسط السماء، وأما الشرك فهو شيء موروث من البدائيين وانحراف عن الفطرة السوية.

ثم ذكر الله المشركين الكفرة بالأمم السابقة مبيناً أنه أرسل إليهم الرسل قبل النبي محمد ﷺ فدعوهم إلى توحيد الله وعبادته فلم يستجيبوا .. فاخترهم الله بالبأساء والضرأ أي بالفقر وشدة العيش والمرض والألم لعلهم يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون، لأن الشدائد تنبت الرجال وتصحح المواقف.

والترجى في (لعل) إنما هو في معتقد البشر ، فلو رأى أحدٌ أمارات العذاب لرجا الله وتضرع إليه . ثم أكد الحَضُّ على التضرع إلى الله ولا سبيل إلا إليه . فهلاً إذا نزل بهم العذاب تضرعوا؟! ولكنهم لم يفعلوا لأن قلوبهم قاسية فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وزين لهم الشيطان أعمالهم من الشرك والعصيان ووسوس لهم حتى حسن في قلوبهم الكفر والفسوق والعصيان . حتى إذا تركوا ما أنزل الله فتحنا عليهم أبواب الرزق استدراجاً لهم، فإذا فرحوا بالأموال والأولاد أخذناهم على غفلة من العذاب والاستتصال... فهلك القوم وقطع دابر الكافرين والحمد لله رب العالمين واجب لأن إبادة القوم الظالمين المفسدين نعمة من الله رب العالمين .

عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ ، عن رسول الله ﷺ قال : " إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ " ، ثم نَزَعَ هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [المعجم الكبير للطبراني ، والبيهقي]



إذا سلبكم الله نعمة السمع والبصر والفؤاد فمن يردّها ؟؟

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهُ غَيْرُهُ

اللَّهُ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ ۗ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ **قُلْ**

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْكَمَ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ

الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ الأنعام: ٤٦ - ٤٧

قل يا محمد لأهل مكة أخبروني: إن عاقبكم الله فسلب منكم سمعكم فأصمكم وسلب منكم أبصاركم فعماكم وغطى على مراكز الفهم والشعور والعقل منكم فأصبحتم لا تعقلون شيئاً، من إله غير الله يرد إليكم ما سلب منكم؟ ... انظر يا محمد كيف نبين لهم الآيات الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ونكرها في صور مختلفة ثم هم يعرضون عنها ولا يؤمنون؟

قل لهم: أخبروني إن أتاكم عذاب الله فجأة من غير مقدمات تدل عليه أو جهرة بأن تتقدمه أمارات تشعرهم به وتؤذن بحلوله هل ينزل سخط الله إلا بالقوم الكافرين منكم، المصرين على الشرك عناداً وجحوداً، الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها لعقاب الله؟ فهل يهلك غير هؤلاء؟

أما الرسول ﷺ ومن آمن به فلا يصيبهم الأذى كما جرت بهذا سنة الله مع رسله.

النبي لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الأرزاق

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي

مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا

تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ

دُونِهِ وَإِلَىٰ وَلَا شَفِيعَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ الأنعام: ٥٠ - ٥١

قل يا رسول الله : لا أقول لكم عندي خزائن رزق الله لأنه وحده الذي عنده خزائن السموات والأرض، يتصرف فيها كما يشاء .. ولا أنا أعلم الغيب الذي اختص به رب العالمين فقط حتى تسألوني عن وقت قيام الساعة ووقت إنزال العذاب. فلا يعلم الغيب إلا الله ... ولا أقول إني من جنس الملائكة أقدر على ما يقدرون عليه. وإنما أنا عبد يمثل لأمر الله وبشر مثلكم يوحى إليّ .. أنما إلهكم إله واحد وما أتبع إلا ما يوحى إليّ. هل يستوي الكافر والمؤمن، والضال والمهتدي، والجاهل والعالم، وأعمى البصيرة وذو البصيرة؟؟ أفلا تتفكرون وتمييزوا بين الحق والباطل.

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن]

وأُنذر المؤمنين بما يوحى إليك ، الذين يفرطون في إيمانهم بارتكاب المعاصي . الذين يخافون شدة وطأة الحشر وهول الموقف يوم لا تملك لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذٍ لله . وليس لهم غير الله وليّ ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم ، وإن نجاتهم وسعادتهم تكون بأعمالهم وبرحمة من الله تعالى فليقبلوا على الطاعات .



الإنسان مرهون برحمة الله وفضله

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن
بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
سَابِقٍ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ٥٤ - ٥٥

قال عكرمة : نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم ، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام ، وقال : " الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عن مُجَمِّعِ التَّيْمِيِّ ، قال : سمعت مَاهَانَ الحنفي ، قال : جاء قومٌ إلى النبي ﷺ قد أصابوا ذنوباً عظيماً . قال ماهان : فما إخالهُ (أظنه) ردَّ عليهم شيئاً . قال : فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، ومعنى هذا : إذا جاءك أيها النبي الذين يؤمنون بالله ورسوله ويصدقون بكتبه تصديقاً قلبياً وعملياً ويؤمنون بآيات القرآن وعلامات النبوة كلها ، فقل لهم : أمان لكم من عذاب الله في الدنيا والآخرة ، لأن الله تعالى أوجب على نفسه الرحمة بعباده والمغفرة فهو يغفر الذنوب بعد التوبة ... عن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ﷺ ، قال : " إن الله لما قضى الخلق ، كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي " [صحيح البخاري - كتاب التوحيد]

فمن ارتكب ذنباً أو خطيئة بجهالة ثم تاب إلى الله وندم على ذلك الذنب وصمم على عدم العودة إلى المعصية في المستقبل وأصلح نفسه وعمله ، فالله يغفر له ذنبه لأنه واسع الرحمة والمغفرة ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ النساء: ١٧ .

ثم وضع القرآن الكريم قاعدة عامة في البيان وكل ما يتعلق بدلائل التوحيد والنبوة والقضاء والقدر ويتضح طريق المجرمين وسبيلهم لأنه إذا استبان طريق المجرمين المنحرفين عن الهدى الإلهي فقد استبان طريق أهل الحق والإيمان لا محالة.

فعلينا اختيار طريق الحق وتجنب الشر لأن فعل الخير أمان وسلام وغاية واطمئنان ، وفعل الشر ضلال وخسران.



جاهر النبي قومه بعبادة الله الواحد الأحد

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَآ أُتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا الْحَكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ٥٦ - ٥٨

إن عبادة غير الله ضلال وشرك .. وعبادة الله تدل على الحجة البالغة. لذلك أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يجاهر بعبادة الله ويتبرأ من عبادة الأصنام ومما عليه من شرك.

قل لهم : إني لا أتبع أهواءكم أو شهواتكم القائمة دون دليل وليس لكم إلا تقليد الآباء ورثة الأسلاف من غير بصيرة كما تصرحون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٣ ... فإذا اتبعت أهواءكم فأنا ضالٌّ وما أنا من الحق والهدى على شيء، وهذا تبيان بأنهم ليسوا من الهداية في شيء وليسوا في اعتقادهم على بصيرة.

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ الآية ، قال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش ، كانوا يقولون : يا محمد اتتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاءً منهم ، فنزلت الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قل لهم أيها النبي : إني على أمر بين وحنة واضحة وهو هذا القرآن المعجزة الخالدة على صدق اتجاهي ومنهجي . فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. أما أنتم أيها المشركون فقد كذبتكم بالقرآن وكفرتكم بالرحمن ورفضتم الحق الذي جاءني من عند الله واتبعتم الشيطان والهوى والضلال وقلدتم الآباء دون تفكير .

وليس عندي ما تستعجلون به وهو العذاب .. فلا أقدر على إنزاله بكم وما الحكم والقضاء إلا الله الواحد الأحد . إليه يرجع الأمر كله إن شاء عجل ما سألتكم من العذاب وإن شاء أجل ذلك : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ الرعد: ٨ ، والله يقضي بالحق ويقص على رسوله القصص الحق في وعده ووعيده، وهو خير الفاصلين .

والله تعالى أعلم بالظالمين الكافرين الذين لا أمل لهم في الإصلاح والرجوع إلى الحق والاستقامة والله أعلم كيف يعاقب ومتى يعاقب : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٤ .



الله المنجّي من الشدائد

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ الأنعام: ٦٣ - ٦٧

قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين الغافلين عن آيات التوحيد: من الذي ينجّيكم من شدائد البر والبحر وأهوال السفر إذا ضللتكم في الأرض؟ فإنكم لا تجدون غير الله تدعونه فتقولون: إن أنجانا من الشدائد والظلمات لنكونن من الشاكرين لنعمه ونقرّ بتوحيده ونخلص في عبادته.

قل لهم: إنكم تنكثون أيمانكم فإنكم بعد أن ينجّيكم ويفرّج كربتكم لا تلبثون أن تعودوا إلى الشرك ولا توفوا بوعدكم.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ ﴾ الآية روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ: "أعوذُ بوجهك"، قال: ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قال: "أعوذُ

بوجهك" فلما نزلت: ﴿أَوَلَيْسَ كُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: " هذا أهون - أو هذا أيسر - " [الحافظ المتقن]... وأخرج بن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف " قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟ فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً، أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون فنزلت: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرْتُ الْأَيْمَانَ لَعَلَّكُمْ يُفْقَهُونَ﴾ [الباب وكذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾] [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

قل لقومك أيها الرسول: إن الله وحده قادر على إيصال العذاب من فوقهم / كما فعل بقوم نوح حين أمر السماء أن تمطر المطر الغزير الذي نجم عنه، ومن الماء الذي ينبع من الأرض طوفان أغرق الكافرين وحمل السفينة التي أقلت المؤمنين... وبقوم لوط حين أمطر عليهم حجارة أبادتهم، وبأصحاب الفيل حين أرسل عليهم طيراً أباييل ترميهم بحجارة من سجيل.

أو من تحت أرجلهم / كما حدث لقارون فحسب به وبداره الأرض، أو إيقاع الفرقة والفتن والاختلاط والاختلاف والاضطراب حتى تصير الأمة شيعاً وأحزاباً وجماعات كل فرقة لها اتجاه ومنهاج فيقع القتل وكثرة الحروب ويذيق بعض الناس بأس بعض فيقتل بعضهم بعضاً.

أولئك المشركون وأمثالهم كذبوا بالقرآن الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فأخذهم الله بذنوبهم.

ثم أعلن القرآن قاعدة عامة في التهديد والوعيد على التكذيب بالقرآن أو بالعذاب حتى قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي لكل خبر غاية ونهاية يعرف عندها صدقه من كذبه وسوف تعلمون يقيناً صدق الخبر وحقيقة الوعد والوعيد وهو وعد الله ورسوله بالنصر على أعدائه قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَٰمَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
فصلت: ٥٣ .



أيصح أن نعبد الأصنام بعد الهدى فترد على أعقابنا ؟؟

﴿ **قُلْ** أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا **قُلْ** إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا ۗ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَیَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنعام: ٧١ - ٧٣

قل لمشركي قريش يا رسول الله ، الذين قالوا لك ولمن آمن بك من قومك : اتبعوا سبيلنا وعودوا إلى دين آبائكم وأجدادكم قل لهم : أنعبد من غير الله ما لا يقدر على نفعنا وضرنا فلا ينفعنا إن دعوناه ولا يضرنا إن تركناه .. ونرجع إلى الشرك بعد أن هدانا الله إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك. فإذا فعلنا ذلك نكون كمن سلبت الشياطين عقله فهام على وجهه خسر الدنيا والآخرة وسار حائرًا في الأرض ضالاً عن الطريق المستقيم لا يدري أين يذهب. له رفقاء يدعوناه إلى الصراط السوي يقولون له : هلم إلينا لننقذك مما أنت فيه من الضلال، فيأبى أن يجيبهم.

فقل لهؤلاء المشركين : إن هدى الله هو الإسلام وهو وحده الذي هدانا إليه المولى سبحانه وتعالى وما عداه ضلال محض ... وقد أمرنا ربنا بالإخلاص في العمل وإقامة الصلاة وأن نجعل إيماننا وقاية من عذاب الله وهو الذي يجمعنا يوم القيامة للحساب والجزاء، وهو الذي خلق السموات والأرض فهو يملك كل ما فيها من الكائنات حقاً ويتصرف فيها تصرف المالك في ملكه وقضائه العدل نافذ في جميع الخلائق وحين تتعلق مشيئته بإيجاد شيء يقول له : كن ، فيكون ، وبأمره تُردُّ الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة ويقوم الناس من قبورهم للحساب والجزاء والملك يومئذٍ للواحد القهار .. يوم تجزى كل نفسٍ ما كسبت. يوم ينفخ في الصور فتأتي الخلائق أفواجاً مستجيبيين للرحمن. والله عالم بما أسررنا وما أعلننا وهو الحكيم في تدبيره لأمر خلقه.

إن الحكمة في إخفاء الساعة هي الحكمة في إخفاء الآجال ، وهي الحكمة في إخفاء الأحداث والنوازل ، فإن الإنسان لو علم بها لخارت قواه وانسد أمامه باب الأمل وحيل بينه وبين العمل ، وصار في حالة تشبه القهر والإلجاء.



اتباع طريق الأنبياء

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتُهُمْ أَقْتَدِهٖ ^ط قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا ^ط إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ الأنعام: ٩٠

أمر الله تعالى رسوله الكريم محمد ﷺ أن يتبع طريق الأنبياء الذين هداهم الله لتوحيده والثبات عليها من تبليغ للدعوة وإقامة الحجة ، وصبر على التكذيب والتمرد ، والجحود والأذى وتحمل السفاهة من الجهال ، وقل لقومك : أنا لا أطلب منكم أجراً على تبليغي رسالة الله إليكم كما لم يطلب من سبقني من الأنبياء وإنما أردتُ التذكير والعظة.

وذكر الله تعالى قبل هذه الآية : أنه ميّز سيدنا إبراهيم بأبناء صالحين وذكر أسماء الأنبياء الذين ميّزهم بثلاثة أمور : بالنبوة ، وبالكتب المنزلّة ، وبالقضاء بين الناس بالعدل . وإذا كان بعضهم لم ينزل عليه كتاب فقد مكّنه الله بالإحاطة بما نزل على غيره ممن سبقه ، فإن يكفر يا محمد هؤلاء المعاندون لك من كفار قريش بما منحناك من هذه الأمور الثلاثة مع ظهور الحق لهم فقد وفقنا بعض قومك للإيمان بها ووكلائهم بأمر رعايتها والاستمرار على الإيمان بها .

وهذه الهداية من المولى جلّ شأنه لأنه وحده الذي يختص بالهداية من يشاء من عباده ، ولو اتخذ هؤلاء الأنبياء لله شريكاً لكانوا مع فضلهم وعلو مقامهم مثل غيرهم في سقوط أعمالهم وعدم الثواب عليها ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ : ١٩ ، ولما اختار هؤلاء الأنبياء

وهداهم إلى طاعته . هدى بعض آبائهم وأبنائهم وإخوانهم كذلك : ﴿ وَمِنَ آبَائِهِمْ
 وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنَبِيَّتِهِمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ : ٨٧ فهدى الله أبناء سيدنا
 إبراهيم وهم : إسحاق ويعقوب كما هدى نوحاً من قبل ومن ذرية نوح : داود
 وسليمان ابنه ، وأيوب ويوسف بن يعقوب وموسى وهارون أخاه الأكبر ، وقد جازاهم
 الله على طاعتهم أحسن الجزاء ، قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا
 هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ٨٤ ، ومن ذرية نوح أيضاً : زكريا وابنه يحيى وعيسى ابن
 مريم وإلياس وكل منهم اشتهر بالزهد والصلاح والتقوى ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ
 كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : ٨٥ ، وإسماعيل بن إبراهيم واليسع ويونس ولوط ابن أخي
 إبراهيم وقد فضّلهم الله جميعاً على غيرهم من الناس بالنبوة : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
 وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ : ٨٦ .



إظهار ظاهرة الوحي للأنبياء

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ **قُلْ** مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قِرَاطِينَ بُدُونَهَا وَمُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ **قُلْ** اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ الأنعام: ٩١ - ٩٢

قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ ﴾ قال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له : مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : " أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين " وكان حبراً سميناً ، فغضب ، وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ، ولا على موسى ! فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قال ابن عباس في رواية الوالبي : قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال : " نعم " ، قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ ﴾ .

إنَّ اليهود ما عظموا الله التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته حين أنكروا رسالة الرسل وإنزال الكتب عليهم . فقل لهم يا محمد إن الله تعالى قد أنزل التوراة على موسى التي انقضت بها ظلمات الكفر والشرك الذي ورثه آباؤكم عن المصريين ، وجاءت هداية لكم من الضلال . فلم لا تجوزون إنزال القرآن على محمد؟ على إنكم جعلتم التوراة أوراقاً متفرقة تكتبونها على حسب أهوائكم .

تُظهرون منها ما تشتهون وتُخفون ما لا تحبون إظهاره كنعتي فيها ، ورجم الزاني المحصن ، وعلمتم أيها اليهود من القرآن ما لم تكونوا تعلمونه أنتم وآباؤكم ، زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليكم وأختلفتم فيه ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل: ٧٦ وقوله : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ المائدة: ١٥

وهذا الكتاب القرآن الكريم أنزلناه عليك يا محمد ، وهو كتاب كثير النفع والفائدة مصدق الذي قبله من الكتب من توراة وإنجيل وغيرها ولتنذر به أهل مكة ومن حولها في مشارق الأرض ومغارها ، وسُميت مكة أم القرى ، لأن فيها الكعبة التي يحج الناس إليها ويجتمعون فيها كل عام ولأنها كانت في ذلك العهد من أعظم قرى الحجاز شأنًا والذين يؤمنون بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب يؤمنون بهذا الكتاب لأن من صدق بالآخرة خاف العقاب فلا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبير حتى يؤمن بالنبي وما أنزل عليه من القرآن ويحافظ على أداء الصلاة لأنها عماد الدين وعلامة الإيمان ورأس العبادات .

ما كان لرسول الله أن يأتي بأية إلا بإذن الله

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا
الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقِلَبُ
أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩ - ١١١

عن محمد بن كعب قال : كَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرِيشَ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ تَخْبِرُنَا
أَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ مَعَهُ عَصَا ، ضَرَبَ بِهَا الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، وَأَنْ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَحْيَى الْمَوْتَى ، وَأَنْ ثَمُودَ كَانَتْ لَهُمْ نَاقَةٌ ، فَاتَّانَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْآيَاتِ
حَتَّى نَصَدِّقَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَيُّ شَيْءٍ تَحِبُّونَ أَنْ آتِيَكُمْ " فَقَالُوا : تَجْعَلْ لَنَا
الصِّفَا ذَهَبًا ، قَالَ : " فَإِنْ فَعَلْتُ تَصَدَّقُونِي " قَالُوا : نَعَمْ وَاللَّهِ ، لَعَنَ فَعَلْتُ لَتَتَّبِعَنَّكَ
أَجْمَعِينَ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو ، فَجَاءَهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : " إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصِّفَا
ذَهَبًا ، وَلَكِنْ لَمْ أَرْسَلْ آيَةً فَلَمْ يَصْدُقْ بِهَا إِلَّا أَنْزَلْتُ بِالْعَذَابِ وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُمْ حَتَّى
يَتُوبَ تَائِبُهُمْ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَتْرَكُهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ : ١١١ . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

لأن جاءتهم معجزة من مقترحاتهم ليصدقوا بك يا محمد بسببها فقل لهم : ما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذنه ومشئته، والآيات كلها في حكمه ورضائه، يتصرف فيها حيث يشاء، وهو وحده القادر عليها وما يدريكم أن الآية المقترحة إن جاءت لا يؤمنون بها.

ونحوّل قلوبهم عن الحق فلا يدركونه وأبصارهم عن النور فلا يبصرونه وهم لا يؤمنون كما لم يؤمنوا بما أنزل من الآيات من قبل وتتركهم في ضلالهم يتحIRON، حتى يروا العذاب الأليم، فعندما يتتبهون عن غفلتهم ويعلمون أن الله هو الحق المبين.

اللهم ثبت افتدتنا وأبصارنا على الحق واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



إنذار لكفار قريش

﴿ قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ

تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ الأنعام: ١٣٥

إن الله غني عن عبادة الناس له فليس في حاجة أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا ولكن الإيمان رحمة للناس لأن فيها سعادة الدارين. إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ويستبدل قوماً غيركم يحبهم ويحبونه ، وأنذرهم أيضاً : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴿ الأنعام: ١٣٤ أي أخبرهم إن الجزاء الأخروي كائن لا محالة وإن صرتم تراباً وعظاماً وهو القاهر فوق عباده.

فإذا استمروا على طريقتكم وكنتم تظنون أنكم على هدى فأنا مستمر على طريقتي ونهجي كما قال الله في آية أخرى ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٣٢﴾ هود: ١٢١-١٢٢ .

إنكم سوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المحمودة نحن أم انتم ؟ إنه لا يفلح ولا ينجح الظالمون بالكفر بنعم الله تعالى واتخاذ الشركاء له في ألوهيته ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَا لِكُنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَسَّ كُنْتُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿إبراهيم: ١٣-١٤ وقوله تعالى (اعملوا) : إنكم سترون عاقبة عملكم الفاسد وهذا وعيد وتهديد لهم. سوف لا ينجح سعيكم ولا تظفرون بشيء مفيد.



التشريع الباطل للمشركين

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ
 ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي
 بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ
 قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
 الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ الأنعام: ١٤٣ - ١٤٤

خلق الله من الأنعام أنواعاً مختلفة من يصلح للحمل والعمل والركوب ومنه من يتخذ فرشاً ان يفرش على الأرض للذبح ، كلوا مما رزقكم الله وانتفعوا بلحوم الأنعام وألبانها وأوبارها وشعرها وصفوها ولا تتبعوا خطوات الشيطان بتحريم ما أحل الله لكم أو إحلل ما حرّم فإن الشيطان لكم عدوٌ مبين .

وهذه الأنعام ثمانية أزواج، وهي الإبل والبقر والغنم والمعز، وكل منها ذكر وأنثى : كبش ونعجة، وتيس وعنزة، وجمل وناقة، وثور وبقرة، فما الذي حرّم الله عليكم أيها المشركون ؟ أحرّم الذكرين من الجمل والثور أم حرّم الأنثيين من الناقة

والبقرة؟ أم حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ لم يحرم الله شيئاً من ذلك إذا ذبح، فأخبروني عن دليل لكم في التحريم إن كنتم صادقين في إدّعاءكم، إنكم لكاذبون فيما زعمتم. وهل كنتم حضوراً شهوداً شاهدتم ربكم فوصاكم وأمركم بهذا التشريع، فمن أظلم ممن أفتى على الله الكذب لإضلال الناس جهلاً بغير علم، والله تعالى جزاء لهذا الظلم لا يوفق للرشاد فمن افتى على الله الكذب لا يهديه إلى الحق والعدل.



مقارنة بين المحرمات في شريعتنا وشريعة اليهود

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٥ - ١٤٦

قل أيها الرسول لهؤلاء المفترين على الله: لا أجد فيما أوحى إلي من المولى جل شأنه طعاماً محرماً على أكل يأكله من ذكر أو أنثى، وفيه رد على مشركي العرب الذين يقولون: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا إلا أن يكون الطعام:

١- ميتة وهي التي لم تذبح ذبيحاً شرعياً لاحتباس الدم وهو مسرح الجرائم فيها أو موتها ناشئاً عن وباء تنتقل عدواه إلى من يأكل منه.

٢- أو دماً سائلاً يصب في الأمعاء ويشوى فخرج بهذا الدم الجامد (الكبد والطحال)، وكان العرب يأخذون ما يراق من دمه عند الذبح ويطهونه على النار ويأكلونه أو يشربونه سائلاً.

٣- أو لحم خنزير فإنه قدر لتعود الخنزير أكل النجاسة والقذارة.

٤- أو فسقاً وهو ما نودي عليه بغير اسم الله عند ذبحه، وقد كان العرب يرفعون أصواتهم بأسماء أصنامهم عند ذبح الذبائح. فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من هذه الأصناف الأربعة فأكل غير قاصد من أكله التلذذ أو متجاوز قدر الضرورة الذي يمسك الرمق فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذ.

وليس المراد إن ما عدا هذه الأربعة غير محرّم فقد بيّنا في سورة المائدة المحرمات مفصلاً ثم حرّم رسول الله ﷺ كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم المنخنة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وغيرها من المحرمات.

وقد حرّمنا على اليهود فوق هذه الأربعة وهو تحريم مؤقت عقوبة لهم: كل ذي ظفر وهو ما له أصبع من طير أو حيوان ومنه ما ليس منفرج الأصابع كالإبل والنعام والإوز والبط وحرّمنا من البقر والغنم شحومهما لا لحومهما والمراد بالشحوم الطبقة الرقيقة من الدهن التي تغطي الكرش والأمعاء وشحوم الكليتين ويستثنى ما حرّم من الشحوم:

أ. الشحوم التي علقت بظهور البقر والغنم.

ب. الشحوم التي اشتملت على الأمعاء والتفت عليها.

والشحوم التي اختلطت بالعظم كشحم الالية لاتصالها بالعصعص فقد أحل الله لليهود هذه الشحوم وحرّم عليهم غيرها.

ذلك التحريم جزينا به اليهود بسبب ظلمهم لقتلهم الأنبياء بغير حق وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل. ولكن اليهود ينكرون ذلك التحريم ويقولون إنّ ما حرّم علينا محرّم على غيرنا من الأمم الأخرى.



المحرمات وأسباب التحريم

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

﴿ ١٤٧ ﴾ الأنعام: ١٤٧

إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء فنزلت الآية : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ : ١٤٥ ، وذكرت هذه الآية أنواع المحرمات جملة : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ : ١٤٥ وقد فصل التحريم آية ٣ من المائدة ، ثم حرم رسول الله ﷺ : أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير .

أمر الله نبيه أنه لا يوجد في القرآن تحريم إلا أربعة أنواع وهي : الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل وذبح ولم يذكر اسم الله عليه ، لما فيها من ضرر صحي يؤذي الجسد أو ضرر يمس الاعتقاد بالقرابين المقدمة المذبوحة إلى الأصنام ، أما الدم الجامد وهو الكبد والطحال فحلال أكله عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : " أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَانِ وَدِمَانِ ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ ، فَالْحَوْثُ (السّمك) وَالْجِرَادُ ، وَأَمَّا الدِّمَانِ ، فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ " [سنن ابن ماجه - كتاب الأطعمة]

أما الأشياء التي حرمها الله على اليهود فهو تحريم مؤقت عقوبة لهم لا لذات الأشياء كما قال تعالى : ﴿ فَيُظَلِّمِينَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٦٠

وأنصب التحريم على شيئين : الأول كل ما له ظفر وهو ما ليس متفرج الأصابع كالإبل والنعام والإوز والبط ، والثاني الشحوم الزائدة التي تنزع بسهولة على البقر والغنم دون غيرهما وهي ما على الكرش والكلبي فقط أما شحوم الظهر (السنام) والذيل (الالية) فليست محرمة لقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ الأنعام: ١٤٦ والحوايا : الأمعاء ، وهذا التحريم بسبب الظلم والبغي والربا وأكل أموال الناس بالباطل وتكذيب لليهود في قولهم : إن الله لم يحرم علينا شيئاً وإنما حرّمنا على أنفسنا ما حرّمه إسرائيل على نفسه ، فإن كذبوك فقل لهم : إن الله ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم ، ولا تغتروا أيضاً بسعة رحمته ، فإن الله عذاباً لا يُردُّ عن القوم المجرمين أما يعذبهم به في الدنيا فيحبط عملهم وأما في الآخرة وهذا أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد.

ترغيب في امتثال أوامر الله والعمل بها ، وترهيب من مخالفة الله والرسول فعقابه شديد أليم.



لله الحجة البالغة وهي القرآن الكريم

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا
 مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۚ قُلْ هَلْ
 عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾
 قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا
 تَشْهَدُ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا ۖ بِغَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ الأنعام: ١٤٨ - ١٥٠

سيقول الذين أشركوا: إن شركنا وتحريمنا لما حرمنا إنما هو واقع بمشيئة الله لأن الله راضٍ عنه ، وبذلك يكون مشروعاً مأذوناً فيه لنا وهذه مغالطة وكذب لأن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، وإن المشركين يتبعون الظنّ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى أتاهم الله بعذاب من عنده وذاقوا وبال أمرهم وكفرهم وتكذيبهم على الله تعالى.

قل لهم يا محمد: إن لم تكن لهم ما تزعمون أو علم تعتمدون عليه بأن الله راضٍ عنكم وعن شرككم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتظهِروهُ لنا إنكم ما

تتبعون ما زعمتم إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئاً وما أنتم إلا تكذبون على الله سبحانه وتعالى.

قل لهم يا محمد : فإن لم تكن لكم حجة على ما تزعمون ولن تستطيعوا أن تأتوا بأية حجة فاعلموا أن الله البينة الواضحة وهي القرآن الذي أفحمكم وعجزتم أن تأتوا بمثله ولو بأقصر سورة منه ولو شاء الله لهداكم جميعاً ولأضاء قلوبكم بنور الإيمان ولكن جرت سنة الله في خلقه أن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين يعلمونهم ويرشدونهم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.

قل لهم يا محمد : احضروا شهداءكم وقادتكم الذين أضلوكم وأعلنوا أن الله حرم هذا الذي حرمتوه على أنفسكم من البحائر والسوائب وغيرها إن استطعتم ، فإن أحضروهم فرضاً وشهدوا فلا تصدقهم وبيّن لهم فساد ما يقولون. ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم برهم يعدلون أي يجعلون الله عديلاً في العبادة.



الوصايا العشر

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَيَّكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وِإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا
الْأَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها
خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هذه الآيات: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ - الآية
إلى قوله - ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ هذا حديث حسن غريب. [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب
تفسير القرآن]

وقال الحاكم في مستدرکه : عن عبد الله بن خليفة ، قال : سمعتُ ابن عباس رضي الله عنهما ، يقولُ : إنَّ في الأنعام آياتٍ مُحكماتٍ ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، ثم قرأ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ " ثم قرأ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ حتى ختم الآيات الثلاث ، فمن وَفَى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، ومن انتقص شيئاً أَدْرَكُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عَقُوبَتُهُ ، وَمَنْ أَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ " [المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب التفسیر]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أقبل رجلٌ إلى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله ، قال : " فهل من والديك أحدٌ حيٌّ ؟ " قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : " فتبتغي الأجر من الله ؟ " قال : نعم ، قال : " فارجع إلى والديك فأحسِّنْ صُحْبَتَهُمَا " [صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب]

قل أيها الرسول : تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم :

١- ألاّ تشركوا به إلهاً غيره ولا تعبدوا سواه كالأصنام ولا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ولا تذكروا غير أسم الله على ذبائحكم .

٢- الإحسان إلى الوالدين والدعاء لهما ﴿ رَبِّ اَرْحَمَهُمَا كَأَرْبَابِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء : ٢٤ ، والإنفاق عليهما وعدم الإساءة لهما ولو بكلمة أف .

٣- ولا تقتلوا أولادكم من الفقر ، فقد تكفل الله برزقهم .

٤- وعليكم أن لا تقربوا الكبائر من الذنوب كالزنا والسرقه وشرب الخمر والتجسس والنميمة سواء منها ما ظهر وما بطن .

٥- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق كقتل القاتل عمداً وقتل المرتد عن الإسلام.

هذه التكاليف الخمسة أيها الناس وصاكم بها لعلكم تستعملون عقولكم فيها فتمتنعوا عنها وعن ارتكاب هذه المعاصي لأن العقل فيها مناط التكليف ولذلك ختمت بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

٦- لَمَّا نَزَلَ اللَّهُ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية ، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ النساء: ١٠ الآية ، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِيهِمْ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَخَلَطُوا بِطَعَامِهِمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ بِشَرَابِهِمْ﴾ [تفسير ابن كثير]

وعليكم أن لا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالوسيلة التي يكون بها صلاح ماله وصلاح نفسه كاستثمار المال في التجارة أو الزراعة أو نحوها وتعليم اليتيم وتربيته إلى أن يبلغ سن الرشد فادفعوا إليه ماله.

٧- وأوفوا الكيل والميزان بالعدل والحق ولا تنقصوا المكيال والميزان وزنوا بالقسطاس المستقيم.

٨- وإذا قتلتم قولا في حكم أو شهادة فعليكم أن تعدلوا ولو كان المقول له من ذوي القربى فإن في الظلم وشهادة الزور تضييعاً للحقوق وخيانة للأمانة.

٩- وعليكم أن توفوا بالعهود من تأدية الأحكام أي أحكام الشرع من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها ومن الفضائل كالصدق والأمانة والرفق.

وما ذكر من التكاليف الأربعة أيها الناس وصابكم الله بها لعلكم تتذكرونها فتوفقوا إلى السداد وتهتدوا إلى سبيل الرشده فهذه الوصايا تتطلب الاجتهاد والذكر الكثير فلذلك ختمت بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

١٠- وحّد الله تعالى في الآية القرآنية (سَبِيلِهِ) لأن الحق واحد وجمع (السُّبُل) لأن طرق الضلالة كثيرة ومتشعبة. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال : " هذه سبيل الله " ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال : " هذه سُبُلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه " ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [رواه الدارمي]

وأوصيكم بإتباع الأوامر والنهي عن المرثيات وذلك هو الدين القيم والمستقيم والمنهاج الذي يوصل إلى مرضاة الله تعالى فعليكم أن تتبعوا سبيل الهدى طريق الرشاد ولا تتبعوا الطرق المخالفة له فتضلوا عن سبيل الله. هذا الإلتباع أيها المكلفون وصابكم به ، فمن أتبع هذا الصراط فقد وقاه الله عذاب النار لو اتقى الضلال والميل عن الحق ولذلك ختم هذه الوصية بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .



سارعوا إلى الإيمان لتنالوا المغفرة

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٨

المراد بالملائكة هنا ، هم ملائكة الموت الذين يقبضون أرواحهم : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ النحل: ٣٣

إنهم ينتظرون أحد أمور ثلاثة، مجيء الملائكة أو مجيء ربك بحسب اقتراحهم بقولهم : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٩٢ أو مجيء بعض آيات ربك : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِشْفًا ﴾ الإسراء: ٩٢ ونحو ذلك من الآيات التي علقوا بها إيمانهم.

وهذا يدل على تماديهم في الإيمان وتكذيبهم. هل ينتظرون مجيء الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب يوم القيامة أم هل ينتظرون مجيء بعض آيات ربك الدالة على قرب قيام الساعة ؟ يوم يأتي بعض آيات الله القاهرة الموجبة للإيمان الاضطراري كطلوع الشمس من مغربها. لا ينفع هذا الإيمان نفساً لم تكن آمنت من قبل ويسمى هذا إيمان اليأس مثل إيمان فرعون حينما أشرف على الغرق ، ولا ينفع الإيمان قبل الغرغرة ووصول الروح إلى الحلقوم وذلك لذهاب زمن التكليف.

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه " [صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار]

قل لهم يا محمد على سبيل التهديد والوعيد : سترون من يحق كلامه فانتظروا نزول العذاب الساحق بكم إننا منتظرون أمر ربنا ووعدُهُ الصادق لنا بالنصر، إنكم تنتظرون الهزيمة لنا ولفكرنا وعقيدتنا ونحن نتظر مجيء العذاب الشديد على بغيكم وعدوانكم وإعراضكم عن الصراط المستقيم.



إتباع ملة إبراهيم عليه السلام

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

الأنعام: ١٦١ - ١٦٣

قل للناس كافة أيها الرسول : إن الله أرشدني بالوحي إلى الدين الصحيح الذي لا عوج له ولا يضل سالكه وهو الدين القويم الثابت الذي لا ينسخه دين آخر دين جدِّي إبراهيم ، البعيد عن الشرك والباطل الذي يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

قل لهم أيها الرسول : إن المستحق لصلاتي وعبادتي كلها والذي بيده حياتي وموتي هو الله وحده لا شريك له وقد أمرني أن أبلغ رسالته للناس كافة ، وأنا أول مصدق به منقاد له مخلص في إتباعه.



ربنا الله هورب كل شيء

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا
وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَرَزَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

الأنعام: ١٦٤ - ١٦٥

قل يا محمد للكفار: أغير الله أبغي رباً أشركه معه في عبادته وهو مالك كل شيء في هذا الكون؟ فكيف تطلبون مني أن أعبد أيها الجاهلون وكيف تستغيثون أن يكون بعض خلقه شريكاً له وكيف يصح قولكم: اتبعوا سبيلنا ونحن نحمل خطاياكم مع أنه لا تزر وازرة وزر أخرى - أي لا تحمل نفس إثم نفس أخرى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر: ٣٨، فلا تحمل نفس فوق حملها من الآثام حمل نفس أخرى فكل نفس مأخوذة بجرمها ثم إلى الله المصير يوم القيامة فينبئ الخلائق بما عملوا من الحق والباطل.

وقد اقتضت سنة الله في خلقه لبقاء هذا الكون ونظامه أن يخلف بعضهم بعضاً إلى حين قيام الساعة. وأن يرفع بعضهم فوق بعض درجات في القوة والمال والعلم. وقسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ليسخر بعضهم بعضاً في العمل له فالناس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا. وليعامل الله الناس فيما أعطاهم من القوة والمال

والجاء والعلم وغيرها ليظهر المطيع من العاصي ويميّز من يشكر نعمة الله عليه ممن طغى وبغى وعصى الله وآثر الحياة الدنيا الفانية على الأخرى الباقية ، إن الله سريع العقاب لمن عصاه وإنه غفور رحيم بالمحسنين والمؤمنين وسعت رحمته كل شيء.



التيحة للموطينه

تشریح اللہ (العدل والاستقامة)

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَا يَأْمُرْ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأعراف: ٢٨ - ٣١

عن الضحاک ، في قوله : ﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية ، " كان ناسٌ من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا يطوفون به عراً ليلاً ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا في المسجد " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] وهؤلاء الذين يطوفون بالبيت عراً حينما نهاهم عن ذلك يقولون كذلك وجدنا آباءنا يفعلون. ونحن مقتدون بهم وهؤلاء الذين يفعلون المنكر يدعون أن الله أمرهم بهذا !! فأخبر الله نبيه أنه لا يأمر عباده بفعل القبائح وينكر عليهم أشد الإنكار، إنهم ينسبون إلى الله ما لم يأمر به.

ويأمر الله نبيه أن يقول لهم : إن ربي أمر بالعدل وأمر أن يوجه الناس وجوههم عند صلاتهم إلى الكعبة، وأن يجعلوا قيامهم وسجودهم وركوعهم خالصاً لوجه الله تعالى دون غيره وأن تكون الطاعة لله ، لا لصنم ولا لوثن وإن الناس سيبعثون يوم القيامة وعلى الوضع الذي كانوا فيه في الدنيا يكونون في الآخرة.

فَسعيد الدنيا بالإيمان والطاعة والعبادة والإخلاص سعيد في الآخرة، والشقي في الدنيا بالكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي شقي في الآخرة وهكذا نبعث كل نفس على ما كانت عليه.

وإن الذي خلقكم أول مرة من العدم وجعل منكم أشقياء وسعداء قادر على إعادتكم حين البعث ويجعل منكم أشقياء وسعداء، فالأشقياء الذين ضلوا هم الذين ركنوا إلى الشياطين، واتخذوهم أنصاراً لهم، ولم يستمعوا لنصيحة الناصحين، ظانين أنهم على هدى، وأن غيرهم على ضلال.

إن الله أمر الناس والقبائل الذين كانوا يطوفون عُرة ، نهاهم عن ذلك وأمرهم أن يلبسوا ما يستر عوراتهم عند الذهاب إلى المساجد وعند الطواف وأن لا يبالغوا في التقشف عن الأكل والشرب بل لهم أن يأكلوا ما أحل الله لهم ويشربوا ما أحل الله لهم، قال الكلبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ، ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم ، يعظمون بذلك حجهم ، فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك. فأنزل الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا ﴾ أي اللحم والدسم. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]... بحيث لا يكون في أكلهم إسراف ، والذين يسرفون في لباسهم وطعامهم وشرابهم لا يحبهم الله، ويكفي من الأكل ما يسد الجوع ومن الشراب ما يطفى الظمأ.



إباحة الطيبات والزينة

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

سبب نزول هذه الآية ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ... الآية ﴾ والآية التي قبلها : هو الأمر بارتداء الثياب الساترة.... عن ابن عباس ، قال : " كانت المرأة تطوف في الجاهلية وهي عُريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول :

اليوم يبدو كلُّه أو بعضه فما بدا منه فلا أُحِلُّه

فنزلت : ﴿ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ و ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ " [تفسير ابن

أبي حاتم]

وعن الزهري ، " أن العرب ، كانت تطوفُ بالبيتِ عُرَاءَ ، إلا الحُمسَ : قريش وأحلافهم ، فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثيابِ أحمس ، فإنه لا يحلُّ له أن يلبس ثيابه ، فإن لم يجد من يعيره من الحُمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عُرياناً ، وإن طاف في ثيابٍ نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراماً عليه ، فلذلك قال :

﴿ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

فهؤلاء الذين يحرمون على أنفسهم طيبات ما أحلَّ الله لهم هم الذين حرّموها ولكن الله لم يحرمها فإن من المباحات التزين بالملبس الجميل متى كان ذلك في

حدود. والمسلم يتجمل عند الذهاب إلى المسجد ويتجمل عند التزاور ويلبس شتاءً لباسه الملائم وفي الصيف لباسه اللائق به. مراعيًا في ذلك قدرته، ومفرقًا بين التجمل والتبرج ففي التجمل وقار وكمال وفي التبرج ميوعة وتخنث.

وأما الطيبات من الرزق التي لم يحرمها الله فهي التي تطيب كسبًا وتطيب طعامًا، وتطيب دينًا. فيأتي صاحبها بعرق جبينه ومن طريق حلال وتكون مستلذة، فالطعام الذي يجمع هذه الصفات هو الذي وصفه الله تعالى بأنه (الطيبات من الرزق) فكيف يحرمه الناس على أنفسهم؟ ولنا أسوة في رسول الله ﷺ فإنه ما امتنع عن طعام من أجل طيبه قط. فأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب ولكنه كان يكره المبالغة والتكلف والمداومة وشغل النفس بما يشبع البطن. هذه الأشياء مباحة في الدنيا للمؤمنين ويشاركهم فيها غيرهم من الكافرين أما في الآخرة فهي خالصة للمؤمنين دون سواهم ويمثل هذا التفصيل الذي فصله الله تعالى في الحلال والحرام يفصل الله آياته ودلائله وحججه للذين يعلمونها ويفهمون مدلولها.



أصول المحرمات الضارة بالفرد والجماعة

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ الأعراف: ٣٣

إن التحريم من الله تعالى مرتبط بالضرر والأذى للإنسان نفسه وليس التحريم أمراً اعتبارياً أو عبثاً لا يخدم هدفاً ولا يؤدي غرضاً أو مصلحة أو يدرأ مفسدة.

لما لبس المسلمون الثياب بأمر الله تعالى وطاقوا بالبيت الحرام عيبرهم المشركون بذلك فقال الله لنبية المصطفى ﷺ:

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين حرّموا ما أحلّ الله من الطيبات والرزق واللباس. إن الله حرم خمسة أشياء ضارة بالفرد والجماعة هي:

١- الفواحش ما ظهر منها وما بطن: أي الجهرية والسرية، وهي كل فحش أو قبح من الأعمال ما ظهر للناس وما خفي، مثل: الزنا والربا والسرقة والقتل والخيانة وإذاعة السوء والخروج عن الجماعة وتفويت الأمة والهدم بغير حق. وغير ذلك من ذنب خطير أو إساءة بالغة ويعد كل ما حرّمه الشرع فهو فاحش وكذلك لباس الحرير والذهب ولو خاتماً للرجال ونحوه مما يرتكبه الإنسان ظاهراً أو باطناً.

٢- حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى الإِثْمَ : وهو لفظ عام يشمل جميع الأقوال والأفعال التي يتعلق بمرتكبها إثم أو ذنب وهو الصغائر وقال بعض الناس : الإثم هي الخمر، محتجاً بقول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

٣- البغي : وهو الظلم وتجاوز الحد في الفساد والاعتداء على حقوق الآخرين سواءً أكان التعدي مبتدئاً أو ما كان صاحبه منتصراً فإذا جاوز الحد في الانتصار فهو باغ (البغي بغير الحق) وما كان بحق لا يكون بغيًا.

٤- الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ : وهو أقبح الفواحش، وهو أن تجعل مع الله إلهًا آخر من صنم أو وثن أو كوكب أو ملك أو إنسان لم تقم عليه حجة من عقل ولا برهان من وحي، وسميت الحجة سلطانًا : لأنها ترجح قول الخصم على غيره. ويكون لها تأثير على قول السامع وفكره، والشرك لا دليل له ولا حجة من عقل أو نقل. قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون : ١١٧. وهذا يدل على أن البرهان أساس بناء العقيدة وأن الإيمان لا يقبل بغير وحي من الله يدعمه الدليل والبرهان.

٥- التَّقْوَلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا عِلْمٍ : كالاتراء والكذب على الله بادعاء أن له ولداً أو شريكاً وتحريم المواشي من بحيرة وسائبة ووصيلة وحام، وتحليل الحرام وتحريم الحلال بلا سند ولا حجة وهذا سبب تحريف الأديان وأتباع الهوى والشيطان وتخطي الشريعة باسم الاجتهاد.

هذه الآية شملت تحريم جميع الجنايات.

جنايات على الأنساب : كالزنا والقذف.

جنايات على العقول : كشرب الخمر وتناول المخدرات.

جنايات على الأعراض : تجاوز حقوق الإنسان والمس بكرامته.

جنايات على النفوس والأموال : إلحاق الظلم بالآخرين والسرقة والنهب

والسلب.

جنايات على الأديان : كالطعن في توحيد الله وسب الرسول ﷺ ووصف بعض

الأنبياء بصفات لا تليق بهم. وهم المعصومون من الأخطاء والكبائر والصغائر.



رسول الله إلى الناس كافة

﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿ ١٥٨ ﴾ الأعراف: ١٥٨

إن الرسالة الإسلامية عامة شاملة وإن بعثة النبي ﷺ إلى الناس كافة يدعوهم إلى الإيمان به وبشريعته وهذا أمر من الله تعالى ومعنى الآية: انه قل يا محمد لجميع البشر من عرب وعجم، بيض أو سود، حمر أو صفر، إني رسول الله إليكم جميعاً. كما جاء في آيات أخرى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨، ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنذَرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام: ١٩، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١.

وأكدت الأحاديث الثابتة الصحيحة باختصاصه بالرسالة العامة:

عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُعْتَرُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً " [صحيح البخاري -

كتاب التيمم، وصحيح ابن حبان]

ثم وصف الله تعالى نفسه بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وبالإحياء والإماتة فقال ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، أي أن الله الذي أنا رسوله هو من له التصرف في السموات والأرض وتدبير الأمور كلها.

وتوحيد الربوبية بالإيمان، وتوحيد الألوهية بالإيمان والعمل أي بعبادة الله وحده وهما أصل الدين والركن الأول في العقيدة، والركن الثاني الإيمان برسالة محمد ﷺ والركن الثالث عقيدة البعث بعد الموت وهي تتضمن الإحياء والإماتة وتصرف الرب في خلقه.

فآمنوا أيها الناس بالله الواحد في ربوبيته وألوهيته ، الذي يحيي ويميت، وآمنوا برسوله النبي الأمي الذي بعثه في الأميين رسولا إلى الخلق كافة يعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من خرافات الشرك والجهل والتفرق ليكونوا أمة واحدة.

﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أي يؤمن بتوحيد الله وكلماته التشريعية التي أنزلها لهداية خلقه على السنة رسله وهي مظهر علمه ورحمته وكلماته التكوينية التي هي مظهر قوته وإرادته وقدرته وحكمته.

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي أسلكوا طريقه واقتفوا أثره في كل ما يأتي من أمور الدين لغرض سعادتكم في الدنيا والآخرة وتلك هي الثمرة التي تجني منهما .



أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟؟

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا **قُلْ** إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا **قُلْ** إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

الأعراف: ١٨٧

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا ﴾ عن قرظة بن حسان قال : سمعت أبا موسى في يوم الجمعة على منبر البصرة يقول : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد ، فقال : " لا يعلمها إلا الله ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن سأحدثكم بأشراطها وما بين يديها ، إن بين يديها ردمًا من الفتن وهرجًا " فقيل : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : " هو بلسان الحبشة القتل ، وأن تحصر قلوب الناس ، وأن يلقي بينهم التناكر ، فلا يكاد يعرف أحداً ، ويرفع ذوو الحجى ، وتبقى رجاجة من الناس لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

يسألونك أيها النبي عن وقت الساعة (القيامة) متى يكون، ومتى يحصل؟ قل لهم : إن علم الساعة مقصور على الله تعالى وحده فلا يطلع على غيبه أحد من الخلق، ﴿ إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ فصلت: ٤٧ .

لقد خفي علمها على أهل السموات والأرض ولا يعلم بها أحد من الملائكة
والأنبياء، وكل ما خفي علمه فهو ثقيل على النفس وهي لا تأتي إلا فجأة وعلى غفلة
والناس مشغولون في شأن الدنيا ومصالحها.

قال الرازي: السبب في إخفاء الساعة عن العباد: هو أن يكونوا على حذر منها
فيكون ذلك ادعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية.



لا يستطيع الرسول دفع الضرر أو جلب النفع إلا بمشيئة الله

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ الأعراف: ١٨٨ ﴾

بين القرآن الكريم حقيقة وضع النبي ﷺ ومدى معرفته بالغيب فقال تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ .

أي قل أيها الرسول للناس : إني لا أملك لنفسي ولا لغيري جلب أي نفع أو دفع الضرر إلا بمشيئة الله تعالى وقدرته فيلهمني إياه ويوفقني له . وهذا يدل على إظهار العبودية لله والتبري من إدعاء علم الغيب، فالغيب لله وحده ووظيفة الرسول تبليغ الوحي المنزل عليه من ربه والتعليم والإرشاد فإن الرسول بشر كسائر الناس ...

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴾ الكهف: ١١٠

والله أمر نبيه أن يعلن للناس : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ كالمال ونحوه من المنافع ولما أصابني السوء وتجنبنا الشر ، ليس لي مزية عن البشر وإنما أنا نذير للكفار لعدم طاعة الله وبشير للمؤمنين بجنات النعيم ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴾

مريم: ٩٧ .

حقيقة العبادات من دون الله

﴿ أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ قُلْ أَذَعُوا شُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ الأعراف: ١٩٥ - ١٩٨

عن عبد الله بن عمر ، قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ، ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : " ما المسئول عنها بأعلم من

السائل " قال : فأخبرني عن أمارتها ، قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ، قال : ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي : " يا عمر أتدري من السائل ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

أراد الله بهذه الآيات إثبات التوحيد وإبطال الشرك عن طريق كشف حقيقة الأصنام والأوثان ونحوها من المعبودات من دون الله وكونها جمادات لا تفهم ولا تعقل .

ألهذه الأصنام أرجل يمشون بها أم أيدي يبطشون بها أم أعين يبصرون بها أم آذان يسمعون بها ، إنها حجارة صماء أو طين وماء أو عجوة وحلاوة قل لهم يا محمد لهؤلاء الوثنيين : نادوا شركاءكم وآلهتكم من دون الله واستنصروا بها عليّ وتعاونوا معها على كيدي وإضراري دون تأخير ولا إمهال أنتم وشركاؤكم فلا أبا لي بكم .

ثم أعلن الرسول ﷺ ثقته العالية بالله مع قلة الأعوان والمناصرين في مكة فقال بأمر ربه : ﴿ إِنِّي وَلِيُّ اللَّهِ ﴾ فهو حسبي وكافيني وهو عوني ومتولي أمري في الدنيا والآخرة عليه اتكالي واليه الجأ وهو سبحانه وتعالى الذي نزل عليّ القرآن الذي يدعو إلى التوحيد وينبذ الشرك وأعزني برسالته وهو الذي يتول كل صالح بعدي . وهو كل من صلحت عقيدته وسلمت من الخرافات والأوهام وصلحت أعماله .

ثم إن الذين تدعون من دون الله وتعبدونهم وتطلبون منهم النصر ودفع الضر عنكم ، إنهم عاجزون عن ذلك وهم لا يهدوكم إلى سواء السبيل ولا يسمعون دعاءكم وتراهم ينظرون إليكم بعيون صناعية من زجاج أو خزف أو عقيق وهم لا يبصرون شيئاً ولا يدركون المرئيات لأنهم لهم صورة الأعين لا حقيقتها فلا يرون شيئاً وهم فاقدو السمع والبصر .

وسوسة الشياطين للكفار

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا **قُلْ** إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

مِّن رَّبِّي ۚ هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

الأعراف: ٢٠٣

من وسوسة الشياطين إلى الكفار إنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يأتيهم بآيات يقترحون بها عليه كقولهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً فإذا لم يتحقق ذلك قالوا: هلاً اقترحتها على ربك، إن كنت صادقاً في أنك رسول من عنده فأمر الله رسوله أن يردّ عليهم بأنه ليس له أن يقترح على الله، أو أن يرسم له ما يفعل وإنما هو رسول يوحى إليه ويأمره الله فيتبع ذلك.

وهذا القرآن (البصائر) الذي جئت به من عند الله دليل قوي ومعجزة باهرة بالغة جعلها الله ليبركم بها إلى الحق وهو دليل التوحيد والنبوة، يهدي إلى الطريق الحق المستقيم ويرشد إلى الخير ويبين الرشد والصلاح، وهدى ورحمة للذين يؤمنون.



حكم الأنفال (الغنائم الحربية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ^ط قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^ط وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^ط إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿ الأنفال: ١ - ٤ ﴾

عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به النبي ﷺ، قال : " اذهب فاطرحه في القبض " . قال : فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي، فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ : " اذهب فخذ سيفك " .

وعن عبادة بن الصامت قال : لما هزم العدو يوم بدر، واتبعتهم طائفة يقتلونهم، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ، واستولت طائفة على العسكر والنهب، فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم، وقالوا : لنا النفل بحسن طلبنا العدو، وبنا نفاهم وهزمهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا

برسول الله ﷺ لا ينال العدو منه غرة، فهو لنا. وقال الذين استولوا على العسكر والنهب: والله ما أنتم بأحق به منّا، نحن أخذناه واستولينا عليه، فهو لنا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ فقسّمه رسول الله ﷺ بالسوية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

الأنفال: هي الغنائم، وهي جمع نفل أو نفل: وهو الزيادة في الواجب وسميت الغنيمة نفلًا لأنها زيادة عن القيام بالجهد وحماية الدين والدعوة إلى الله ﷻ.

يسألونك أيها الرسول عن الأنفال وكيف تقسم؟ فقل لهم: إن حكمها لله أولاً يحكم فيها بما يريد، ثم للرسول يقسمها بينكم كما أمر الله، فأمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله، ثم جاء تبيان تفصيلي لمصارف الغنائم في آية أخرى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الأنفال: ٤١ أي أن الخمس لهؤلاء المحتاجين المذكورين في هذه الآية والأربعة الأخماس الباقية للغانمين.

وإذا كان أمر الغنائم لله ورسوله، فاتقوا الله سبحانه وتعالى في أقوالكم وأفعالكم وأصلحوا ذات بينكم لتتألف النفوس، وأطيعوا الله ورسوله في الغنائم وغيرها من كل أمر ونهي أو قضاء وحكم إن كنتم مؤمنين مصدقين لكلام الله، فإن التصديق يقتضي الامتثال وكمال الإيمان يوجب الخصائص الثلاثة: تقوى الله وإصلاح ذات البين، وإطاعة أوامر الله ورسوله، ثم ذكر الله صفات المؤمنين:

١. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، خافت وامتألت خشية لجلال عظمتهم وسلطانه.

٢. والذين إذا قرئ عليهم القرآن زادهم إيماناً مع إيمانهم وتصديقاً وبقيناً وقوة اعتقاد.

٣. والذين يتوكلون على ربهم وحده وإليه يلجئون ولا يرجون غيره ولا يقصدون إلا إياه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، والتوكل بعد أخذ الأسباب من عمل وسعي وجدّ واجتهاد ، أمّا ترك الأسباب أو الوسائل المطلوبة عقلاً وعادة فهو جهل بمعنى ومفهوم التوكل .

٤. والذين يقيمون الصلاة على وقتها ويؤدونها كاملة مع خشوع القلب وسكون النفس ومناجاة الرحمن وتدبر قراءة القرآن .

٥. والذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، سبيل الخير للمحتاجين والإنفاق يكون بإخراج الزكاة المفروضة وأداء الصدقات التطوعية والنفقات الواجبة على الأهل والقربة كالآباء والأمهات والمندوبة للقربة البعيدة فإن الأموال ودائع ثقيلة عند الإنسان لا بد أن يفارقها يوماً ما .

جزاء هؤلاء المؤمنين المتصفين بالأوصاف الخمسة إنهم دون غيرهم ، لهم درجات أي منازل متفاوتة في الجنان بحسب أعمالهم ونواياهم ولهم مغفرة من الله ولهم رزق كريم .



العفو عن السيئات السابقة

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٣٨ وَقَدِّلُوهُمْ حَتَّى لَا
تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَايَةً أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ
بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ٣٩ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نَعَمْ
الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ ﴾ ٤٠ الأنفال: ٣٨ - ٤٠

كان الذين كفروا ينفقون أموالهم في الفساد والشر والبغي ومعاداة النبي ومحاربة المسلمين ليمنعوا الناس من الدخول في دين الله وأتباع رسوله قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ ﴾ التوبة: ٣٢.

أضاعوا أموالهم وأوقاتهم للقضاء على دعوة الإسلام ولكنها انتشرت أسرع من انتشار النور في الظلام. فوقع في نفوسهم من الحسرة والندامة لخسارة أموالهم وعدم تحقيق أغراضهم في القضاء على محمد ودعوته ودينه.

ولكن الله واسع المغفرة رحيم بعباده فأمر نبيه أن يعلن هؤلاء الكفار الذين حاربوه أن يقلعوا عن الكفر ويتركوا سبيل الضلال ويدخلوا في دين الله. فإن الله سيعفو عنهم ويغفر لهم ما فرط من ذنوبهم لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله. أما إذا عادوا إلى القتال وبقوا في الكفر والضلال فإنهم يعلمون بما مضت به سنة الأولين وأبناء السابقين من

إهلاك الأمم. لقد أمرتم أيها المؤمنون أن تقاتلوا الكفار حتى لا يكون كفر أو شرك ولا تُعبَدُ الأصنام ويكون الدين خالصاً لله ولا يُعبد أحد في الأرض سواه فإن قاتلتموهم وانتهوا وقت القتال عن الكفر واعتنقوا الإسلام فكفّوا عنهم فإن الله سيقبلهم وهو البصير بما يعملون.

أما إن أعرضوا عنكم وأصروا على قتالكم فاستمروا في قتالهم واعلموا أن الله مولاكم وناصركم عليهم. وكونوا على يقين وثقة بأنه سيجعل الظفر والغلبة لكم إنه خير مولى، فلا يضيع من يتولاه، وخير نصير فلا يهزم من ينصره.



أحكام الأسرى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠ - ٧١

سبقت هذه الآية آيات فيها أحكام الأسرى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾: ٦٧ - ٦٩

عن عبد الله بن مسعود، قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، قال رسول الله ﷺ: " ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ " فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك، قدمهم فاضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم نارا، قال: فقال له العباس: قطعت رحمتك. قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: " إن الله ليولين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر

مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِأَنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية ، ومثلك يا عمر مثل نوح قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ، ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشَدَّدَ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ " قال عمر : فلما كان من الغد جئت إلى رسول الله ﷺ ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلتُ : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت ، فقال رسول الله ﷺ : " أبكي للذي عُرِضَ لأصحابي من أخذِهِمُ الفداء ، ولقد عُرِضَ عَلَيَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرة " لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَلَلًا طَيِّبًا ﴾ وأحل الله الغنيمة لهم " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

إن معنى الآيات في الظاهر، ما صحَّ لنبي وما استقام له الأمر باتخاذ الأسرى حتى يكثر القتل في الكفار ويبالغ فيه لإظهار عزة الإسلام والمسلمين وإرهاب الدولة أعدائها واشتداد أمرها فلا يتجرأ عليها أحد ولا يتجسس عليها أحد من الأسرى العائدين لديارهم بفداء مالي فالذين يريدون قبول الفداء إنما يريدون عرض الدنيا ومنافعها والله يريد ثواب الآخرة الدائم. وما يؤدي إلى الجنة من أحكام زاجرة لإعزاز الدين وإرهاب الأعداء وإعلاء كلمة الحق والعدل وإقامة النظام الأصلح للبشرية والله قوي يُغَلِّبُ أوليائه على أعدائه ويمكنهم منهم قتلاً وأسراً حكيمٌ في أفعاله وأوامره.

ولولا حكم الله إنه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده لنالكم أيها المؤمنون فيما أخذتم من الفداء يوم بدر عذابٌ عظيم.

وبعد هذا العتاب الإلهي أباح الله للمسلمين الانتفاع بالغنائم الحربية حال كون الشيء المغنوم حلالاً طيباً لا حرمة فيه لذاته واتفقوا الله في مخالفة أوامره لأن الله غفور للذنوب ومنها أخذ الفداء رحيم بكم يقبل التوبة عن عباده.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ الآية روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال العباس : والله في أنزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي فأعطاني بها عشرين عبداً ، كلهم تاجر بمالي في يده ، مع ما أرجو من مغفرة الله.

وروى ابو الشيخ ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن العباس وأصحابه قالوا للنبي ﷺ آمناً بما جئت به ، ونشهد أنك رسول الله ، فأنزل الله الآية. [أسباب النزول للحافظ المتقن]

ثم أمر الله النبي : قل للأسرى الذين وقعوا في أيدي المسلمين ودفعوا الفداء إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فإن كان إسلامكم عن إيمان وصدق ونية خالصة فإن الله يعلم ذلك وسيؤتيكم أفضل من الفداء الذي أخذ منكم ويعفو عنكم ويتجاوز عن كفركم والله غفور للمؤمنين رحيم بعباده.

أما إن كانوا هؤلاء الأسرى يريدوا خيانتك ويعودوا إلى قتالك فإنهم قد خانوا الله من قبل بالكفر ونقض العهود والمواثيق فسوف يمكنك منهم وينصرك عليهم فهو العليم الحكيم في أوامره.



إيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيله

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
 اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
 مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ التوبة: ٢٤

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ الآية: نزلت في الذين تخلفوا بمكة ولم
 يهاجروا، إلى قوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ يعني القتال وفتح مكة.
 [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

اقتضت حكمة إقامة الدين ومصلحة المسلمين حين نزول القرآن أن تكون
 هناك قطيعة تامة بين المؤمنين وأقاربهم الكافرين. حتى يبقى الدين سليماً. وتوعد الله
 من أثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله عن زهرة بن معبد، أنه سمع جده
 عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر:
 يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: " لا،
 والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال له عمر: فإنه الآن، والله،
 لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: " الآن يا عمر " . [صحيح البخاري - كتاب
 الأيمان والندور]

فإن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية وتفضلون الآباء والأبناء والإخوان
 والأزواج والعشيرة، والأموال، والتجارة، والمسكن تؤثرونها على حب الله ورسوله

وطاعتهما والجهاد في سبيل الله الذي يحقق السعادة الأبدية في الآخرة فانظروا حتى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل.

ونلاحظ كيف بدأ الله بإيراد هذه الأشياء في الآيات مبتدأً بالقرابة الاجتماعية ثم الحرص على المال والتجارة، ثم الرغبة في بناء الدور والمسكن وأبان الله بأن رعاية الدين ومصالحة خير من رعاية جملة هذه الأمور بالرغم من محبتها والميل الفطري إليها بالطبيعة.

فإن العبرة للأخلاق والأبقى نفعاً ودوماً وإيثار حب الله ورسوله وطاعتها والجهاد في سبيله يحقق سعادة دائمة لأن الله تعالى مصدر النعم وملجأ دفع كل الكروب والمحن وكذلك حب الرسول وطاعته خير لأنه المنقذ من الضلالة إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ولأن الجهاد طريق إقرار الأمة وإعلاء هيبتها ووقارها.

ثم ختم الله بتوعد المخالفين بعقوبة عاجلة أو آجلة فقال: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ أي انتظروا العقاب الآتي من الله تعالى والله لا يرشد العصاة الخارجين عن حدود الدين ومقتضى العقل والحكمة أو عن طاعة الله إلى معصيته.



قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ^ط وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَفُؤْلُوا^ط قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ^ط وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا^ط فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ التوبة: ٥٠ - ٥٢

أخرج ابن أبي حاتم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : " جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة (عن معركة تبوك) يُخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ^ط وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَفُؤْلُوا^ط قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ " يتألم المنافقون حينما ينالك توفيق ويصيبك ظفر وانتصار ومغنم ويفرحون حينما يسمعون إنك أنت والمؤمنين قد أصابتكم هزيمة أو حلت بكم كارثة. قل لهم يا محمد : لا نفرحوا في مصائبنا فنحن قوم مؤمنون نعتقد أنه لن يصيبنا من خير أو شر إلا ما كتبه الله لنا وقدرة علينا ونحن نؤمن إننا ظافرون سواء أقتلنا أم انتصرنا. والله متولي

أمرنا ونعتمد عليه فيما نفعل وما ندع وهو كافل المؤمنين ومتولي أمرهم وهم يتوكلون عليه ويفوضون أمرهم إليه بعد أن يأخذوا بالأسباب ويؤدوا ما وجب عليهم.

قل لهم يا محمد لتردهم إلى الحقيقة والصواب : ماذا تنتظرون أن يحل بنا؟ إنه لا يحل بنا إلا إحدى الحسنين : الانتصار في الجهاد، أو الاستشهاد في سبيل الله وكتاهما يشتاق كل مؤمن أن ينالها ويظفر بها. ولكننا لا ننتظر لكم إلا إحدى السوءتين : إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده فيوقع بكم القحط ويرسل عليكم صاعقة تهلككم كما أهلكت أمم الكفر قبلكم وإما أن ينصرنا عليكم فيعذبكم بأيدينا فتربصوا إننا معكم من المتربصين.



عدم قبول نفقات المنافقين

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ مِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَادِرُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

التوبة: ٥٣ - ٥٥

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ أخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " حين عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْجَدِّ بْنِ قَيْسِ الْخُرُوجِ مَعَهُ لَغْزَوِ الرُّومِ ، قَالَ : إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ النِّسَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَفْتِنَ وَلَكِنْ أَعْيُنِكَ بِمَالِي ، فَفِيهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ لِقَوْلِهِ (أَعْيُنُكَ بِمَالِي) . [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

والمعنى : قل أيها النبي للمنافقين مهما أنفقتم من نفقة في سبيل الله ووجوه البر طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم لأنكم كفرتم بالله ورسوله وتصح الأعمال بالإيمان فقط ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧

وما منع قبول نفقات المنافقين إلا مجموع هذه الأمور الثلاثة : وهي الكفر بالله ورسوله، وعدم الصلاة إلا في حال الكسل، والإنفاق في سبيل الكراهية والبغض. فالمنافقين كفروا بالله ورسوله وبما جاء به وهم لا يُصَلُّونَ إِلَّا كَسَالَى أَمَامَ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ

لا يرجون بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً، فهي ثقيلة عليهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥ أي الصلاة. ولا ينفقون نفقة في سبيل الله إلاّ رعاية لمصالحهم فقط .

فلا تعجبك أيها النبي مشاهد أو أموال المنافقين ولا أولادهم ولا سائر النعم التي أنعمها الله عليهم إنما هي أسباب المحن والآفات عليهم، أما أموالهم في الدنيا فهي سبب تعذيبهم بها حيث يتعبون في جمعها ويصحبها همّ والقلق بل جعلها الله من أسباب شقائهم وبلائهم هذا إلى ما ينتظرهم من العذاب في الآخرة، إذ يموتون وهم على كفرهم.



الذين يؤذون النبي

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون الرسول ويقولون ما لا ينبغي، قال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون، فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد: نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا مما نقول، فإنما محمد أذن سامعة فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلاً أذلم، أحمر العينين، أسفع الخدين، مشوه الخلقه، وهو الذي قال النبي ﷺ: " من أراد أن ينظر الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث " وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين ف قيل له لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا فأنزل الله تعالى الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

الأذى: ما يؤلم الحي المدرك في بدنه أو في نفسه ولو أماً خفيفاً، والأذن: هو الذي يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه.

ومن المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ﷺ ويعيونه ويقولون هو أذن سامعة أي يسمع من كل أحد ما يقوله ويقبله ويصدقه وهم يريدون بذلك إنه سليم القلب

سريع الاغترار بكل ما يسمع دون أن يتدبر فيه ويميز بين ما هو جدير بالقبول وما لا ينبغي قبوله ، وإنما قالوا ذلك لأنه كان عليه الصلاة والسلام يعاملهم بأحكام الشريعة كما يعامل عامة المؤمنين بالبناء على الظاهر ، فظنوا أنه يصدق كل ما يقال له .

﴿ قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي إنه أذن ولكنه نِعَمَ الأذن لأنه أذن خير لا كما تزعمون ، فهو لا يقبل مما يسمعه إلا ما يعتقد أنه الحق وما فيه المصلحة للخلق وليس بأذن في سماع الباطل كالكذب والنميمة والجدل والمرء وإذا سمعه لا يقبله ولا يصدقه .

﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يصدق بالله وبما يوحى إليه مما فيه خيركم وخير العباد ، ويصدق المؤمنين الصادقي الإيمان من المهاجرين والأنصار مما علمه من آيات إيمانهم الذي يوجب عليهم الصدق فيما يحدثونه به .

﴿ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ﴾ أي ورحمة للذين آمنوا منكم إيماناً صادقاً إذ كان سبب هدايتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لا لمن أظهر الإسلام وأسر الكفر إذ هو نقمة عليه في الدنيا والآخرة .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ... في هذه الآية وما فيها من معاني دلالة على أن إيذاء الرسول ﷺ (كفر) فيما يتعلق برسالته لأن ذلك ينافي (الإيمان) ، وأما إيذاؤه في شؤونه البشرية والعادات الدنيوية (فحرام) لا كفر كإيذاء الذين كانوا يطيلون المكث في بيته بعد الطعام : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ ﴾ الأحزاب: ٥٣ ، وإيذاء الذين كانوا يرفعون أصواتهم في ندائه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا بَجْهَرًا لَهُ ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات: ٢ ، وإيذاؤه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كإيذاؤه في حال حياته كالخوض في أبويه وآل بيته الطاهرين الطيبين .

إحساس المنافقين بنفاقهم

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ أُسْتَهْزِئُ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا يُخْفُونَ ۗ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۗ قُلْ أَيْلَهُمْ وَعَائِلُهُمْ وَرَسُولُهُ ۗ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۗ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ ۗ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۗ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَائِفَةٌ بَآثِمَةٌ ۗ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۗ ﴿٦٦﴾﴾ التوبة: ٦٤ - ٦٦

تخوف المنافقين وحذرهم من أن تتلى عليهم سورة في شأنهم ، فردّ الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ أُسْتَهْزِئُ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا يُخْفُونَ ۗ ﴾ .

عن مجاهد في قوله تعالى : " ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾ قال : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، وقال السدي : قال بعض المنافقين : والله لو ددت أني قُدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فأنزل الله هذه الآية . وهذا مثل قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۗ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۗ ﴾ محمد: ٢٩-٣٠ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۗ ﴾ قال قتادة : بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور

الشام وحصونها؟ هيهات له ذلك فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله: " اجلسوا على الركب " فأتاهم فقال: " قلتم كذا وكذا " فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وقال زيد بن أسلم ومحمد بن وهب: قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى الرسول ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب لنقطع به عنا الطريق. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].... لو سألتهم أيها الرسول عن أقوالهم وهزئهم بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ، لاعتذروا وقالوا: إننا كنا نتسلى فوبخهم الله تعالى قائلاً: ﴿ قُلْ أَيُّ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لأن الاستهزاء بالله تعالى وآياته ورسوله كفر محض وشر مستطير.

قل لهم يا محمد: لا تعتذروا، وليس عذرکم مقبولاً لأنکم قد كفرتم بعد إيمانكم، فإن نعف عن بعضكم لتوبتكم الخالصة.. نعذب طائفة أي جماعة أخرى لبقائهم على النفاق.

إن هذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الهزل في الدين وأحكامه والخوض في كتاب الله ورسوله وصفاته بغير علم يعد جهلاً (وكفراً) لأن الهزل أخو الباطل والجهل، والإيمان يتطلب الأدب والعلم وتعظيم الله وآياته ورسوله.

ولا يقتصر الكفر على القلب وإنما يشمل الأقوال والأفعال المكفرة، ولا طريق لإصلاح المنافقين إلا بالتوبة الشاملة من النفاق. والتوبة من الكفر أو النفاق مقبولة في كل وقت، فمن تاب كفر الله عنه، ومن أصر على الكفر أو النفاق عوقب في جهنم وهذا أمر من أساسيات العقيدة، فلا يصح الهزل أو الهزء في قضايا العقائد، ومثل ذلك في عقود الزواج والطلاق لقول النبي ﷺ: "ثَلَاثٌ جِدْهُنَّ جِدًّا، وَهَزَلَهُنَّ جِدًّا: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ" [سنن الترمذي الجامع الصحيح - كتاب الطلاق واللعان عن أبي هريرة]

أما الهزل في بقية العقود كالبيع والإجارة والشركة فلا يترتب عليه أثر ولا ينعقد العقد في حالة الهزل.



المتخلفون عن الجهاد

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ التوبة: ٨١ - ٨٢ ﴾

يمتحن الله الأمم والجماعات والأفراد بالمحن الصعبة والحرجة ، فيُعرف
المسيء من المحسن والمخلص من الخائن والصادق من الكاذب ، فيكشف الله
تعالى المنافقين الذين يتخلفون عن ما أمر الله به ليكون عبرة لمن اعتبر من الأجيال
اللاحقة.

تضمنت الآية كشف حال المنافقين المتخلفين عن الجهاد في غزوة تبوك فقد
فرحوا لعودهم في بيوتهم بعد أن تركهم رسول الله عند خروجه إلى الغزوة ، وسبب
فرحهم عدم إيمانهم بأن الجهاد خيراً والسبب الآخر هو كراهيتهم الجهاد في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم.

ولم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم بل غيروا أفكار غيرهم بعدم الخروج
وقال بعضهم لبعض : لا تخرجوا لغزوة تبوك لشدة الحر ، فردّ الله عليهم : ﴿ قُلْ نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ التي أعدت للعصاة أشد حراً مما فررت منه من الحر ، فأقيمت
عليهم الحجة.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ أي جزاءً بما كانوا يعملون ، أي على ما فاتهم من التخلف عن الجهاد وجزاءً لما اجترحوا من العصيان وارتكبوا من الإثم ، ونحو الآية ، قوله ﷺ عن أبي هريرة : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، يظهر النفاق ، وترفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويهيم الأمين ، ويؤتمن غير الأمين ، أناخ بكم الشرف الجون " ، قالوا : وما الشرف الجون يا رسول الله ؟ قال : " فتن قطع الليل المظلم " . [صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ] ، والشرف : بضمين جمع أشارف وهي الناقة الكبيرة السن ، والجون : السود .



معاملة المنافقين

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ نَّخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن نُّقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْبِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ التوبة: ٨٣ - ٨٥

هذه الآيات الكريمة تبين حكم معاملة المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد في معركة تبوك فإذا عدت إلى المدينة ووجدت طائفة منهم بقيت على النفاق وأصرت على الكفر وطلبوا منك أن يخرجوا معك في غزوة بعدها. فلا تمنحهم هذا الشرف ولا تأمن جانبهم ولا تطمئن إليهم، وقل لهم: لن أسمح لكم بالخروج معي أبداً ولن أشرفكم بالجهاد في سبيل الله وقتال أعدائه لأن المحنة قد كشفت أمركم فلم أجد فيكم خيراً ورضيتم بالقيود أول مرة وكانت الحاجة إليكم ماسة فاقعدوا مع الخالفين من النساء والأطفال وذو العاهات.

عن ابن عمر، قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه؟ فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا

رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : " إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على سبعين " قال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [صحيح البخاري / صحيح مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم] ... فلم يصل رسول الله صلاة الجنازة على أحد من المنافقين بعدها .

فمعنى الآية أن المنافقين كالكافرين لا تجوز الصلاة عليهم بعد موتهم ولا تقم على قبورهم بعد أن يدفنوا ولا تدع لهم بالرحمة والمغفرة لأنهم لا يستحقون لأن كفروا بالله ورسوله ومن كفر فإن الله بريء منه لا يدخله رحمته لولا يتفضل بمغفرته .

ثم خاطب الله نبيه والمراد بذلك أمته ممن لا تفتنه زخارف الدنيا فلا تستحسن أيها الرسول وكل مؤمن ما أنعمنا به على المنافقين وأمثالهم الأموال والأولاد لا يريد الله بهم خيراً، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتخرج أرواحهم ويموتوا على الكفر وهم مشغولون بالتمتع بالدنيا فقط وتركوا الآخرة التي هي دار القرار ولم يعملوا لها أبداً .



اعتذار المتخلفين عن الجهاد

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ^ع قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ ^ط وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ التوبة: ٩٤ - ٩٦

سيعتذر إليكم أيها المؤمنون أولئك الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالم إذا رجعتم إلى المدينة لقد تخلفوا بغير عذر فردّ الله عليهم أمرأ نبيه بإخبارهم : لا تعتذروا بالأعدار الكاذبة لأننا لا نصدقكم أبداً ولأن الله أخبرنا سلفاً بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وأحوالكم وما في ضمائركم من الشر والفساد وسوف يكون مصيركم في الآخرة إلى الله عالم الغيب والشهادة بعد البعث من القبور فنعلم ما تكتمون وما تعلنون فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها.

إنهم سيحلفون لكم الأيمان الكاذبة لتعرضوا عنهم أيها المؤمنون فأعرضوا عنهم ولا تعاتبوهم ولا توبخوهم لأنهم رجس لا يقبلون التطهير ولأنهم منافقون ومسكنهم جهنم جزاءً بما اكتسبوا في الدنيا من الآثام والخطايا.

وحقيقة أيمانهم الكاذبة أنها ليست لوجه الله وإنما لمجرد استرضاء لكم معشر المؤمنين لتستمرروا في معاملتهم كالمسلمين ، وإذا رضيتم عنهم فالله لا يرضى عن القوم المجرمين الفاسقين الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله ، وقد وصفهم الله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ النساء: ١٠٨ وقوله تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الحشر: ١٣ .



يومئذ تعرضون على الله

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُتْرُدُّونَ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَعَاخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ

إِمَّا يَعِدُّبِهِمْ وَإِمَّا يَنْتَوِبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ التوبة: ١٠٥ - ١٠٦

قل يا محمد لهؤلاء التائبين عن الكفر والتخلف عن الجهاد والزكاة وغيرها من الأمور التي فرضها الله علينا، اعملوا العمل الصالح، فإن عملكم لا يخفى على الله وعباده خيراً كان أو شراً... فالعمل أساس السعادة وطريق الأمن والراحة وعزة النفس وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون بالاطلاع عليها. وليعلم كل العصاة بأن أعمالهم سوف تعرض على الله تعالى وعلى الرسول وعلى المؤمنين وذلك لا محالة في يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٨.

وستردون أيها الناس جميعاً إلى الله الذي يعلم سرائركم وعلانيتكم، ويعلم الغائب والحاضر والباطن والظاهر فيعرفكم أعمالكم ثم يجازيكم... إن خيراً فخير وإن شراً فشر. قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ الآية نزلت في كعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية من بني واقف، تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿وَعَلَى الْفُلْجَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]



حسبنا والله ونعم الوكيل أقرب القرآن عهداً بالله تعالى

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ التوبة: ١٢٨ - ١٢٩ ﴾

من نعم الله علينا أنه أرسل إلينا رسولاً ليلبغنا القرآن الكريم، الكتاب الحق والشرع الإسلامي والنور المبين، وجاءنا النبي العربي محمد بلغة العرب ومن جنس العرب ومما يألف العرب من أغراض البيان وفصاحة الكلمة والجمل، ووصف الله النبي بصفات خمس :

من أنفسكم : أي من جنس العرب.

عزيز عليه ما عنتم : أي شديد عسير عليه وقوعكم في العنت والمشقة والتعرض للمكروه في الدنيا والآخرة، يتألم لألمكم ويفرح لفرحكم.

حريص عليكم : حريص على هدايتكم وإيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة وحريص على إيمانكم.

بالمؤمنين رءوف رحيم : شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين.

سمّاهُ الله تعالى باسمين من أسمائه ، الرءوف : المبالغ في الشفقة.

والرافة : أرق وأخص من الرحمة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨ .

فإن أعرضوا يا محمد بعد هذه الحال فقل (حسبي الله) أي اللهم كافٍ في النصر على الأعداء وأنا مفوض أمري إلى الله ومتوكل عليه وجادٌ في قتال الأعداء والله هو رب العرش العظيم ومالك المخلوقات كلها في السموات والأرض ما بينهما وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه إذا ذكر كما قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ يونس: ٣ .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : " من قال إذا أصبح وإذا أمسى ، حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات ، كفاه الله ما أهمه صادقاً كان بها أو كاذباً " [سنن أبي داود - كتاب الأدب]

روى الطبري في كتابه ، عن عبيد بن عمير ، قال : " كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴾ فقال عمر : لا أسألك عليهما بينة أبداً ، كذا كان رسول الله ﷺ . "

والمراد صفة النبي ﷺ التي تضمنتها الآية ومن المعلوم أن خزيمة بن ثابت هو المعروف بذى الشهادتين وعرف بذلك لأن رسول الله ﷺ أمضى شهادته وحده في ابتياع فرس وحكم بها لنفسه ﷺ وهذه خصوصية لرسول الله ﷺ خص بها خزيمة ، فعن خزيمة بن ثابت ، قال : إنه " مر على النبي ﷺ ، وقد اشترى فرساً من أعرابي فجحده الأعرابي البيع ، فقال : لم أبعك ، فقال النبي ﷺ : " قد بعني " فمرّ عليهم خزيمة بن

ثابت فسمع قولهما ، فقال : أنا أشهد أنك بعت ، فقال له النبي ﷺ : " وما علمك بذلك ولم تشهدنا ؟ " قال : شهدنا على ما هو أعظم من ذلك ، فأجاز النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين حتى مات خزيمة " [المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب المناقب] ... وذكر النقاش عن أبي بن كعب أنه قال : " أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ إلى آخر الآيتين " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]



تكذيب المشركين بكتاب الله والإشراك بالله وزيارة الأضرحة

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِشْرًا غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ **قُلْ** مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي ^{١٥} إِنْ أَرْتِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ^{١٦} أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ **قُلْ** ^{١٧} لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ^{١٨} أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^{١٩} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ^{٢٠} وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ **قُلْ** أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ^{٢١} سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ^{٢٢} ﴿ يونس: ١٥ - ١٨

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قال مجاهد نزلت في مشركي مكة.

قال مقاتل: وهم خمسة نفر: عبد الله بن أبي المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر، قالوا للنبي ﷺ: آيت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى.

وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد آيتِ بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

طالب المشركون النبي محمد ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا أو يبده أي من نمط آخر ليس فيه عيب آلهة المشركين وحسب مزاجهم.

فردّ الله عليهم معلماً نبيه أن يقول لهم: إن هذا القرآن هو من عند الله وليس من عندي حتى أبدله. وهو كلام الله المنزل عليّ لأبلغهم به. ولا يصح لي ولا من شأني أن أبدله فليس هو كلامي. وإنما هو كلام الله وإني لا أتبع إلا ما يوحى إليّ، وإني أخشى إن خالفت وحي ربي وأمره، عذاب يوم عظيم الهول شديد الوقع وهو عذاب نار يوم القيامة.

بل قل لهم يا محمد: لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به ولا أخبركم بأحكامه. وأنتم أعلم الناس بسيرتي. ولم تجربوني في كذب، بدليل أني مكثت بينكم أربعين سنة من قبل نزول القرآن. لا أتلو شيئاً منه ولا أعلمه.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ٥٢ فهو قد أنزله عالمًا بأن فيه كل ما يحتاج إليه البشر من الهداية وأسباب السعادة.

أفلا يعقلون أن من عاش أربعين سنة ولم يقرأ كتاباً ولم يلقن من أحداً علماً ولم يتقلد ديناً ولم يمارس أساليب البيان وأفانين الكلام من شعر ونثر وخطابة وعلم وحكمة لا يمكنه أن يأتي بمثل هذا القرآن المعجز لكم ولجميع الدارسين لكتب الأديان، فكيف تقترحون عليّ أن آتي بقرآن غيره.

إن شر أنواع الظلم والإجرام أن تفترى على الله الكذب، أو تكذب بآياته إنه لا يفلح ولا يفوز الذين كفروا في الدنيا ولهم عذاب شديد في الآخرة. ويعبدون من دون الله الأصنام ما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ويعبدونهم لاعتقادهم أن لهم القدرة على النفع والضرر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم يعبدونهم ويعظمون هياكلهم ويطيّبونها بالعطر ويقدمون النذر لأن اعتقادهم إن هذه الأصنام تدفع عنهم البلاء وتقربهم إلى الله زلفى لأنهم لا يستطيعون التقرب إلى الله لأن نفوسهم مدنسة بالمعاصي.

أما الموحدون فيعتقدون إن العاصي يجب إن يتوجه إلى الله وحده تائباً عابداً طالباً مغفرة ربه وعفوه.

قل لهم أيها الرسول: أتخبرون الله من أمر هؤلاء الشفعاء في السموات والأرض. ولو كان شفعاء عنده لكان أعلم بهم منكم إذ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهؤلاء لا وجود لهم عند الله. وإنكم اتخذتم ذلك قياساً على ما ترونه من الوساطة عند الملوك الجاهلين بأمور رعيتهم والعاجزين عن تنفيذ مشيئتهم منهم بدون وساطة الوزراء وذوي المكانة فيهم.

وبهذا أثبت بطلان الشرك في الألوهية وهو عبادة غير الله مهما يكن وبطلان الشرك في الربوبية بادعاء وساطة المعبود من الخلق أو الشفاعة عند الله.

وفي هذا حجة أيما حجة على زوّار الأضرحة والقبور الذين يقولون: إن هؤلاء الأولياء أحياء عند ربهم كالشهداء فهم يضررون وينفعون لا كالأصنام. وقد جهلوا أن الله يقول للنصارى إن المسيح لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً بعبادتهم مع ما آتاه الله من المعجزات.

وأظن أن الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا فلان وفلان من السادة والأولياء أفضل عند الله وأقرب منه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس بأنه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يونس: ٤٩ .
تنزه الله وعلا عما يشركون به علواً كبيراً.



انتظروا حكم الله تعالى

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ^ط فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ

فَأَنْتَظِرُونَ إِيَّيَ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يونس: ٢٠

قالوا مراراً وتكراراً ولا يزالون يقولون : هلا أنزل على محمد ﷺ آية كونية كآيات الأنبياء الذين يحدثنا عنهم كنوح وشعيب وهود وقد جاء هذا الاقتراح في هذه الآية مجملاً وأجاب عنه جواباً مجملاً لأن كلا منهما سبق مفصلاً في سور أخرى كقوله في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ ٧ : - ٨ وطالبوه بواحدة من بضع آيات وعلقوا إيمانهم على إجابة مطلبهم ، فقال : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه ﴾ الإسراء: ٩٠-٩٣ فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء: ٥٩ أي ما منعنا عن إرسال الآيات التي اقترحوها إلا تكذيب الأولين كعاد وشمود بها وإنما لو أرسلت لكذبوا بها أولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال ، وقد قضينا ألا نستأصلهم لأنهم أمة خاتم النبيين الباقية وفيهم من يؤمن أو يولد له من يؤمن ، وقد أتى الله رسوله ﷺ آيات علمية وكونية ولكنه لم يجعلها حجة على رسالته ولا أمره بالتحدي بها بل كانت لضرورات استدعتها كاستجابة بعض أدعيته ﷺ كشفاء المرضى واشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة تبوك

وتسخير الله السحاب لإسقاء المسلمين وتثبيت أقدامهم التي كانت تطمس في الرمل بيدر. فحجة النبي ﷺ هو كتابة المعجز بهدايته وعلومه.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي ما اقترحتموه وزعمتم من لوازم النبوة وعلقتهم إيمانكم بنزوله من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ولا علم لي به ، ﴿فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعله الله بي وبكم فقد اجترأتم على جحود الآيات واقتراح غيرها، وفي ذلك برهان من الله هذه الآية : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّي أُنَبِّئُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الأحقاف: ٩ ، وقد جاء في تفسير ما جاء ينتظره وما ينتظرونه في قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ يونس: ١٠٢



قل الله أسرع مكرًا

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنَّا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي

ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾

يونس: ٢١

إذا رزقنا المشركين بالله فرجاً بعد كرب ، ورخاء بعد شدة أصابتهم ، بادروا إلى المكر وأسرعوا بالمفاجأة به من مقام الشكر ، فإذا كانت الرحمة مطراً أحيا الأرض وأنبت الزرع ودرّ به اللبن بعد جذب وقحط أهلكت الحرث والنسل ، نسبوا ذلك إلى الكواكب أو الأصنام ، وإذا كانت نجاة من هلكة عللها أصحابها بالمصادفات وإذا كان سببها دعاء نبي أنكروا إكرام الله له ، وتأيدته بها كما فعل فرعون وقومه عقب آيات موسى ، وكما فعل مشركو مكة إثر القحط الذي أصابهم بدعاء رسول الله ﷺ ثم رُفِعَ بدعائه عليه الصلاة والسلام فما زادهم ذلك إلا كفرًا وجحودًا.

قال عبد الله بن مسعود : أن قريشا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحطٌ وجهْدٌ حتى أكلوا العظامَ ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهدِ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَأَرْقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الدخان: ١٠- ١١ قال : فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقيل له : يا رسولَ الله : استسقى الله لِمُضَرَّ ، فإنها قد هلكت ، قال : " لِمُضَرَّ ؟ إنك لجريءٌ " فاستسقى لهم فسقوا ، فنزلت : ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ الدخان: ١٥

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية ، فأُنزل الله ﷻ : ﴿يَوْمَ نَبِّئُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ الدخان: ١٦ قال : يعني يوم بدر. [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن / وصحيح مسلم]

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي قل لهم : إن الله أسرع منكم مكرًا ، فهو قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أنه تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام وهو عليم بما تفعلون لا تخفى عليه خافية .

إنَّ الحفظة يكتبون ما تمكرون وهم الملائكة الذين يقومون بإحصاء أعمال الناس وكتابتها للحساب عليها في الآخرة .



الحجة في وحدانية الله

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
 وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ **فَقُلْ** أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ
 الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى
 الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ يونس: ٣١ - ٣٣

يقيم الله الحجة على المشركين في إثبات التوحيد بعرض بعض الأمور الحسية عليهم وتوجيه نظرهم إلى ذلك.

والمعنى: قل أيها الرسول للمعاندين من أهل مكة: من يرزقكم من السماء بما ينزل عليكم من المطر الذي ينبت الزرع ويسقيكم أنتم وحيواناتكم ويرزقكم من الأرض بإنبات النبات على اختلاف أنواعه وأصنافه وما يخرج منها من معادن وغيرها؟

ومن الذي يستطيع أن يخلق الحواس التي تتمتعون بها كالسمع والبصر؟ وذكر السمع والبصر لأن فاقدهما فاقد لقيمة الحياة عنده.

ومن الذي يستطيع أن يخرج الحي من الميت ويبيده أمور الموت والحياة؟ فالله وحده قادر على ذلك كإحياء الأرض الميتة بعد المطر النازل من السماء كما قال

تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ ﴾ الزمر: ٢١ .

وعلاصة الحياة في النبات النمو، وفي الحيوان الإحساس والحركة والإرادة من الذي يهب الحياة ويزيلها بالموت فيخرج الحي من الميت كالجنين من النطفة، والطارئ من البيضة، والنبات من الأرض .. إذ له نمو شبيه بالحياة الحركية. ومن الذي يخرج الميت من الحي مثل البيضة من الطائر، والحب والنوى من الزرع والشجر وهناك أمثلة علمية أخرى لإخراج الحي من الميت كالغذاء المحروق الذي يتناوله الإنسان فيتولد منه الدم، وإخراج الميت من الحي كالخلايا الميتة في الدم والجلد التي يطرحها مع البخار والعرق ومن الذي يدبر أمور العالم ويسيطر على شؤون الكون ويتصرف في المخلوقات حسبما يشاء.

إذا وجهت إليهم هذه الأسئلة كلها فإن جوابهم عنها : إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفعل ذلك كله فإن أجابوا فقل لهم : أتعترفون بهذا كله، ولا تخافون غضب الله عليكم وعقابه لكم بسبب كفركم وعنادكم. الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق الذي تجب عبادته وتوحيده وقد اعترفتم بالحق ولم تتبعوه فأنتم ضالون لأن المسألة لا تحتتمل إلا أحد أمرين : حق أو ضلال ولا وسط بينهما فإن لم تكونوا على الحق فأنتم على الضلال.

وكذلك حقت كلمة الله وهو أن الضالين لن يهتدوا بالرغم من الوعيد والتهديد، والمشركين لن يعودوا مؤمنين وهؤلاء أصحاب النار هم فيها خالدون.



يوم البعث / يوم القيامة

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ
 يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي
 فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ يونس: ٣٤ - ٣٦ ﴾

أمر الله نبيه أن يسأل المشركين : هل من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله تستطيع أن تبدأ الخلق وتنشئه من غير أصل ثم يفنيه ثم يعيده كما خلقه أول مرة ؟ وإذا لم تكونوا قد شاهدتم ذلك في الإنسان والحيوان فإنكم تشاهدونه في النبات : ينزل الله المطر على الأرض الميتة فتحيا بالنبات ثم يموت النبات بموت الأرض في بعض فصول السنة ثم تحيا بعد ذلك وهكذا : موت وحياة ، وبدء وإعادة. فكيف تنكرون ذلك، وإلى أي طريق ضلال أنتم؟؟

ثم سلهم يا رسول الله : هل من آلهتكم التي تعبدونها من دون الله يستطيع أن يرشد إلى الحق، ويهدي إلى الصواب؟؟

إن الله واحد لا معبود سواه وهو الذي يهدي إلى الحق، فإذاً أيهما أحق بالاتباع : الذي يهدي إلى الصواب ويرشد إليه ، أم العاجز الذي لا يستطيع أن يهدي

عشيرة أو يهتدي بنفسه فكيف تحكمون بجواز عبادة غير الله تعالى؟؟ ويدخل فيمن نفى الله عنهم الهداية ممن اتخذوا شركاء المسيح عيسى ابن مريم وعزير والملائكة.

ان الذين يهدون إلى الحق بهداية الله ووحيه كما قال تعالى في سورة الأنبياء :

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَرْيَمُ﴾ : ٧٣ .

ثم بيّن الله تعالى حال المشركين إنما يفعلون ذلك من الشرك والإنكار وليس لهم دليل يعتمدون عليه وإنما هو ظن لا يعتمد على دليل وتقليد أعمى لا يقوم على برهان وإن هذا الظن لا يغني عن اليقين. ولا يقوم مقامه والله عالم بما يفعلون فيؤاخذهم عليها يوم القيامة.



القرآن وحي من عند الله تعالى

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ **قُلْ** فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ **وَأَدْعُوا** مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ

تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ **فَانظُرْ** كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ يونس: ٣٨ - ٣٩

الآية التي سبقت هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : ٣٧ أي لا يصلح ولا يعقل أن يفتره أحد على الله فإن ما فيه من علوم عالية وحكم سامية وتشريع عادل وآداب اجتماعية وأنباء بالغيوب الماضية والمستقبلية ليس داخلًا تحت قدرة بشر.

وقد ثبت أن أشد أعداء النبي ﷺ وهو أبو جهل قال : أن محمداً لم يكذب على بشر قط ، أفيكذب على الله ؟؟

ولكن هذا القرآن تصديق الذي تقدمه من الوحي لرسول الله كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وتفصيل ما كُتب وأثبت من الشرائع والأحكام والعبر والمواعظ وشؤون الاجتماع ، ولا ينبغي لعاقل الارتياح فيه أو الشك لوضوح برهانه ، ولأنه من رب العالمين : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

النساء: ٨٢ .

فما كان ينبغي أن يقولون أن محمداً ﷺ افتراه من عند نفسه ولو كان الأمر كذلك فاتوا بسورة من مثله وأسلوبه وعلمه مفتراه في موضوعها واطلبوا من يعينكم على ذلك من دون الله ، ولن تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً فإن جميع الخلق عاجزون عن هذا.

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ الإسراء: ٨٨ ، وقد كذبوا ما لم يحيطوا بعلمه وما احتوى على الأدلة والبراهين الدالة على قدرة الله تعالى وما أخبر به من الأمور المستقبلية. كذلك كذب الذين من قبلهم من الكفار قبل أن يأتهم تأويله فانظر أيها الرسول كيف كان عاقبة الظالمين لأنفسهم بتكذيب رسلهم.

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٠ .



موقف مشركي مكة من القرآن والنبي ﷺ

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ؕ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ؕ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤١ - ٤٤

الله سبحانه وتعالى أعلم بمن يفسد في الأرض بالشرك والظلم فلا أمل في إصلاحه ، ومنهم من يؤمن بالقرآن ويتبع النبي فكل يجازيه على عمله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٤٠ .

فإن كذبوك يا محمد فتبرأ منهم وقل لهم : لي عملي ، وهو الإيمان بالله وتبليغ الرسالة وطاعة الله وأنا مسئول عنه ، وسيجازيني الله عليه .. ولكم أعمالكم ، وهو الظلم والشرك والفساد وسيجازيكم على فسادكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون . والآية في معنى ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ الكافرون: ١ - ٣ .

وأما موقف هؤلاء المشركين من النبي فهم أصناف ، منهم من يستمعون إليك بأذانهم إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون ولا يتدبرون

كأنهم لا يسمعون ، وأنت أيها الرسول لا تستطيع أن تُسمع الصمّ آذانهم عن سماعك ولا يعقلون ما يسمعون ولا يفهمون معناه فينتفعون به .

ومنهم من ينظر إليك أيها النبي عند قراءة القرآن نظرة اعجاب ولكنهم لا يبصرون نور الإيمان والقرآن وهداية الدين القويم والخلق الحسن ولا تقدر على هدايتهم لأنهم وإن كانوا مبصرين بأعينهم في الظاهر فهم غير مبصرين بقلوبهم في الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج : ٤٦ .

وهذان الفريقان لا يستطيع يا محمد هدايتهم لفقداهم الاستعداد للفهم والانتفاع بنور الهداية لأن فائدة السمع والبصر هي الانتفاع ، فإن لم ينتفعوا فكأنهم فاقد السمع والبصر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق : ٣٧ .

إن الله عادل بين الناس لا يجورُ أحد ويهدي بالحواس إلى الحق والصواب ولكن الناس الظالمون لأنفسهم وحدها دون غيرها لأنهم يعرضونها لعقاب الكفر والتكذيب والمعاصي بتعطيل نعمة العقل والتنكر لهداية الدين وهذا وعيد للمتكلمين يوم القيامة حقاً وعدلاً لا ظلم فيه .



مطالبة المشركين بتحديد وقت العذاب

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ بِهِ عَاثَرْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يونس: ٤٩ - ٥٦

استعمل المشركون أسلوباً من المعارضة وكان هذا منهجهم من التحدي والعناد والتكبر في مقاومة دعوة النبي محمد ﷺ. فأنذرهم النبي بالعذاب الذي توعددهم الله فيه وهو يوم القيامة فأرادوا أن يحدد لهم وقت العذاب فقالوا: متى يقع هذا الوعيد؟ حدد لنا وقته لنعلم الصدق من الكذب؟

فأجابهم الله تعالى: قل لهم يا محمد إني بشر لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً من دون الله. إلا ما شاء الله أن يقدر ويخبرني، فلا أعلم الغيب. انفراد الله تعالى بعلم الغيب

وتحديد وقت يوم القيامة. وقد جاء في معنى الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمَلُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

ولكل أمة وقت معلوم يقع عليها فيه ما يقدره الله من الهلاك والعذاب فإذا جاء الوقت لا يستطيعون هم ولا رسولهم أن يؤخروه ساعة ولا أن يقدموه ساعة.

وحسبك ما في الآية من موعظة، فإن سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره بأن يقول لعباده ﴿لَا أَمَلُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف يملكه غيره، ومنزلته عند الله غير منزلة رسوله الكريم.

فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين صاروا تحت التراب ويطلبون منهم الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ . فكيف لا يتعظون لما وقعوا فيه من الشرك ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى لا إله إلا الله ومدلول ((قل هو الله أحد)) .

وأمر الله نبيه أن يستخبرهم عن حالهم إذا وقع بهم عذاب الله الذي يستعجلونه في أي وقت من الأوقات سواء أكان ذلك في الليل أو النهار وهم مشغولون يلهون ويلعبون أو مكدون للرزق والضرب في الأرض فأي شيء يستعجلون؟ إنهم يستعجلون لأمر خطير، عذاب شديد.

فإذا وقع بكم العذاب ماذا تفعلون، هل تؤمنوا بربكم؟ هذا الوقت لا ينفع فيه الإيمان ويقال لكم توبيخاً: الآن آمنتم بالله ورسوله اضطراراً وقسراً مع إنكم كنتم تستعجلون العذاب على سبيل السخرية والاستهزاء.

ثم يجيء الوعد الأعظم بالخلود لأهل الظلم بالأخص وهو ظلم الكفر لا ظلم المعصية، فيقال لهم - أي للكفار المعاندين المكذبين لرسول الله ووعيده: تجرعوا

وذوقوا العذاب الدائم لا تجزون إلا ما كنتم تعملون. فالجزاء من جنس العمل والجزاء واجب بحكم الوعد من الله تعالى والله سبحانه له المشيئة المطلقة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. ويسألونك أحق هذا العذاب الذي سيقع بهم أم هو إرهاب وتخويف فحسب... قل أيها النبي إنه حق واقع ما له من دافع.

وروى احمد وابن ماجه ، عن أنس بن مالك قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوساً في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ، فعقله ثم قال : أيكم محمد رسول الله ؟ ورسول الله ﷺ متكى بين ظهرايهم قال : فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكى . فقال : الرجل يا ابن عبد المطلب ، فقال له رسول الله ﷺ : " قد أجبتك " فقال الرجل : إني يا محمد سأئلك فمشدّد عليك في المسألة ، فلا تجد عليّ في نفسك . فقال : " سل ما بدا لك " فقال الرجل : نشدتك برّبك ، وربّ من كان قبلك ، الله أرسلك إلى الناس كلّهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " اللهم نعم " . قال : فأنشدك الله ، الله أمرك أن نصليّ الصلوات الخمس في اليوم والليله ؟ قال : " اللهم نعم " . قال : فأنشدك الله ، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنه ؟ قال رسول الله ﷺ : " اللهم نعم " . قال : أنشدك الله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا ، فتقسّمها على فقرائنا ؟ قال رسول الله ﷺ : " اللهم نعم " . قال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، قال : وأنا ضمّام بن نعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وفي رواية أخرى للإمام احمد أنه قال أيضاً : " الله أمرك أن تأمرنا أن نعبدّه وحده ، ولا نشارك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : " اللهم نعم " قال : ثم انصرف راجعاً إلى بعيه فقال رسول الله ﷺ حين ولى : " إن يصدّق ذو العقيصتين (العقيصة : الضفيرة) يدخل الجنة " قال : فأتى إلى بعيه ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدّم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما

تكلم به أن قال: بِئْسَتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى ، قالوا : مَهْ يَا ضِمَامُ ، أتق البرصَ والجذامَ ، أتق الجنونَ ، قال : ويلكُم ، إنهما والله لا يُضْرَّانِ ولا يَنْفَعانِ ، إنَّ اللهَ عَجَبٌ قَد بَعَثَ رَسولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتاباً اسْتَنْقَذَكُم بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ ، إِنِّي قَد جِئْتُكُم مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُم بِهِ ، وَنَهَاكُم عَنْهُ ، قال : فوالله ما أَمسى من ذلك اليومِ وفي حاضِرِهِ رَجُلٌ ولا امرأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمًا " .

ثم ذكر ما لهذا اليوم من الأهوال فقال ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ﴾ أي تجعل كل ما تملك فداءً لها من ذلك العذاب الأليم ، ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذابَ ﴾ أي أسروا الحديث أي خفض الصوت والندم أي عقب كل فعل يظهر له ضرره ، وقد يجهر بالكلام كما قال تعالى : ﴿ يَحْسَرُنَّا عَلَى ما فَرَطْنَا ﴾ الأنعام: ٣١ ﴿ وَقَضَى بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ يونس: ٥٤ أي إن الله سبحانه وتعالى يقضي بينهم بالحق والعدل وخصوصهم الرسل والمؤمنون بهم وجاء في معنى الآية قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلانَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانوا يَعْمَلُونَ ﴾ : ٣٣ وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ يُونُصُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا حَليلاً ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٨ .

فلتذكر من نسي ولتنبه من غفل وليعلم من جهل أن الله ما في السموات والأرض وهو مالك كل شيء وله حق التصرف بكل شيء ، وهو القادر على أن يحيي الموتى وإليه ترجعون للحساب والجزاء بإعمالكم .



القرآن شفاء للنفوس

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ

عَالِلَهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ يونس: ٥٨ - ٦٠

يقول الله تعالى يا أيها الناس : افرحوا بهذا القرآن العظيم ففيه كل ما أنتم تحتاجون إليه وقد أجملها في أربعة أشياء :

- ١ . الموعدة الحسنة التي إن تتبعها يصلح ديننا ودياننا وظاهرنا وباطننا .
- ٢ . شفاء للصدور من الغلّ والحقد والحسد وتطهير النفوس من الميل إلى البغي وبرأؤها من أمراض النفاق والجهل والرياء والشك .
- ٣ . الهدى لمن يتبعه والرشاد لمن يعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه .
- ٤ . الرحمة للمؤمنين الذين أنقذهم الله بسبب إيمانهم من الضلال والكفر حيث قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧ .

فافرحوا أيها المؤمنون بآيات الله وبالراحة النفسية هذا الفرح خير مما تجمعون في هذه الدنيا من مال وسائر خيرات الدنيا لأنه يؤدي إلى سعادة الدارين.

ثم أوضح الله تعالى قائلاً: إن التشريع بالتحليل والتحريم هو حق الله تعالى وليس للناس حق في ذلك، لقد حرّم المشركون بعض الطعام وحلّوا بعضه على أنفسهم، فما قام به العرب من تحريم البحائر والسوائب والوصايل من المواشي وغير ذلك اختلاق وكذب منهم ولم يأذن الله به .. ومن قام بالتحليل برأيه وبالتحريم فقد افتري على الله الكذب وتجاوز حده: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ ﴾ النحل: ١١٦.

هل أذن الله لكم بالتحريم والتحليل؟ أم أنتم مفترون على الله الكذب .. إن الله سيحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم وكذبهم وادعائهم. إنه حرّم ما لم يحرمه الله وهو صاحب الفضل على الناس جميعاً، حيث أنعم عليهم بنعمة العقل ورحمهم بالوحي وأبان لهم الحلال والحرام وشرائع الدين ورزقهم من الطيبات ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعم ولا ذلك الفضل من الله تعالى فاستحقوا العذاب في الآخرة.



الافتراءات الكاذبة

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا
 يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ يونس: ٦٩ - ٧٠

زعم المشركون إن الملائكة بنات الله، وزعم اليهود إن عزيزاً ابن الله، وزعم
 النصارى إن المسيح ابن الله وهم جميعاً مخطئون في هذا لأنه منزّه عن كل ما يمس
 بالربوبية.

وهو الغني الذي له ما في السموات وما في الأرض .. فهو الغني عن خلقه ولا
 حاجة له بهم. فهم يقولون على الله ما لا يعلمون.

إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ولا ينجون من عذاب الآخرة لهم
 متاع في الدنيا لكثرة المال والولد والجاه فهذه بالنسبة إلى ما عند الله في الآخرة
 للصادقين المتقين قليلة. ثم يُرجعون إلى ربهم بالبعث بعد الموت وما فيه من أهوال
 الحشر والحساب فيذيقهم العذاب الشديد بسبب كفرهم بآياته وبالافتراء عليه
 وتكذيب رسله إن قامت عليهم الحجة.

وفي هذه الآية إحياء إلى أن ما يُظنّ إنه فلاح بالحصول على منافع الدنيا المادية
 والمعنوية فهو لا يعتد به بالنسبة إلى ما عند الله من حظ عظيم ونعيم مقيم.

النظر والتفكر

قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ

قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ يونس: ١٠١ - ١٠٣

يجب إعمال الفكر والعقل في مكنونات الكون وأسراره ، ويجب التفكر والتأمل في ذلك فهو فريضة إسلامية شاملة من أجل التوصل إلى الحق ، والتخلص من العقائد الفاسدة الضالة ويُمكِّن الإنسان إلى المعرفة بربه والإيمان بوحدانيته.

إنَّ النظر في الكون يرشد الإنسان الضَّالَّ والكافر إلى وجود الخالق وتوحيده ، ويدعو إلى التصديق بالرسول والإيمان بالقرآن وبالوحي الذي أنزل على النبي والذي فيه آيات عظيمة.

قل يا محمد للمشركين مُهدداً ومُنذراً : انتظروا عذاب الله وعقابه إني معكم من المنتظرين هلاككم ، فإذا أصرّوا على الكُفر أحل به الهلاك والعذاب ، وإذا آمنوا نجّوا ... هذه سنة الله في الأمم الخالية.

وإذا وقع العذاب بقوم في الدنيا فإن الله يُنجي الرسل والأنبياء والمؤمنين ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نَجَّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿١٠٤﴾ مريم: ٧٢ ومثل هذا الإنجاء للرسول السابقين ومن آمن معهم نَجَّي المؤمنين معك أيها الرسول ونُهلك المكذبين الضالين.

هذه الآيات دلّت على وجوب النظر في الكون للعِظة والاعتبار وتحقيق الخشية من الله تعالى ، ومن غير العلم والنظر لا توجد عقيدة الإيمان بالله تعالى ، وبغير العلم لا تنتظم شؤون الدنيا ولا يقتنع الناس بعدالة الله في الحساب ، وإذا لم يوجد العلم حلّ الجهل والفوضى كل ذلك تقرير أن الدين الإسلامي دين عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هو المعلّم الأول للبشرية والمُوجّه الأول نحو السعادة. سعادة الدارين في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا ممن يعلم ويعمل



أقم وجهك للدين

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

يونس: ١٠٤ - ١٠٧

هذه الآيات الكريمة خطابٌ مختصرٌ شاملٌ للناس ... فبعد أن أقام القرآن الكريم الأدلة الواضحة على صحة الدين ووحداية الخالق وصدق النبوة والوحي ، أمر الله بإظهار دينه وإيضاح الفارق بين الحق والباطل .

قل لهم يا محمد للناس جميعاً : إن كنتم تشكّون في ديني فأنتم مخطئون ، فإن الله لا يشكّ فيه وإنما الشكّ في دينكم لأنكم لا تعبدون الله وإني لا أعبد غيره ، إنكم تعبدون الأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع من حجارة ومعادن وغيرها وأنا أعبد الخالق البارئ القادر على أن يتوفاكم ويحييكم ثم إليه تُرجعون .

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ يَأْمُرُ اللَّهُ نَبِيَهُ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ بِأَنْ يُخْلِصُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ مَائِلِينَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْبَاطِلِ إِلَى الدِّينِ

الحق ، فالعبادة تتطلب الاستقامة والإخلاص في التوجه إلى الله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ٧٩ فمن توجه بقلبه أو مال إلى غير الله في عبادةٍ أو دعاءٍ فهو عابدٌ غير الله تعالى .

والذي يعبد غير الله فإنه يظلم نفسه ولا ظلم أكبر ولا أشد من الشرك بالله تعالى . ثم أخبر الله تعالى أن الحول والقوة لله وليس لأحد غيره على نفع أو ضرر فإذا تعرضت لأي ألم أو ضرر فلا كاشف ولا رافع له إلا الله ، وإن يُردك أو يخصك الله بخير منه في الدنيا من نصرٍ ورحاءٍ ونعمةٍ وعافيةٍ فلا دافع لفضل الله إلا الله ، ولا معقب ليحكمه وهو سبحانه الغفور لمن تاب إليه الرحيم بعباده .



الإسلام دين الحق

﴿ **قُلْ** يَتَّبِعُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يونس: ١٠٨ - ١٠٩

خطابٌ إلى النبي ﷺ وإلى الناس كافة يقول فيه سبحانه وتعالى : يا أيها الناس قد جاءكم الحق المبين من ربكم وبين حقيقة هذا الدين وكمال هذه الشريعة على لسان رجلٍ منكم وبلسانٍ عربيٍّ مبين والحقُّ هو القرآن الكريم الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه، فمن اهتدى أي اتبع الحق وأذعن له وصدّق بالقرآن ورسول الله. فإنما يهتدي لنفسه ويسعى لها أي يعود النفع على نفسه، ومن ضلَّ أي حاد عن طريق الهدى وكفر بربه ﷻ فإنما يضل عليها أي يرجع وبال أمره عليه.... والدنيا مزرعةُ الآخرة : فمن زرع نباتًا حسنًا استفاد منه ، ومن زرع نباتًا سيئًا حصد منه الشرّ والضرر.

﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ أي اتبع يا محمد ما أنزل الله إليك من الكتاب والحكمة فتمسك به واصبر على دعوتك وأذى قومك أي المكذبين منهم فسينصرك الله عليهم ويقضي بينك وبينهم بالحق. وفي هذه الآية تسلية للرسول لما لاقى من قومه من هموم وأذى فوعده ووعَدَ المؤمنين به بأن ينصرهم على الكافرين.

اللهم أنصرنا على القوم الكافرين... وأعل كلمة الحق والدين

تحدي العرب بالقرآن

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مِنْ
 اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَاِلٰهُ يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاَعْلَمُوْا
 اَنْمَّا اُنزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَّا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٤﴾ هود: ١٣-١٤

ردّ الله تعالى على المشركين في مطالباتهم التعجيزية من الرسول محمد ﷺ وتحدياً لهم على الاتيان بمثل القرآن أو سورٍ معدودات منه ردّاً على موقفهم الذي يقول: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ ﴾ أي إنهم قالوا: إن محمداً افترى علينا القرآن واختلقه من عند نفسه، والافتراء أحص من الكذب فهو الزعم بما ليس موجوداً أصلاً، فإذا كان ما يزعمون صحيحاً فليأتوا بعشر سورٍ مفترياتٍ تحاكيه في الفصاحة والبلاغة وإتقان الأحكام والتشريعات الناظمة لشؤون الحياة ومطالبهم، بأن يستعينوا بمن استطاعوا من الجنّ والإنس إن كانوا صادقين في زعمهم هذا بأن القرآن مفترى ولكنهم عجزوا أن يأتوا بمثل أقصر سورةٍ من القرآن لأن كلام الله لا يشبه كلام المخلوقين.

وبعد هذا التحدي إن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّهم عاجزون عن ذلك وإنّ القرآن هو كتاب الله أنزله على نبيه فهو نظمٌ معجزٌ للخلق وإخبارٌ بغيبات لا معرفة للمخلوقين بها ووعدٌ ووعدٌ ومعانٍ عالية .. فهل أنتم أيها البشر منقادون خاضعون لأمر الله وحكمه؟ وهل أنتم أيها المسلمون مخلصون في تدينكم وعبادتكم لله الواحد الأحد.

جدال الكفار وضلالهم

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا

بُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ هود: ٣٥

قوله سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ ﴾ إما اعتراض في قصة نوح كما ذكر الطبري وغيره وهي في شأن محمد ﷺ مع كفار قريش الذين قالوا : افتري محمد علينا القرآن ، وافتري قصة نوح فنزلت الآية .

ويُحتمل أن يكون الكلام في شأن نوح ﷺ فإن قومه زعموا أن العذاب الذي توعدهم به نوح ﷺ أمرٌ مفترى من عنده وهذا تصوير دائم لأحوال متشابهة للكفار في كل زمانٍ ومكان ، فما صدر من قوم نوح مُتجسداً في أحداث التاريخ ، وعقلية القوم فهي صورة متكررة معادة لدى بعض الناس في أفكارهم وبسلوكهم .

حيث قالوا لنوح : ﴿ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَابِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ : ٣٢ الآية التي قبلها ، فالجدال نوعان إما محمود وإما مذموم فالمحمود ما كان بالحسنى مع إنسان يطمع أن يهتدي ومنه قوله : ﴿ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ وأما الجدال المذموم أو المكروه فهو ما يقع بين المسلمين في طلب علل الشرائع . وقد نهى النبي ﷺ من ذلك وكرهه العلماء .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ

مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٤١ .

والراجحُ إنَّ آيةَ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ هو من محاورة نوح لقومه كما قال ابن عباس لأنه ليس قبل هذا الكلام ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه والخطابُ منهم ولهم. هذه صورةٌ للمعارضين لدعوة الأنبياء وستكون عاقبة المعارضة والانتهاج بالباطل عذابٌ في نارِ جهنم للكافرين الملحدين المكذابين لُرْسِلَ اللهُ وما جاءوا به من الكتب السماوية التي هي من عند الواحد الأحد لهداية الناس كافةً.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه



وما ربك بغافل عما تعملون

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ هود: ١٢١ - ١٢٣

قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين لا يؤمنون بما جئت من ربك : اعملوا على حالاتكم وطريقتكم التي أنتم عليها من الكفر وافعلوا ما تريدون من ايقاع الشرابي ، فنحن أيضاً عاملون على طريقتنا ومنهجنا وهو الإيمان الصحيح والدعوة إلى الخير ، وسبق هذه الآيات قصص من أخبار الأنبياء السابقين لمحمد عليهم الصلاة والسلام وفيها فائدة عظيمة منها ما يقوي بها فؤاد النبي محمد ﷺ على أداء الرسالة وعلى الصبر والاحتمال للأذى الذي يسببه الكفرة المنكرين لدعوته لأن الأنبياء السابقين من قبله تحملوا الأذى والجدال فصبروا على ما كذبوا.

والفائدة الأخرى تبين الحق والصدق واليقين وهو وحدانية الله وعبادته وحده واثبات البعث وفضل التقوى والأخلاق الكريمة ، وتلك الأنباء عظة وعبرة يرتدع بها الكفار وذكرى للمؤمنين.

ثم ختم الله تعالى السورة بآية تدل على انفراد الخالق بالعظمة وبما لا يمكن للبشر معرفته وهو علم الغيب والله يرجع الأمر كله لأنه مصدر الكل ومبدأ الكل وصاحب القدرة الشاملة والمشية النافذة.

وإذا كان الله هو المتصف بما ذكر .. فاعبدهُ وحدهُ ومن معك من المؤمنين ،
وفوض أمرك لله كله وثق به تمام الثقة في كل شيء فإنه ليس بغافل عما يعمل
المكذبون والمصدقون وما عليه من أحوالهم وما يصدر منهم من أقوال وسيجزيهم
على ذلك في الدنيا والآخرة وسينصرك الله عليهم ويكتب لرسالتك ودعوتك الفوز
والخلود.



دعوة الإسلام والشريعة الإلهية

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨

النبى محمد ﷺ كان حريصاً على نشر الدعوة إلى الإسلام وحريصاً على قومه بالإيمان بما أنزله الله عليه من هدى ورحمة للعالمين ، ولكن أكثر الناس يجهلون هذا فهناك كثير منهم لم يصدّقوا برسالته لتصميمهم على الكفر وعنادهم .
إنّك يا رسول الله تفعل ذلك ابتغاءً لمرضاة الله وإفادة خلقه فما عليهم إلا قبول الدعوة فإن القرآن الذي أرسلك به ربك هو محض تذكير وموعظة للعالمين من الجن والإنس .

والسبب في أنّ أكثر الناس ليسوا بمؤمنين لأنّهم في غفلة عن التفكّر في الآيات الكونيّة والدلائل الدالّة على وجود الصانع وتوحيده وكمال قدرته فيما تبين من أنحاء السموات والأرض من الكواكب والنجوم والجبال والسهول والبحار والنباتات والأشجار والأحياء والأموات .. لكنهم يمرون على هذه الآيات بلا تفكّر لكنّها تشهد بوجود الله ووحدانيته .

أمر الله نبيّه أن يُعلنَ مضمونَ دعوته للثقلين (الإنس والجن) بأنّ دعوته إلى توحيد الله ﷻ يدعو فيها هو وأتباعه على تبصّر ويقين وتأمل واقناع وبرهان ساطع وحجة دامغة ... وسبحان الله أن يكون له شريك أو نظير وأنا بريء من جميع المشركين على اختلاف أنواعهم .

والآية : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة الإلهية بأسرها.

الحمد لله أن جعلتنا من أمة الإسلام
وأنعمت علينا بنعمك الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى



الرسالة
للأمة
صليبه

الله رب السموات والأرض

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا

يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللهُ

خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾ الرعد: ١٦

قل أيها الرسول الكريم لهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء : من رب هذه
الأجرام العلوية والسفلية التي تبهر العقول بجميل صنعها وكامل ترتيبها ووضعها؟؟

﴿ قُلِ اللهُ ﴾ أي قل لهم : الذي خلقها وأنشأها وسواها على أتم موضع وأحكم
بناء هو الله ... وقد أمر عليه السلام أن يجيب بذلك. وهم لا ينكرون ذلك كما قال
تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥.

وبعد قولهم هذا قل لهم يا رسول الله : فلم اتخذتم لأنفسكم من دون الله
معبودات لا تضر ولا تنفع ، لا حركة فيها ولا عقل ولا وعي ، ولا تفعل شيئاً ولا تمنع
شيئاً ؟

فهل يستوي من عبد هذه الآلهة المزيفة مع الله الخالق القادر ومن عبد الله
وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ، المدرك لحقائق الأشياء؟؟ وأما من عبد غير
الله فهو أعمى القلب والبصيرة ، فاقد العقل والوعي.

وكيف يتساوى الأعمى الذي يبصر والبصير الذي يدرك الحق ويهدي الأعمى إليه وهل يعقل أن تتساوى الظلمات والنور ، وما مثل الكافر إلا كالأعمى والكفر كالظلمات ، وأما مثل المؤمن فهو كالبصير المدرك والإيمان كالنور.

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا ﴾ أي بل جعل هؤلاء المشركين مع الله آلهة تناظر الرب وتمثله في الخلق ، فتشابه خلق الشركاء وخلق الله .. وهذا محض الباطل فإن معبوداتهم لا تخلق شيئاً فهم ضالون ومخطئون فكيف يشركونها في العبادة ؟

إن الله سبحانه وتعالى لا شيء يشبهه ولا يماثله شيء ولا ندُّ له ولا شريك ولا نظير ولا مشابه ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ، وما عبدوا التماثيل إلا كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر: ٣.

ثم أمر الله نبيه محمد ﷺ أن يعلن بكل فصاحة صفات الله ﷻ خالق السموات والأرض والإنسان والحيوان وكل شيء وهو الإله الواحد الغالب على كل شيء .. فكيف تعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر؟؟



ألا بذكر الله تطمئن القلوب

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ (٢٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْر الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ الرعد: ٢٧ - ٢٩

يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه أي أهل مكة كعبد الله بن أبي وأصحابه يقولون هلا أنزل آية كما أرسل على الأنبياء من قبله كسقوط السماء عليه كسفاً أو تحويل الصفا ذهباً أو إزاحة الجبال من حول مكة حتى يصير مكانها مروجاً وبساتين إلى نحو ذلك من الاقتراحات التي حكاها القرآن الكريم عنهم كقولهم : ﴿ فَيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥) وذلك من كثرة عنادهم ومكابرتهم.

أمر الله رسوله أن يبين لهم أن إنزال الآيات لا دخل لها في هداية ولا ضلال بل الأمر كله بيد الله يضل به من يشاء ويهدي إليه من أناب أي لا فائدة لكم في نزول الآيات التي لم يرد الله هدايتكم فلا تشغلوا أنفسكم بها ولكن تضرعوا إلى الله واطلبوا منه الهداية فإن الضلال والهداية بيده وأدعوه أن يهيئ لكم من أمركم رشداً وأن يمهد لكم وسائل النجاة والسعادة، ويدفع عنكم نزعات الشيطان ووساوسه فإنكم لا ينفعكم إرشاد ولا نصح لسوء استعدادكم وكثرة عنادكم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١).

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ

حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧.

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ الأنعام: ١١١ .

أما من أقبلوا إلى الله وتأملوا دلائله الواضحة وسلكوا طرقه المعبدة فالله ينير بصائرهم ويشرح صدورهم وهم لا بد واصلون إلى الفوز بالحسنى وحاصلون على السعادة في الدنيا والآخرة، وهم من أشار الله إليهم بقوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي الذين آمنوا وركنت قلوبهم إلى جانب الله وسكنت حين ذكره، وإذا عرض لهم الشك في وجوده ظهرت لهم دلائل وحدانيته في الآيات وبذكر الله تطمئن القلوب ويزول القلق والاضطراب من خشيته : ﴿ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٢٣ .

فالمؤمنون الذين إذا ذكروا عقاب الله ولم يقعوا في المعاصي وجلت قلوبهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢ .

ثم ذكر الله تعالى جزاء المطمئنين : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ أي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الفرح وقرّة العين عند ربهم وحسن المآب أو المرجع .

فأهل الجنة منعمون بكل ما يشتهون كما جاء في الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن / صحيح مسلم]

اللهم اجعلنا من أهل الجنة وأجرنا من نار جهنم.

محمد رسول الله

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ الرعد: ٣٠

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى طلب الكفار من رسولهم الكريم الآيات كما أنزل على الرسل السالفين كموسى وعيسى وغيرهم من النبيين والمرسلين وبين من أرسله الله وأعطاه الكتاب ليتلوه عليهم فلماذا يقترحون غيره؟ وهم يكفرون بالرحمن، وبمن أحاطت بهم نعمة ووسعت كل شيء رحمته، ولم يشكروا فضله ونعمه عليهم وإحسانه إليهم بإرسالك وإنزالك القرآن الكريم عليك وهو الكفيل بمصالح الناس في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧. قل يا محمد لهم بأنه هو ربي لا إله إلا هو، خالقي ومتولي أمري، لا رب غيره ولا معبود سواه فهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ عن أنس، أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل بن عمرو، فقال النبي ﷺ: " لعلي أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم "، قال سهيل: أما باسم الله، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم ... " [صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير]

وقال ابن عباس في رواية الضحاك : نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: " اسجدوا للرحمن " ، قالوا : وما الرحمن ، أنسجد لما تأمرنا ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقال : " قل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو ربي لا إله إلا هو " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي عليه لا على غيره توكلت في جميع أموري ولا سيما في نصري عليكم ... ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ أي وإليه وحده توبتي وهو بمعنى قوله : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ وفي هذا بيان لفضل التوبة ومقدار عظمها عند الله .
فإذا أمر بها عليه الصلاة والسلام وهو منزّه عن اقتراف الذنوب فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي أحق وأجدر .



((قُلْ سَمُّوهُمْ))

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ
 أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ هَلُمَّ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ آخِرٌ أَسْقَطُوا مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

الرعد: ٣٣ - ٣٤

بعد أن اقترح الكفار بعض الآيات مثل : انقل يا محمد الجبال من مكانها حتى يتسع لنا الفضاء فتتخذ منها بساتين، وشق لنا الأرض وفجر لنا العيون والأنهار لنستطيع أن نغرس ونزرع فيها، وأحيي موتانا لنسألهم : أحق ما تقول أم باطل؟ وسخر لنا الريح لنركبها إلى الشام فنقضي حوائجنا، كل هذا على سبيل الاستهزاء والسخرية بالرسول الكريم فأراد الله سبحانه وتعالى أن يسليه ويصبره على سفاهة قومه فذكر له أنه كان قبله من الرسل أصابهم ما أصابه فأمهلهم الله ثم بطش بهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

أفمن هو رقيب مهيمن على كل نفس بما كسبت من خير أو شر، وعالم بكل شيء يجري في هذا الكون كمن ليس له أي صفة من هذه مثل الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن عبوديتها شيئاً؟

فعجب قولهم أن يجعلوها شركاء لله في العبادة؟ فإذا كان عندكم هذه الأصنام قل سمّوهم وبينوا صفاتهم؟ فإنكم إذ سمّيتموهم أم لم تسمّوهم فإنهم لا يستحقون

العبادة، وقل لهم يا محمد : أتخبرون الله الذي لا يعزب عنه شيء بشركاء له مستحقين لعبادتهم لا يعلم الله عنهم شيئاً؟

فكيف تخبرونه بشيء أو أمر في الأرض تعلمونه ولا يعلمه؟

أم تسمون الأصنام شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون ذلك حقيقة له معنى؟

ولقد زين للذين كفروا كفرهم وظنوا ذلك حقيقة وصدوا عن طريق الهدى لفساد فطرتهم وسوء استعدادهم للإيمان.

ومن يخلق الله فيه الضلال لعدم استحقاقه الهداية فما له من هادٍ يوفِّقه إلى الهدى ويوصله إلى ما فيه نجاته.

لهؤلاء الكفار عذاب في الدنيا بالقتل أو الأسر وأنواع البلاء ولعذاب الآخرة أشقُّ لشدته ودوامه وما لهم من عذاب الله واقٍ يرده عنهم.



موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ

بَعْضَهُ ۗ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ

﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ الرعد: ٣٦ - ٣٧

والذين آتيناهم التوراة والإنجيل ممن أسلموا من اليهود والنصارى كعبد الله ابن سلام وأصحابه من اليهود وثمانين رجلاً من النصارى، أربعين بنجران وثمانية باليمن واثنين وثلاثين بالحبشة. هؤلاء جميعاً يفرحون بالقرآن الذي أنزل عليك لمطابقتها في كتبهم التي لم يتناولها التحريف والتزييف ومن الأحزاب الذين تحزّبوا عليك وجأهروا بعداوتك ككعب بن الأشرف وأصحابه من اليهود. وقسم من النصارى من ينكر بعضه لعدم موافقته لما في كتبهم المحرّفة المزيفة.

فقل لهم يا محمد مجاهراً بالحق: إني أمرت أن أعبد الله وحده ولا سبيل لإنكاركم ولا أشرك به أحداً كشرركم وقولكم إن عزير ابن الله وقول النصارى إن المسيح ابن الله، وأنا أدعو المكلفين بعبادة الله وحده إليه مرجعي يوم القيامة.

وكذلك أنزلنا القرآن حكماً، يحكم في الوقائع والخصومات بما يقتضيه الحق والحكمة، أنزلناه بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه وليدركوا أنه فوق مستوى البشر في إعجازه كما أنزلت الكتب السابقة بلسان من أنزلت إليهم، ولئن اتبعت أهواء

أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بك لإقرارك دينهم أو الصلاة إلى قبلتهم بعد أن حولناك إلى الكعبة وبعدهما جاءك من العلم ينسخ دياناتهم ما لك من الله ناصر ينصرك ولا حافظ يرد العذاب عنك ويقيك مصارع السوء.

وفي هذا حثّ المؤمنین علی الثبات علی الإيمان وحسم أطماع الكفار لأن النبي ﷺ بمنزلة لا يحتاج معها إلى الحُصّ علی عدم إتباع أهل الكتاب.



منكري نبوة محمد ﷺ

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٤٣

عن قتادة ، قوله : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ قال : " قول مشركي قريش : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ " أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرّون به ، ويعلمون أن محمداً رسول الله ، كما يُحَدِّثُ أن منهم عبد الله بن سلام " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ردّ الله على الذين كفروا وأنكروا نبوة محمد ﷺ حيث يقول الجاحدون النبوة : لست نبياً مرسلًا من عند الله ، تدعو الناس لعبادة الله وحده ، وهجر الأصنام والأوثان وترك الظلم والفساد ، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ فقل يا محمد : حسبي الله وكافيني إنه شاهد لي بصدق رسالتي ومؤيد دعوتي بما أنزله عليّ من القرآن الكريم المعجز ومن الآيات البينات الدالة على صدقي وكفاني أيضاً بعد شهادة الله : شهادة علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث كانوا يشهدون بالحق ويقرّون به ويعلمون أن محمداً رسول الله كعبد الله بن سلام اليهودي وأصحابه وتميم الداري وسلمان الفارسي بما وجدوا لديهم في التوراة والإنجيل من بشارة برسالتي ونعت لي وأوصاف لا تنطبق على غيري .

مصير الكافرين النار

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾
 جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسِ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ
 سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ إبراهيم: ٢٨ - ٣٠

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من قريش يوم بدر، وأخرج الحاكم والطبراني عن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالوا في المبدلين هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، أو فكفيتهم وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين. [أسباب النزول للحافظ المتقن]

انظر يا محمد وتعجب من حال قريش الذين استبدلوا بشكر الله على نعمائه عليهم كفرة فقد أسكنهم حرمته الذي تجبى إليه ثمرات كل شيء وآمنهم من خوف. يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون في سربهم ووسع عليهم أبواب الرزق وشرفهم ببعثة رسول الله ﷺ منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، فكفروا برسول الله وقاوموا دعوته فسلب منهم نعمته: أصابهم القحط سبع سنين وأسر منهم من أسر، وقُتل منهم من قُتل في معركة بدر فأنزلوا قومهم بإضلالهم إياهم دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه: جهنم يدخلونها يقاسون شداؤها ويذوقون العذاب ألواناً فيها وبئس المقرّم مقررهم في جهنم.... ثم أوغلوا في كفرهم فجعلوا لله الواحد القهار، الفرد

الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، جعلوا له شركاء في العبادة ليضلّوا عن سبيل الله وسبيل قومهم الذي هو دين الإسلام الذي يدعوا إلى التوحيد فقل لهم يا محمد للضالين والمضلين المنغمسين في الشهوات على سبيل التهديد والوعيد: تمتعوا بكفركم فإن مرجعكم إلى النار وبئس القرار.



التيحة للعو صلبه

النصح والإرشاد للمؤمنين

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَافٌ ﴾ إبراهيم: ٣١

أمر الله نبيه محمد ﷺ أن يبلغ الناس ويأمرهم بإقام الصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه وأجلّ العبادات البدنية ويأمرهم أيضاً بالإنفاق في سبيل الله وهو عبادة مالية وذلك مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على الأقارب والإحسان إلى الأبعد والتصدق على المحتاجين.

وإقامة الصلاة : أدائها مستكملة الأركان والشروط مع المحافظة على وقتها والخشوع لله في جميع أجزاءها.

ويكون الإنفاق مما رزق الله في الخفاء وفي العلانية .. وتكون المبادرة للصلاة والإنفاق وغيرها من الطاعات للخلاص بالأنفس والنجاة من الهلاك من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا بيع فيه ولا تجارة ولا فدية ولا تنفع فيه صداقة ومخاله للصفح والعفو والإنقاذ من العذاب ، بل إنه يوم تكون فيه العدالة المطلقة والقسط والقصاص من الظلمة وإنصاف الحقوق وردها إلى أصحابها كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الحديد: ١٥ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا

شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ١٢٣ .

فيجب المسارعة إلى طاعة الله والتقرب منه لمرضاته ، وكل تباطؤ أو تقصير في

عبادته أو إهمال لها أو ترك .. شر للإنسان ودمار وهلاك .



الشيخة للمو صليبه

النذير المبين

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ الحجر: ٨٩ - ٩٣

قل يا محمد للناس: إني منذر ومخوف من عذاب أليم شديد لكل من كذب برسالتي وأعرض عنها وتمادى في غيئه وضلاله.

وحدد الرسول ﷺ جهة الإنذار وعين المنذرين وهو أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم واقتسموا القرآن إلى أجزاء، فأمنوا ببعضه الموافق للتوراة والإنجيل وكفروا ببعضه المخالف لهما فاقسموه إلى حق وباطل، وقالوا إن بعضه سحر وبعضه شعر وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين.

قسماً بربك يا محمد: لنقننهم يوم القيامة ولنسألهم جميعاً عما كانوا يعملون في الدنيا من تكذيبك والاستهزاء بك ومن الكفر والافتراء على القرآن وارتكاب المعاصي وسؤالهم عما كانوا يعملون إشارة إلى أن الإيمان الحق هو المصحوب بالعمل الطيب... روى الطبراني في معجمه، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة". قيل: وما إخلاصها؟ قال: "أن تحجزه عن محارم الله ﷻ"، وقال الحسن البصري: "إن الإيمان ليس بالتحلي، ولا بالتأمني، إن الإيمان ما وقّر في القلب، وصدقة العمل"

نزله روح القدس

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٢ - ١٠٣

قل يا محمد للمشركين: قد جاء جبريل من عند ربي بما أتوه عليكم من تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بما فيه من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على وحدانية الله خالق الكون وباهر قدرته وواسع علمه وحث على النظر في ملكوت السموات والأرض، وتشريع يرقى بالأمم في أخلاقها وآدابها ومعارفها إلى مستوى لا تدانيها فيه أمة أخرى. وإن فيه هدايتهم من الزيغ والضلالات ففيه ما يهذب النفوس ويكبح جماح الطغيان ورد الظالم عن ظلمه ويدفع عدوان الناس بعضهم على بعض وفيه بشرى للمسلمين مما سيلقونه من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار جزاء أعمالهم.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ عن عبيد الله بن مسلم قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر يسار والآخر خير، وكانا يقرآن كتباً لهم بلسانهم، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما، وكان المشركون يقولون:

يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى فأكذبهم : ﴿ لَسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا

لِسَانُ عَكْرِيٍّ مُبِينٌ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

أي وإنا لنعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً إنما يعلم محمدًا هذا الذي

يتلوه بشر من بني آدم وليس بالوحي من عند الله.

عن مجاهد قال : " قالت قريش : إنما يعلم محمدًا عبد لابن الحضرمي رومي ،

وكان صاحب كتب يقول الله ﷻ : ﴿ لَسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ ﴾ - أي

يتكلم بالرومية - ﴿ وَهَذَا لِسَانُ عَكْرِيٍّ مُبِينٌ ﴾ " [شعب الإيمان للبيهقي]



بر الوالدين والدعاء لهما

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ

الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا **وَقُلْ**

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ **وَقُلْ**

رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٤

يأمرنا الله سبحانه وتعالى بعبادته ، وأن لا نعبد إلا إياه لأنه المنعم المتفضل علينا بجميع النعم صغيرها وكبيرها ، وقد قرن الله بعبادته بالإحسان إلى الوالدين : فأمرنا بطاعته والعطف عليهما والرفق بهما والإنفاق عليهما وإن كانا كافرين متى كنا في كنفهما وتحت كفالتنا ، فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : قَدِمَت علي أمِّي وهي مشرِكةٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فاستفتيتُ رسولَ الله قلت : قَدِمَت علي أمِّي وهي راغبةٌ ، أصلها ؟ قال : " نعم " [الأداب لليهقي - باب في صلة الرحم] ... وإنما كان هذا واجباً علينا لأنهما سبب وجودنا في هذه الدنيا وقد قاسيا كثيراً من المتاعب في تربيتنا وإعدادنا للحياة.

فإذا بلغ الوالدان أو احدهما الكبر واحتاجا إلى معونتنا وكفالتنا فعلينا أن لا نقول لهما أي كلمة تدل على التضجر أو تظهر لهما أي ألم من خدمتهما أو نسأم من إطعامهما أو نعاملهما بغلظة أو جفوة وعنف وأن لا نعرضهما للشتم والسب ... عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : " من الكبائر شتم الرجل والديه "

قالوا: يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : " نعم يسب أبا الرجل فيسب
أباه ، ويسب أمه فيسب أمه " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

وينبغي أن نقول لهما قولاً جميلاً ليناً في أدب وخضوع ، وأن نتواضع لهما
ونلين جانبنا لهما لاحتياجهما إلينا وندعو لهما أن يرحمهما بعد موتهما.



الإنفاق على القرابة

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا

﴿ ٢٨ ﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَّحْسُورًا ﴿ ٢٩ ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا

بَصِيرًا ﴿ ٣٠ ﴾ الإسراء: ٢٨ - ٣٠

سبق هذه الآية: ﴿ وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ ٢٦:

.. أو صانا الله تعالى أن نبر القريب المحتاج فنعطيه بعض المال على حسب مقدرتنا ونحسن معاشرته ، وكذلك المسكين والمسافر الذي فقد ماله ولا ننفق أموالنا في غير الوجه النافعة لأن الذين ينفقون أموالهم ويبدرونها بغير حق كمثل الشيطان في خروجهم عن طاعة الله واقتراف المعاصي .

وإذا أعرضنا عن إعطاء ذوي القربى والمساكين وابن السبيل انتظاراً لرزق يأتينا فنعطيهم منه فينبغي أن نعتذر إليهم بلطف وأن تقول لهم قولاً ليناً لطيفاً طيباً وأن نبسط لهم عذرنا وأن نعدهم بالإعطاء عند الميسرة .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ عن عبد الله قال : جاء غلام إلى

رسول الله ﷺ فقال : إن أمي تسألك كذا وكذا. فقال : " ما عندنا اليوم شيء " . قال : فتقول : اكسني قميصك. قال : فخلع قميصه فدفعه إليه ، وجلس في البيت حاسراً ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ .

[أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

ويجب أن نتوسط في الإنفاق فلا نكون بخلاء نمسك أيدينا عن البر مع قدرتنا عليه ، أو نمتنع عن معاونة ذوي القربى والمساكين ولا نكون مسرفين ننفق أكثر من دخلنا أو نصرف أموالنا في معصية الله لئلا نتعرض لدم الناس ولومهم وتكون عاقبتنا ضياع أموالنا الحسرة والندامة ، والخطاب في قوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ .

والله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء لحكمة يراها لأنه خبير بنا عالم بأحوالنا فلا يُسأل عما يفعل .. لأننا عبيده يتصرف فينا على حسب مشيئته فهو أدرى بمصلحتنا.



الله واحد لا شريك له

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴿٤٤﴾ الإسراء: ٤٢ - ٤٤

قل للمشركين أيها الرسول الذين جعلوا مع الله آلهًا آخر : لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لَتُقَرَّبَ إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويتغون إليه الوسيلة ، فاعبدوه أنتم بدون واسطة بينكم وبينه فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه ، بل يكرهه وينهى عنه على ألسنة رسله وأنبياءه ونزه نفسه عن ذلك فقال سبحانه : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ فهو الله الواحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

ثم بيّن الله سبحانه وتعالى عظمة ملكه وكبير سلطانه فقال : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ أي من المخلوقات تنزهه وتعظمه عمّا يقولون هؤلاء المشركون .

والمكلف العاقل يسبح ربه بالقول كقوله : (سبحان الله) وأما بدلالة أحواله على توحيده وتقديسه ، وغير العاقل لا يسبح إلا بالطريق الثاني .

ثم أكد الله قائلًا: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ووحدانيته وقدرته... ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي ولكن لا تفهمون أيها المشركون ذلك الدلالة لأنكم جعلتم مع الله آلهة أخرى ولم تفكروا التفكير الصحيح فأنتم إذا لم تفهموا التسبيح ولم يتبين لكم الدلالة على الخالق.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فمن حمله أن أمهلكم ولم يعجل لكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء جهلكم بهذا التسبيح ومن مغفرته أنه لا يؤاخذ من تاب منكم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ... قال رسول الله ﷺ : " إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة ، دعا ابنه ، فقال : إني قاصرٌ عليكما الوصية ، أمركما باثنتين ، وأنهاكما عن اثنتين ، أنهاكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله ، فإن السماوات والأرض وما فيهما لو وُضعت في كفة الميزان ، ووُضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى ، كانت أرجح ، ولو أن السماوات والأرض كانتا حلقةً ، فوُضعت لا إله إلا الله عليهما ، لفصمتها ، أو لقصمتها ، وأمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يُرزق كل شيء " [مسند أحمد بن حنبل]



الوعيد ... وتسليية الرسول ﷺ

﴿ **قُلْ** كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴿٥١﴾

فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا **قُلِ** الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ

وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ **قُلِ** عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ

بِحَمْدِهِ وَتَنْظُنُونَ إِنَّ لَيْتَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ الإسراء: ٥٠ - ٥٢

أنكر المشركون يوم البعث ويوم القيامة قائلين: ﴿ **أَذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَعْنَا**

لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ أي عائدون يوم القيامة خلقًا جديدًا بعد ما بلينا وصرنا عدمًا لا نذكر؟ وترددت هذه الآيات القرآنية في هذا المعنى عن المشركين مثل قوله تعالى:

﴿ **يَقُولُونَ** أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ **أَذَا كُنَّا عِظْمًا فَخَرَّةً** ﴿١١﴾ **قَالُوا** تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾

النازعات: ١٠-١٢، ومثلها: ﴿ **وَضَرَبَ** لَنَا مَثَلًا **وَنَسِيَ** خَلْقَهُ **قَالَ** مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ يس: ٧٨-٧٩ أجابهم الله

سبحانه أمرًا نبيه أن يقول لهم: إن إعادة الميت إلى الحياة أمر سهل يسير وهو في تصور البشر وعقولهم أهون على الله من الخلق أول مرة بحسب عقولنا أما بالنسبة لقدرة الله فلا فرق في الحاليين لأن الله القادر على الخلق بإيجاد الروح في الأشياء الجامدة قادر على الإعادة والتكوين، فالعبرة إذن بالقدرة الإلهية.

ولو فرض أنكم أيها المشركون كأشدّ الأشياء صلابة من حجارة أو حديد فإن

الله قادر على إحيائه ونفخ الروح فيه فيصير حيًا متحركًا لأن الله قادر على إحياء

الأشياء المادية لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهذا على سبيل المبالغة وربط الأشياء بأقصى التصورات في الدلالة على أن الله قادر على كل شيء قدير.

ثم قال المشركون : من يعيدنا إلى الحياة إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً مما يكبر أو يعظم في صدوركم وعقولكم كالسما والارض فالله قادر على بعثه وإحيائه من جديد.

ثم إن المشركون يحركون رؤوسهم تعجباً واستهزاءً وتكديفاً ويقولون : متى هذا البعث كما جاء في آية أخرى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٥) الملك : ٢٥ .
قل لهم أيها النبي : عسى أن يكون وقت البعث قريباً فسوف يأتاكم لا محالة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ المعارج : ٦ - ٧ .

ويكون ذلك البعث الحتمي يوم يدعوكم الرب تبارك وتعالى من قبوركم بالنفخ في الصور لقيام الساعة ، فتستجيبون له من القبور حامدين طائعين متقادين بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة والداعي إجابة لأمر الله وطاعة له وتحسبون يوم البعث إنكم ما لبثتم في هذه الدنيا إلا قليلاً.



وجادلهم بالتي هي أحسن

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾ ﴾ الإسراء: ٥٣ - ٥٤

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، قال الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروي أنها نزلت في عمر بن الخطاب ؓ وذلك أن رجلاً من العرب شتمه فأمره الله بالعفو. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

يأمر الله تعالى رسوله أن يبلغ عباد الله المؤمنين : أن يقولوا في مخاطبات المخالفين من المشركين وغيرهم أثناء حوارهم الكلام الأحسن ، والتي هي أحسن : هي المحاوره الحسنه والكلمه الطيبه .. قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ ، وكذلك قوله : ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦ .

فالمطلوب إلانة القول وحسن الأدب وخفض الجناح لأن الشيطان يؤجج النزاع ويثير الفتنة والشر ويوقع العداوة وهي المراد بنزغ الشيطان للإنسان لأن الشيطان عدو ظاهر العداوة للإنسان ، ومعنى النزغ : حركة الشيطان بسرعة ليجب فساداً.

﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ﴾ إن يرد الله يرحمكم أيها الكفار ، بالتوبة من الكفر وإن يشأ يعذبكم بكفركم ، وما أرسلناك أيها النبي إلا نذيراً وبشيراً ، ولست عليهم بوكيل على إيمانهم فتلطف في دعوتك ولا تغلظ عليهم ودارهم .



السيرة النبوية
للأستاذ الدكتور
عبدالمجيد الصبيح

الذين يعبدون الأوثان

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ٥٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَامِهِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ٥٨ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥٨ ﴾ الإسراء: ٥٦ - ٥٨

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم فأنزل الله تعالى الآية. [أسباب النزول للحافظ الممتن]

اتخذ الكافرون من الملائكة والجنّ والمسيح وعزيراً للعبادة فردّ الله عليهم: إن هؤلاء من تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ولا يملكون الضر ولا النفع لهم ولا لغيرهم، إنهم لا يقدرّون على عمل شيء من قبيل ذلك، ويروى أنه لما ابتليت قريش بالقحط وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله هذه الآية.

إن هؤلاء الذين تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة وينادونه لكشف الضر عنهم يطلبون القرب من الله بالطاعة.

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ " قالوا : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : " أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن أكون أنا هو " [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب المناقب]

فأولئك المعبودون من دون الله يطلبون التقرب إلى الله بالعبادات والطاعات ويبتغون الوسيلة فكيف يعبدونهم .. من هو الأقرب ؟؟ ويرجون رحمته ويخافون عذابه أي ويرجون بفعلهم للطاعة رحمته ويخافون بمخالفة أمره عذابه ، ثم ذكر العلة من خوفهم من العذاب فقال : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ أي إن عذابه حقيق بأن يحذره كل أحد من الملائكة والأنبياء فضلاً عن سواهما.

ثم ذكر مآل الدنيا وأهلها فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ قَرِيبَةٍ ﴾ الآية أي ما من قرية من القرى التي ظلم أهلها بالكفر والمعاصي إلا نحن مهلكوها بالفناء والاستئصال يوم القيامة أو معذبوها ببلاء بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم السابقة : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ النحل: ١١٨ وقال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ عَدَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا ﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿ ٩ ﴾ الطلاق: ٨-٩ .

﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ أي كان ذلك مثبتاً في علم الله أو في اللوح المحفوظ ، عن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول " إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد " [سنن الترمذي الجامع الصحيح - كتاب تفسير القرآن]



دعاء النبي ﷺ

﴿ **وَقُلْ** رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ

لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ **وَقُلْ** جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا ﴿٨١﴾ الإسراء: ٨٠ - ٨١

قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ** ﴾ الآية، قال الحسن: إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبي ﷺ ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة، وأمر نبيه أن يخرج مهاجراً إلى المدينة، ونزل قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ** ﴾. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري].... **وقل يا محمد: ربّ أدخلني فيما أحمله من أعباء الرسالة مدخل صدق وأخرجني بعد أن تحين وفاتي مؤدياً حَقِّك فيها من غير تفريط، مخرج صدق واجعل لي من عندك قوة انتصر بها على أعدائي..** وقد استجاب الله دعاءه بقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ التوبة: ٣٣.

وقل عند فتح مكة وتكسير الأصنام التي في الكعبة وهي ثلاثمائة وستون صنماً: جاء الحق وزهق الباطل، فجعل ﷺ يطعنها بعود في يده فكان إذا طعن صنماً منها في وجهه خرّ لقفاه، وهكذا جاء الإسلام وذهب الشرك. إن الشرك كان ضعيفاً مضمحلاً زائلاً أمام الحق.



الشَّاكِرُ وَالكَافِرُ كُلُّهُمَا يَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ

﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ (٨٤)

الإسراء: ٨٤

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ قَائِلًا: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ ۗ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ (٨٣) أَي إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِمَالٍ وَعَافِيَةٍ وَفَتْحٍ وَنَصْرٍ .. أَعْرَضَ عَنِ طَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَهَذَا كَقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْبِ مَسَّهُ ۗ يُونُسَ: ١٢ وَقَوْلِهِ: ﴿ فَلَمَّا بَجَحْنَا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ (١٢) .

وَإِذَا أَصَابَتْهُ النَّوَائِبُ كَانَ يَتُوسًّا قَنُوطًا مِنْ حَصُولِ الْخَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ ، كَنَحْوِ الْآيَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَتُوسُّ كَفُورًا ﴾ (٩) هُود: ٩ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ الفجر: ١٥-١٦ .

فَلَمَّا ذَكَرَ حَالِ الْعُمِّيِّ وَالْمُهْتَدِينَ خَتَمَ الْقَوْلَ بَبَيَانِ أَنَّ كِلَيْهِمَا يَسِيرُ عَلَى مَذْهَبِهِ ، أَي قُلُوبُهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِ: إِنَّ كِلَيْهِمَا مِنَ الشَّاكِرِ وَالكَافِرِ يَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَحَالِهِ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالِ وَمَا طَبَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بِمَنْ مِنْكُمْ أَوْضَحَ طَرِيقًا وَاتَّبَعَ لِحَقِّ فَيُؤْتِيهِ أَجْرَهُ مَوْفُورًا ، وَمَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا فَيَعَاقِبُهُ اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ (١٢٢) هُود: ١٢١-١٢٢ .

الروح من أمر الله

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥

في المراد من الروح ثلاثة آراء :

١. القرآن / قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ الشورى: ٥٢ وقوله :

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ النحل: ٢ ... ولأن به تحصل حياة الأرواح والعقول ومعرفة الله والملائكة واليوم الآخر ، ولا حياة للأرواح إلا بمثل هذه المعارف.

٢. جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقتادة وقد سُمي جبريل في مواضع عدة من القرآن كقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ مريم: ١٧ ، وكذلك قوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وقال جبريل ﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ مريم: ٦٤ .. فهم قد سألوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف يقوم بتبليغ الوحي.

٣. الروح الذي يحيا به بدن الإنسان / قوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ، ويؤيد هذا ما روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرب (البناء المتهدم) المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب (جريدة من النخل) معه ، فمرّ بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعضٍ : سلوه عن الروح ؟ وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يجيء فيه شيء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل منهم ، فقال يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمْتُ ،

فلما انجلى عنه ، قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [صحيح البخاري - كتاب العلم]

أي الروح التي يحيا بها البدن هي أمر من أمور الله ﷻ أي شأن من شؤونه قد استأثر بعلمه لا يعلمه إلا هو ، حدث بتكوينه من غير مادة ولا تعلمون من المادة إلا بعض أوصافها كالألوان والحركات للبصر والأصوات للسمع والطعوم للذوق والمشموومات للشم والحرارة والبرد للمس ، فلا يتسنى لكم إدراك ما هو غير مادي كالروح.

وللعلماء في حقيقة الروح أقوال كثيرة :

١. إن الروح جسم نوراني حي متحرك من العالم العلوي مخالف بطبيعته لهذا الجسم المحسوس سارٍ بسريان الماء في الورق والدهن في الزيتون والنار في الفحم لا يقبل التبدل والتفرق والتمزق .. يقيد الجسم المحسوس الحياة ما دام صالحاً لتبدل وعدم حدوث ما يمنع السريان ، وإلا حدث الموت. هذا قول الرازي وابن القيم في كتاب الروح.

٢. انه ليس بجسم ولا جسماني متعلق بالبدن تعلق التدبر والتصرف.

وهذا ما ذهب إليه حجة الإسلام الغزالي وأبو القاسم الراغب الأصفهاني.

ثم أكد عدم علم أحد بها بقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ... روي لما نزلت هذه الآية قال اليهود : أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأُنزلت ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ ﴾ إلى آخر الآية. [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب تفسير القرآن]

إذن الروح مما استأثر بعلمه تبارك وتعالى ولم يطلعكم عليه ، فقد عجزت الأوائل والأواخر عن إدراك الروح بعد ما أنفقوا الأعمار الطويلة في البحث.....

معجزة النبي الخالدة

﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ الإسراء: ٨٨ - ٨٩

أفصحُ الكلامِ .. وأبلغُ البيانِ .. وأروعُ الأساليبِ في وقتٍ كان فيه العرب يتفاخرون بالبلاغة والفصاحة وروعة الأسلوب.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ ﴾ الآية. أخرج ابن اسحق وابن جرير، عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ سلام بن مشكم في عامة من يهود سَمَاهم، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟ وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله تعالى الآية. [أسباب النزول للحافظ المتقن]

فقل لهم يا محمد متحدياً: والله لئن اجتمعت الإنس والجن كلهم وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله بلاغة وحسن معنى وتصرفاً وأحكاماً وفيهم العرب البلاغة وفرسان الفصاحة .. لعجزوا عن الإتيان بمثله حتى ولو كان الجميع متعاونين متآزرين بعضهم لبعض ظهير أي معين ومساعد.

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ، وبسورة واحدة بل بآية واحدة
ففسلوا.

ولقد بين الله في هذا القرآن وضرب أمثالا عديدة على صور مختلفة ووجوه
وأساليب متعددة ، وزيادة في التقرير والبيان والترغيب والترهيب ووعد ووعد وأوامر
ونواه ليتعظ بها أهل مكة ... فأبى أكثرهم إلا جحوداً للحق وتمادياً في الباطل .



طلب المشركين آيات تعجيزية

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَا إِلَهُكَ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا

رَسُولًا ﴿٩٣﴾ الإسراء: ٩٠ - ٩٣

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ الآية

عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البخخري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أمية وأميرة بن خلف ورؤساء قريش، اجتمعوا على ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا به، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم سريعاً، وهو يظن أنه بدا في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم ويعزّ عليه تعنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إننا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت أن ما جئت به لتطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن

كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمّون التابع من الجن الرئي - بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. فقال رسول الله ﷺ: " ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا للشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله ﷻ بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم ". قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منّا ما عرضنا، فقد علمت: أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منّا، سل لنا ربّك - الذي بعثك بما بعثك - فليسير عنّا هذه الجبال التي ضيقت علينا، ويسط لنا بلادنا، ويجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

فقل لهم يا محمد: إني أنزه الله ﷻ أن يتحكم في شؤونه أحد، وما أنا إلا بشر كسائر الناس رسول كسائر الرسل اتبع ما يوحى إليّ من ربي وعليّ التبليغ فقط. وليس للرسول أن يأتوا بشيء إلا بما يظهره الله على أيديهم بحسب الحكمة الإلهية.

والواقع أنهم قوم معاندون ومكابرون لن يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ ولو جاءت الآيات كما اقترحوا لما ذكر الله تعالى في آية أخرى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ ﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧ . فإن من شرح الله صدره للإيمان لا يحتاج لهذه الأساليب كلها أو بعضها.



الرسل من البشر

﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم

مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ الإسراء: ٩٥ - ٩٦

هذه الآيات على سبيل التوبيخ للمشركين وهي كون الرسل بشراً من جنس المرسل إليهم وهذا هو الأمر الصحيح حيث تحدث المناقشة وفهم الناس لهم والتمكن من النظر ، فلو فرض أن في الأرض ملائكة يسكنوها مطمئنين أي مقيمين فيها لكان الرسول إليهم من الملائكة ليحدث الفهم بلغة المخاطبين ، ولو بعث للبشر ملك لفترت طبائعهم من رؤيته ولم تحتمله أبصارهم وإنما أجرى الله ذلك على حسب المعتاد والمصلحة واللفظ والرحمة بالعباد.

وهذا ما أمر الله به نبيه أن يقول : إن مقتضى الحكمة ومنطق الأشياء والرحمة بالناس المدعويين للإيمان أن يبعث الله فيهم بشراً رسولاً من جنسهم ليناقشهم ويخاطبهم ويبين لهم أصول العقيدة وأداء الرسالة ، بل إن إرسال الرسول من البشر نعمة ومنّة من الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴿١٦٤﴾ آل عمران: ١٦٤ .

ثم أرشد الله تعالى إلى حجة أخرى في الموضوع حين قال المشركون للنبي :
فمن يشهد لك بصدق نبوتك ، وتلك الحجة هي ان القول الفصل بيني وبينكم هو أن
الله شاهد عليّ وعليكم ، والحاكم بيني وبينكم وهو العالم بما جئت به إليكم.
إن الله عالم بأحوال عباده الظاهرة والباطنة وخبير بمن يستحق الهداية ومن هو
باق في الضلالة ، فهم يقولون ذلك حسداً وحباً في الزعامة وإعراضاً عن دعوة الحق
وقبولها.



البخل ... علامة المنافق

﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ الإسراء: ١٠٠

لقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في عدم إجابتهم إلى ما طلبوا من الرسول ﷺ من الجنات والعيون .. وذلك لأنهم لو ملكوا خزائن الدنيا لبقوا على شحهم.

فقل لهم يا محمد: لو كنتم تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الفقر - أي الإنفاق - أي خشية أن تزول وتذهب مع أنها لا تنفذ أبداً.

أي إنكم لو ملكتم من الخير والنعمة خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشح والبخل ، وفي هذا إيحاء إلى أن الله لا يجيبكم إلى ما طلبتم من نبيه محمد ﷺ من بساتين وعيون تنبع .. لا بخلاً منه ، ولكن اقتضت الحكمة أن يكون نظام الدنيا هكذا، ولا رقي للإنسان إلا على هذا المنوال فهو يوسع الرزق على قوم ويضيقه على آخرين على مقتضى الحكمة والمصلحة.

وكان الإنسان قتوراً: أي وكان الإنسان بخيلاً منوعاً بطبعه كما قال: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ النساء: ٥٣ أي لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار نقير.



الإيمان بالقرآن العظيم

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ

يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩

أنزل الله تعالى القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنزله بالحق ، منجماً ليكون أيسراً للحفظ وأعوناً للفهم .. فقل لهم يا محمد : صدقوا به أو لا تصدقوا فتصدقكم لا يزيده كمالاً وعدم تصديقكم لا يورثه نقصاً ، وإن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم ، وهم العلماء الذين قرءوا الكتب التي نزلت من قبل القرآن وعرفوا حقيقة الوحي . وأمارات النبوة . وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل ورأوا نعتك في تلك الكتب ، هؤلاء إذا يتلى عليهم القرآن تأثروا به فيبادرون إلى السقوط على وجوههم ساجدين تعظيماً لله وشكراً له على انجاز وعده في تلك الكتب ببعثته محمد ﷺ على فترة من الرسل ويأنزال القرآن عليه ويقولون : إنا ننزه الله سبحانه وتعالى أن يخلف وعده ، فإن وعد الله محتمم الانجاز ، وخصت الأذقان بالذكر لأن المراد انهم لا يكتفون بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض بل يلصقون بها أذقانهم .

ومن شدة تأثرهم بمواعظ القرآن وحكمه وآدابه .. يخرون للأذقان باكين من خشية الله ، ويزيدهم القرآن تواضعاً لله وعلماً ويقيناً به .. وقد كرر الله قوله :

﴿يَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ لاختلاف السبب : فإن الأول للشكر على انجاز الوعد ، والثاني للتأثر بمواعظ القرآن الكريم .

وقد جاء في مدح البكاء من خشية الله أخبار كثيرة : عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " [سنن الترمذي . الجامع الصحيح - كتاب فضائل الجهاد]

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ، ودخان نار جهنم " [السنن الكبرى للنسائي - كتاب الجهاد]

وأخرج ابن جرير ، عن عبد الأعلى التيمي ، أن من ، أوتي من العلم ما لم يُبكِه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه ، لأن الله نعت العلماء فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ الآيتين .



الدعاء بأسماء الله الحسنى

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝۱۱۰ ﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ

يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبُرَهُ

تَكْبِيرًا ۝۱۱۱﴾ الإسراء: ۱۱۰ - ۱۱۱

أنكر المشركون إطلاق اسم الرحمن على الله ﷻ ، فأمر الله نبيه أن يقول للمشركين : لا فرق في دعاء الله باسم الله أو باسم الرحمن فإن الله الأسماء الحسنى ، وتعدد الأسماء غير تعدد المسمى ، فادعوا الله باسم الله أو باسم الرحمن وأسماء الله الحسنى توقيفية لا يصح وضع اسم الله تعالى إلا بتوقيف من القرآن الكريم والحديث النبوي.

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : " إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة " [صحيح البخاري - كتاب التوحيد]

روى الاصبهاني عن ابن عباس ، قال : صَلَّى رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم ، فدعا الله ، فقال في دعائه : " يا الله يا رحمن " فقال المشركون : انظروا إلى هذا الصابئ ، ينهانا أن ندعو إلهين ، وهو يدعو إلهين فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ ، قال: "نزلت ورسول الله ﷺ مختمف بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون ، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به " ، فقال الله لنيبه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ : أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن : ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ ، عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ . [صحيح البخاري - كتاب التوحيد]

وعن محمد بن سيرين ، قال: بُنْتُ أن أبا بكر ، كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أنا جني ربي ، وقد علم حاجتي ، قيل: أحسنت ، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرُدُ الشيطان ، وأوقظ الوسنان (النائم الذي ليس بمستغرق في نومه) ، قيل: أحسنت ، فلما نزلت ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ قيل لأبي بكر: ارفع شيئاً ، وقيل لعمر: اخفض شيئاً. [جامع القرآن في تفسير القرآن للطبري]

أخرج ابن جريج عن القرظي ، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ الآية . قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً . وقالت العرب: لبيك ، لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك . وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلل الله ، فأنزل الله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿تَكْبِيرًا﴾ آخر تفسير سورة بني إسرائيل ، والحمد لله رب العالمين .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات ثلاث :

١. إنه لم يتخذ ولداً : فإن من يتخذ الولد يمسك جميع النعم لولده ولأن الولد يقوم مقام الوالد بعد انقضاء أجله وفنائه - تنزه ربنا عن ذلك - ومن كان لا يستطيع الإنعام في كل الحالات فلا يستحق الحمد على الإطلاق .

وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا: عزيزاً ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله... تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

٢. إنه ليس له شريك في الملك: إذ لو كان له ذلك لم يعرف أيهما المستحق للحمد والشكر وكان عاجزاً إذا حاجة إلى معونة غيره ولم يكن متفرداً بالملك والسلطان.

٣. إنه لم يكن له ولي من الدن: أي لم يوالِ أحداً من أجل مذلة به يدفعها بموالاته.

تنزه ربنا عن ذلك كله، فقد أمن الناس نضوب موارده وأصبحت أبوابه مفتحة لكل قاصد.. فلتغترف أيها العبد من مناهله وتعلم أنه لا يحاييك لأجل أهلك ولا نسلك ولا دينك ولو كنت ابن نبي من الأنبياء أو عظيم من العظماء.

﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ أي وعظم ربك أيها الرسول بما أمرناك أن تعظمه به من قول أو فعل وأطعه فيما أمرك به ونهاك عنه. وتكبيره تعالى وتنزيهه يكون:

١. بتكبيره في ذاته باعتقاد انه واجب الوجود لذاته وإنه غني عن كل موجود
٢. بتكبيره في صفاته باعتقاد انه مستحق كل صفات الكمال منزّه عن صفات النقص.
٣. بتكبيره في أفعاله، فتعتقد انه لا يجري شيء في ملكه إلا وفق حكمته وإرادته.
٤. بتكبيره في أحكامه بأن تعتقد انه مَلِك مطاع له الأمر والنهي والرفع والخفض وانه لا اعتراض لأحد عليه في أحكامه يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.
٥. تكبيره في أسمائه فلا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة.

روى الطبراني، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه - أنس الجهني - قال : قال رسول الله ﷺ : " آية العزة : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ كَبِيرًا ﴾ " ... وروى الحاكم في مستدرکه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أول من يُدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء " وأخرج الصنعاني عن عبد الكريم أبي أمية قال : كان رسول الله ﷺ " يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ إلى آخر السورة " .



رد العلم إلى الله تعالى .. وإقران المشيئة بعلام الغيوب

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا

رَشْدًا ﴿٢٤﴾ الكهف: ٢٢ - ٢٤

لقد أرسلت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن مُعيط إلى أحبار المدينة وقالوا لهما : سلوهم عن محمد فإنهم أهل الكتاب وعندهم فيه ما ليس عندنا ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألاهم عن محمد فقال أحبار اليهود : إن أمر الروح في التوراة مُبهم فسלוه عنها ، فعادا وأخبرا قريشاً بما قالوا : فسألت قريش رسول الله ﷺ عن الروح فأوحى الله إليه أن يقول لهم : الروح مما استأثر به علم الله ، أهمةً ليدرك الإنسان عجزه عن علم حقيقة نفسه ولستم في مقام من يستطيع إدراكها ، فما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لا يمكن أن يكون أساساً لمعرفة الروح ، ومما قاله أحبار اليهود لرسول قريش اسألوا محمداً عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وعن الفتية

الذين آمنوا بربهم وخرجوا من دارهم وما كان من أمرهم؟؟ فإن لهم حديثاً عجيباً، فسأله فقال: أخبركم به غداً ولم يعلق الإجابة على مشيئة الله.. فأبطأ الوحي ثم جاء جبريل بسورة الكهف كلها وفيها خبر الفتية وخبر الطوائف وهو ذو القرنين الذي سيذكر خبره إن شاء الله، وفي الآيات معاتبه من الله لرسوله لأنه لم يقل عندما وعد قريشاً بالإجابة: إن شاء الله.

اختلف الناس بعد حادثة أهل الكهف في عددهم وزمان نومهم فنزلت الآية أخباراً ببيان عددهم من خلال القول ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وانه سبحانه وتعالى سكت عن التعقيب بحال هذا العدد خلافاً للأعداد السابقة حيث عقب عليها بأن ذلك رجماً بالغيب.

وقل يا محمد: ربي الله أعلم بعدد أهل الكهف، ما يعلمهم إلا قليل من الناس وأكثر أهل الكتاب الذين ذكروا أعدادهم هم على ظن وتخمين، والأسلم تفويض الأمر إلى الله تعالى.

المهم: الاتعاظ بالقصة، والإيمان بقدرة الله تعالى على البعث والإعادة.

وبعد ان ذكر الله سبحانه وتعالى هذا القصص، نهى رسول الله ﷺ عن شيئين فقال:

١. ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرًا﴾: أي لا تجادل في شأن الفتية إلا جدالاً سهلاً ليناً، وقص عليهم ما جاء في الكتاب الكريم دون تكذيب لهم في تعيين العدد ولا تجميل لهم في الحديث، لأن المقصد من القصة هو العظة والاعتبار وهذا لا يتوقف على عدد معين.... نحو قوله: ﴿وَلَا تُجَدِّدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦.

٢. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ : أي لا تستفتِ النصراري في شأنهم فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولون من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب من غير استناد إلى دليل قاطع ولا نص صريح ، وقد جاءك ربك بالحق الذي لا مريّة فيه فهو الحاكم المقدم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال السالفة.

[وفي هذه الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من

العلم]

وجاءت الآيتين : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ (٢٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴿ إرشاداً من الله لرسوله ﷺ يعلمه إنه إذا أراد أن يخبر عن شيء سيفعله في مستأنف الأيام ، أن يقرن قوله بمشيئة علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما سيكون ، وإذا لم تقل إن شاء الله ربما مات المرء قبل مجيء الغد أو ربما عاقه عائق عن فعله ، فإذا لم يقل إن شاء الله صار كاذباً في ذلك الوعد ونفر الناس منه.

واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يوفقني ربي إلى شيء أقرب نفعاً وخيراً ..
ويوفقني للصواب والرشاد.



مدة نوم أهل الكهف

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ **قُلْ** اللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ

مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَرَائِي وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الكهف: ٢٥ - ٢٦

ولبت أهل الكهف في كهفهم حين ضرب الله على آذانهم ثلاثمائة سنة على حساب أهل الكتاب الذين علموا قومك السؤال عن شأنهم ، وتسعاً زائدة على حساب قومك الذين سألوك عن ذلك يا رسول الله .. ولا شك أن في هذا البيان معجزة للرسول النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس الحساب ولا الهندسة ولا الفلك ، فمن أين له أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية ، وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة قمرية ، وكل سنة شمسية تزيد نحو أحد عشر يوماً على السنة القمرية .

لا شك انه قد علمه اللطيف الخبير مما أوحاهُ إليه وهداهُ لأقرب من هذا رشداً وهو الذي جعله يلفت الأنظار إلى علم ما على الأرض زينة لها كضوء الشمس والقمر على وجهها وما نتج عن ذلك من بهجة الأرض وزينتها ، فلولا اختلاف الفصول لم يكن للأرض زينة ولا اختلاف للفصول إلا بتقلب أحوال الشمس وطلوعها حيث لا تمسي .

قل لهم يا محمد : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُوا﴾ أي لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، فلا تتعجل بالاخبار ما لم يكن عندهم دليل قاطع على ذلك ، ف (الله) غيب السموات والأرض وهو العالم بكل شيء ، بصير بأحوال الناس ، سميع لهم ، ما للناس من دون الله متولٍ على أمورهم وليس له وزير ولا نصير ، والله سبحانه الخلق والأمر .. لا معقب لحكمة ولا رادّ لفضله ولا مشارك له في القضاء ، وليس له شريك ولا نظير ولا مشير .



فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ

﴿ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ الكهف: ٢٩ - ٣١

وقل يا محمد لمن وجدنا قلوبهم غافلة عن ذكرنا : الحق يقضي به مالك الملك ، لا ما يقتضيه هواكم ، فمن شاء منكم الإيمان فليفعل ويكون مثله سائر المؤمنين ، ومن شاء الكفر منكم ونبذ الإيمان وراء ظهره فليفعل ولست أبالي بإيمان من آمن ولا بكفر من كفر ، ولست بطارد المؤمنين من مجلسي تبعاً لهواكم ، فإن كفرتم فقد أعد الله للكافرين الجاحدين ناراً أحاط بهم فيها سورها وجدرانها وإن يستغيثوا في طلب الماء لشدة ظمأهم ... أغيثوا بماء كالمعدن المصهور يغلي في البطون كغلي الجحيم وإذا قرب منهم يشوي وجوههم من فرط حرارته بئس الشراب الذي يغاثون به والنار مثواه ومقرهم .

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فإننا لا نضيع أجر من أحسن عملاً أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات يقيمون فيها أبداً تجري من تحتهم الأنهار .. فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، حلبيهم فيها أساور من ذهب في أذرعهم ولبسهم فيها ثياب حريرية خضراء من ديباج ، ما رقّ منها وما غلظ .. ويتكئون على سرر من ذهب مزينة بالستائر كما يتكئ المتنعمون ، نعم الثواب الجنة وحسنت منزلاً ومستقراً وخصّ الله اللون الأخضر بالذكر لأنه أوفق الألوان للبصر.



قصة ذي القرنين

﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۞ ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۞ ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۞ ۞ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞﴾ الكهف: ٨٣ - ٩١

قبل الميلاد كان هناك رجل أعطاه الله ملكاً واسعاً فبلغ مشرق الشمس ومغربها وهو الملقب بـ ((ذي القرنين)) أي صاحب الضفيرتين من الشعر ، ويقال انه كان يلبس خوذة على جانبيها خصلتان كبيرتان من الريش الأبيض الطويل ، ويقال انه سُمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس .

ويرجح جمهرة المفسرين أن ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني الفاتح الشهير والبطل المغوار تلميذ ارسطا طاليس الفيلسوف المسمى بالمعلم الأول الذي انتشرت فلسفته في الأمة الإسلامية وكان قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة ، وكان من أهل مقدونيا

وحارب الفرس ثم سافر إلى الهند وحارب هناك ثم حكم مصر وبنى الإسكندرية والدليل على ذلك أنه لا يعرف التاريخ أن أحداً من الملوك دَوَّخَ العالم وسار شرقاً وغرباً وغلب أكثر المعمور غيره.

ويُروى أنه من حَمِيرٍ واسمه أبو بكر بن إفريقيش وقد رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط فمّر بتونس ومراكش وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه. والدليل على إنه حَمِيرِيٌّ أن الأذواء كانوا من اليمن كذي نُواس وذي رُعَيْن وذي يَزَن ، وإنهم يعرفون في بلاد حَمِيرٍ دون بلاد اليونان وهو من الدولة الحميرية التي حكمت في منتصف القرن الرابع الميلادي وملوكها يسمون التابعة واحدهم (تُبَّع) بضم التاء وتشديد الباء.

ومنهم أنه قال : إنه كان نبياً أو كان رجلاً مؤمناً ، ويستدلُّ بقوله تعالى : ﴿ مَا مَكَفِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ وقوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ .

هذه قصة ذي القرنين من قصص سورة الكهف وهي إحدى المسائل الثلاث التي سألت عنها المشركون المكيون بتوجيه من اليهود بقصد الإحراج والامتحان. والمعنى : يسألك المكيون القريشيون عن خبر ذي القرنين سؤال اختبار وتعت لا سؤال تأدب وتعلّم ، فقل لهم : سأخبركم عنه خبراً مذكوراً في القرآن بطريق الوحي الثابت المنزل عليّ من ربي .

إن الله تعالى مكّن لذي القرنين وآتاه ملكاً عظيماً بلغ المشرق والمغرب وأعطاه من كل ما يتعلق بمطلوبه طريقاً سبباً يتوصل به إلى ما يريدُه ويحقق أهدافه فاتبع طريقاً من الطرق المؤدية إلى مراده حتى إذا وصل نهاية الأرض من جهة الغرب لم يبق بعدها إلا البحر المحيط وهو المحيط الأطلسي وسار في بلاد المغرب العربي

فوجد الشمس تغرب في عين من الماء الحار يحف بسواحلها طيناً أسود ولعلها بحيرة واسعة فإذا وقف الإنسان على ساحلها وقت الغروب خُيِّلَ إليه أنّ الشمس تغيب فيها وكأن الماء قد ابتلعها ، ووجد في أقصى الغرب عند تلك العين الحمئة قوماً كفاراً وأمة عظيمة من الأمم فقال الله له بالإلهام : أنت مخير بين أمرين إما أن تعذب هؤلاء بالقتل إن أصروا على الكفر ، وإما أن تحسن إليهم وتصبر عليهم بدعوتهم إلى الحق والهداية وتعليمهم الشرائع والأحكام ، قال ذو القرنين لبعض حاشيته : أما من ظلم نفسه بالإصرار على الشرك ولم يقبل دعوتي إلى الحق والخير فسنعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرجع إلى ربه في الآخرة فيعذبه عذاباً منكرأ شديداً في نار جهنم ، وأما من آمن بالله رباً واحداً لا شريك له وعمل العمل الصالح الذي يقتضيه الإيمان فله الجزاء الحسن وهو الجنة وسنطلب منه أمراً سهلاً ليرغب في دين الله والالتزام بأوامره .

ثم اتبع طريقاً ثانياً فسار نحو الشرق حتى إذا بلغ أقصى مكان تطلع عليه الشمس في الأرض المعمورة .. وجد الشمس تطلع على قوم سود عراة ليس لهم هناك وقاية من أشجار أو جبال أو أبنية تقيهم حرارة الشمس وسقوط أشعتها عليهم ، فإذا طلعت الشمس عليهم واشتدت حرارتها لجئوا إلى أسراب في الأرض أو نزلوا في المياه يتبردون فيها ، وعند غروب الشمس يشتغلون بتحصيل رزقهم فهم يعيشون على عكس ما تواضع عليه سائر الخلق في حياتهم .

هكذا كان أمر ذي القرنين في بلوغه مغرب الشمس ومشرقها وما وصل إليه من رفعة الشأن ، وبسطة العلم ، ونفاذ الأمر في تعذيب الكافرين والإحسان إلى المؤمنين فأمره كان نافذاً من المغرب والمشرق وقد أحاط الله بكل ذلك من العلوم ومن الجنود والآلات الحربية وغيرها ، فقد بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا اللطيف الخبير .

جزاء الكفر بآيات الله

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٨

من أوصاف الكفار وأسباب عقابهم :

١. التعامي عن سماع الحق واتباعه وترك نظرهم في آيات الله وعدم تفكرهم فيها، حتى يتوصلوا إلى توحيد الله واتباع أوامره ولأنهم كانوا لا يطبقون سماع ذكر الله الذي بيّنه لهم في كتابه ، أي أنهم يعطلون وسائل المعرفة من مشاهدة آيات الله بالأبصار ويعرضون عن سماع الأدلة المذكورة في كتاب الله تعالى.
٢. عبادة معبودات من دون الله باتخاذهم أولياء ونصراء ومعبودات من غير الله كالملائكة والشياطين وبعض البشر ظناً منهم أن ذلك ينفعهم أو يدفع عنهم العذاب ، ونسوا أن الله تعالى أعد لهؤلاء الكافرين العابدين غير الله جهنم منزلاً ينزلون به لأنهم اتخذوا أولياء من دون الله.

٣. الجهل والغباء بظنهم إنهم أحسنوا في الدنيا أعمالهم وهم في الواقع أخسر الناس أعمالاً لأن أعمالهم كانت باطلة وغير شرعية .

٤. كفرهم بآيات الله ولقائه يوم القيامة فقد جحدوا بآيات الله التنزيلية والتكوينية الدالة على توحيده ولم يؤمنوا بالآخرة والبعث والحساب ولقاء الله تعالى .

ونتيجة لهذه الأعمال ... جزاؤهم الدخول إلى نار جهنم بسبب كفرهم بآيات الله وسخرتهم من الرسول ، فجزاؤهم هو إحباط عملهم في الدنيا وإهدار الكرامة والاعتبار والعذاب في نار جهنم .

بينما جزاء المؤمن الخلود في جنات الخلد .

وبواعث الإيمان كثيرة : توحيد الله وعدم الإشراك به والعمل الصالح .. فلهم جنات الفردوس ، روى الإمام أحمد في مسنده ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال : " الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين منهما كما بين السماء والأرض . الفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، وإذا سألت الله فاسأله الفردوس " .

ويبقى المؤمنون في الجنة خالدون فيها لا يرغبون عنها بديلاً ولا يريدون عنها تحويلاً .



علم ربي واسع .. لا يحيط به أحد

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

الكهف: ١٠٩ - ١١٠

قل يا محمد : إن علم ربي واسع لا يحيط به أحد غيره وكلامه لا يحيط به حصر ولا عد ، ولو كان ماء البحر حبراً تكتب به كلمات ربي الدالة على حكمه ومواعظه وعجائب قدرته لفرغ وذهب ماء البحر في كتابتها قبل أن تنتهي كلمات ربي ، ولو جئنا بمثل ماء البحر مدد له .. بل لو مدد من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .

وقل لهم : إنما أنا بشر مثلكم ، علمي محدود وكلامي منزل بوحى يوحى إليّ فلا أعلم الغيب ولا أنطق عن الهوى وإنما أنا إنسان مثلكم لا أدعي الإحاطة بجميع كلماته ، ولا أعلم إلا ما يعلمني الله ، فالإجابة عن أسئلتكم لا استمدتها إلا مما يخبرني الله به وإنما امتاز على الناس بالوحي فيوحي إليّ ربي في تلك الكلمات : أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان منكم يأمل في حسن العاقبة ويطمع في لقاء ثواب ربه يوم البعث والجزاء ... فليعمل عملاً صالحاً يرتضيه ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .



النعمة في الدنيا لا تدل على الكرامة عند الله

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّعَاةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ مريم: ٧٥ - ٧٦

سبق هذه الآية : ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾، أي : أيُّ منَّا أوسع عيشًا وأنعم بالاً وأفضل مسكنًا وأجمع عددًا؟ نحن أم أنتم؟ فكيف نكون نحن على باطل وأولئك المستترون في دار الأرقم ابن أبي الأرقم على حق.

ونحو هذه الآية الكريمة : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴿١١﴾﴾ الأحقاف: ١١.

وقد ردّ الله عليهم : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ كعاد وشمود واضرابهم من الأمم ، كانوا خيراً منهم متاعاً وأحسن منظرًا فحسبنا بهم وبدارهم الأرض ، ولو كان متاع الدنيا لكرامتهم عندنا ما عجلنا لهم العذاب ، فلينظر

النضر بن الحارث واضرابه ممن متعناهم بزينة الحياة الدنيا فَعَتُوا وَبَغَوْا .. فسIRON ما يحل بهم من عذاب.

قل يا محمد لهؤلاء المفتخرين بما أوتوا من حظوظ الدنيا : إن من كان مستقراً في الضلالة مغموراً في الغفلة والجهالة قد قضت حكمة الله أن يُمدَّ له في أجله ويمهله بطول العمر ويوسع له في المال ويمكنه من التصرفات ليقطع عليه المعاذير ويقول له : ﴿أَوْلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ فاطر: ٣٧ ، وليستدرجه ويملي له ليزداد إثماً ، فكم رأينا غنياً طغى ، وقوياً بغى وقد أملى له الله في طغيانه وبغيه ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فسيحل بهم وعيد الله وسيقع عليهم إما العذاب في الدنيا بتغلب الفقراء المسلمين عليهم وبقتلهم أو أسرهم وانتقال أموالهم غنائم في أيدي المؤمنين .. وإما عذاب يوم القيامة بما أعدَّ الله لهم فيه من الخزي والنكال ، حينئذ سيعلمون من هو شر مكاناً عند الله وأضعف جنداً.

قوله تعالى : ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ الآية ، أي الأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ذخراً في الآخرة خير عند الله من كل ما يتباهى به أهل الأرض من حيث الأجر والثواب وهي خير رجوعاً وعاقبة ، فإن نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باقٍ دائم ، قال ابن عباس : الباقيات الصالحات في الصلوات الخمس ، وعنه أيضاً : أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " [سنن الترمذي . الجامع الصحيح - كتاب الدعوات]

ومع أن الله تعالى يملي للظالمين في طغيانهم ويمد لهم في غيهم فإنه يزيد عباده
المتقين وأوليائه المهتدين هدىً على هداهم وإيماناً على إيمانهم وأن الأعمال
الصالحات والطاعات التي تبقى مدخرة للعبد عند ربه خير من مال زائل ودنيا فانية
وأحسن عاقبة ومرجعاً.



تغير نظام الكون يوم القيامة

﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۗ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ۞ طه: ١٠٥ - ١١٢

أخرج ابن المنذر ، عن ابن جريج ، قال : قالت قريش يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة ؟ فنزلت : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي] ، ولا شك أن سؤالهم هذا سؤال استهزاء وطعن في الحشر والبعث لا سؤال تثبيت للمعلومات .

يسألونك عن الجبال أيها الرسول كيف يكون حالها يوم القيامة فقل لهم : يدكها ربي دكًا ويصيرها هباء تدرؤه الرياح . فيذرها أي يدعها ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء ولا ارتفاع ولا انخفاض ، أي لا ترى وادياً ولا رابية ولا مكاناً مرتفعاً ولا منخفضاً .

وفي هذا اليوم يتبع الناس صوت داعي الله الذي يجمعهم إلى موقف الحساب والجزاء ، ولا يكون لهم ميل عنه ولا انحراف ولكنهم سراعاً إليه يتقبلون إذا مروا بشيء قالوا : لبيك ونحن بين يديك والأمر منك وإليك كما قال : ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ القمر: ٨ ، وقال : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأُتِصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ مريم: ٣٨ .

﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ أي وعلمت الخلائق أن لا مالك لهم سواه ولا يسمع لهم صوت يزيد على الهمس الذي لا يكاد يفهم إلا بتحريك الشفتين لضعفه ، وحُقَّ لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمّه .

يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع ورضي له قولاً صدر منه .. والفاستق قد قال قولاً يرضاه الله فقد قال : (لا إله إلا الله) كما روي عن ابن عباس ، فالشفاعة لا تكون نافعة للمشفوع له إلا بشرطين :

١ . إذن الله للشافع بالشفاعة .

٢ . رضا الله عن قول صدر من المشفوع له ، فيأذن بشفاعة الشافع .

وبمعنى هذه الآية آيات أخرى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة: ٢٥٥ وقوله : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ النجم: ٢٦ ، قوله : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨ ، وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أْذَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ النبأ: ٣٨ .

إن الله يعلم ما بين أيدي عباده من شؤون الدنيا وما خلفهم من أمور الآخرة .

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ استسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت ، القائم على خلقه بتدبير شؤونهم وتصريف أمورهم .

وخصَّ الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء الطاهرة ، ولأن آثار الذلّة والخضوع والسرور تظهر عليها.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ أي وقد حُرِمَ الثواب من كفر بالله ورسله واليوم الآخر وانغمس في المعاصي.

ومن يعمل من صالحات الأمور وهو مؤمن بربه ورسله وما أنزله الله عليهم من الكتب .. فلا يخاف من الله ظلماً بأن يحمل عليه سيئات غيره : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الأنعام: ١٦٤ ، ولا يخاف أن يهضم حسناته فينقصه ثوابها.



طلب زيادة العلم

﴿ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ
إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ طه: ١١٤ ﴾

بعد أن عظم الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم بقوله في الآية السابقة :
﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ : ١١٣ .

ذكر عظمة مُنَزَّلِهِ وأنه مستحق للتعالي ، منزه في الذات والصفات والأحوال
وانه صاحب الملك المستولي على كل شيء ، النافذ الأمر والنهي ، الحقيق بأن يُرجى
ثوابه ويُخشى عقابه .

فلما ذكرت الآية عظمة القرآن وعظمة مُنَزَّلِهِ جَلَّ وعلا ، طلب منه ﷺ التآني في
حفظ القرآن وتفهمه وتدبر معانيه وأن لا يعجل بحفظه وترديده ومتابعة جبريل لفظاً
لفظاً حتى يتم وحيه وينتهي من نزوله ويفسر معانيه ويتقرر عنده ... قيل : كان رسول
الله ﷺ إذا ألقى إليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لعظيم
تشوقه وشدة حرصه على التلقي والحفظ ، فنهاه الله عن ذلك ورغب إليه في التآني لأن
استقرار الألفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها منها ، وهذا نمط عالٍ من التربية
والتأديب الذي قال عنه ﷺ : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " ، فإن حسن الاستماع
والتآني في فهم ما يلقى من الكلام ، خير معين على استقرار الألفاظ في الأذهان وإدراك
الفهم السليم ، ومعرفة الحكم السديدة : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ، ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، ﴿١٩﴾ القيامة: ١٦-١٩ .

ثم أرشد الله نبيه إلى المداومة على طلب العلم والاستزادة منه فإن فوق كل ذي علم عليم ، فقال له : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ أي معرفة ونهجاً وهذا القول يتضمن التواضع والشكر لله على ما علمه من التآني والاستماع إلى تمام القول .
قيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء ، إلا في طلب العلم .



من هو السائر على نهج الصواب؟؟

﴿ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾

﴿ وَمِنْ أَهْتَدَى ﴾ ١٣٥ طه: ١٣٥

ذكر الله تعالى أباطيل الكفار بقولهم لرسوله الكريم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تِينَا يَتَايَةِ مِنْ رَبِّيهِ ﴾ ١٣٣، أي: آية تدل على صدق نبوته، وقد ردّ الله ﷻ عليهم: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ١٣٣. أي: أولم تأتكم الصحف الأولى وهي التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية بالبينات الدالة على البشارة بنبوتك؟

ولو أنا أهلكناهم بظلمهم من قبل أن نرسل إليهم محمداً ومن قبل أن تأتيتهم بيينة القرآن، وجاءوا يوم القيامة لنحاسبهم على سوء ما فعلوا قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخَزَّيْ ﴾ ١٣٤ أي بدخول النار.

قل لهم يا محمد لأولئك الكفرة الفجرة: كل واحد منا ومنكم مُتَرَبِّصٌ ومنتظر عاقبة أمره وما يؤول إليه حاله، فانتظروا كيف ما شئتم فسيأتي يوم القيامة وستظهر الحقيقة وتعلمون من هم أهل الحق وأصحاب الطريق المستقيم السوي المعتدل.. نحن أم أنتم؟

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

الفرقان: ٤٢، وقوله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ ﴾ القمر: ٢٦.

الرد على الوثنية بأن الله واحد أحد لا إله إلا هو

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۚ ءِالِهَةً ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۚ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ

مَنْ قَبْلِي ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ الأنبياء: ٢٤

قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم وأدلتكم على وجود آلهة متعددة حيث قال الله تعالى لهم: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ۚ ءِالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢١، أي يحيون؟ إذن هي ليست آلهة لأن من صفة الإله: القدرة على الإحياء والإماتة وآلهتهم لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوا لله نداً وعبودها معه؟! ووصف الله تلك الآلهة من الأرض إشارة إلى أنها من الأصنام المعبودة في الأرض.

ثم أبان الله مساوئ القول بتعدد الآلهة حيث قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ۚ ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ وأختل نظامهما لحدوث الاختلاف بينهم ولذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض.

فإن الله ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾: ٢٣ لعظمته وقدرته.

لقد أوجد الكفار آلهة وأعرضوا عن عبادة الله، فقل لهم يا محمد: هاتوا برهانكم على صدق ما تدعون إما من العقل وإما من النقل فإنه لا يصح القول إلاً بدليل عليه، وقد تظافت الأدلة على بطلان ما تدعون عقلاً ونقلاً، أما عقلاً فقد بيناه في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ۚ ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، وأما نقلاً فهذا القرآن المنزل عليّ وعلى

من معي من المؤمنين وهذه هي الكتب التي نزلت على من تقدمني من الأنبياء والمرسلين وهي التوراة والإنجيل والزيور والصحف فراجعوها وانظروا هل تجدون في واحد منها أن الله قد أذن باتخاذ إله من دونه ؟

وهل تجدون فيها الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك ؟

فلا تبال يا محمد بهم ولا يحزنك قولهم فإن أكثرهم قد فقدوا التمييز بين الحق والباطل من أجل ذلك هم معرضون عن توحيدني واتباعك ولا يباليون عمّا هم عليه من الكفر والضلال مهما كررت عليهم من البيّنات والحجج.



((لا حفظ لنا إلا برحمته))

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٢ - ٤٤

قل يا محمد للمفترين المستهزئين بك : من الذي يحرسكم ويحفظكم بالليل إذا نتم وبالنهار إذا قتمتم للسعي في طلب الرزق ؟ إنه لا يستطيع أحد أن يحميكم من عذابه إن سَاطَه عليكم. والتعبير هنا بالرحمن للدلالة على أنه لا حافظ لهم إلا رحمة الله ولطفه، ولكنهم غافلون، لاهون ، فلا يذكرون الله إلا قليلاً.

ألهم آلهة لهم قدرة على حمايتهم من وقوع العذاب بهم غير الله ؟ يجب أن يعلموا أن هذه الآلهة التي يعبدونها في غاية الضعف لأنها لا تستطيع حماية نفسها ولا تملك حماية غيرها.

لقد متعنا هؤلاء الكفار وآباءهم بما أعطيناهم ورزقناهم من النعم في الحياة الدنيا وبما قدرنا لهم من الأعمار الطويلة فحسبوا أنهم سيظلون مغمورين بهذه النعم

وظنوا أنها لا تزول. أفلا يعلمون أننا نستطيع أن نأتي أرضهم فننقصها من جوانبها
موضعاً اثر موضع وننزعها من أيديهم بتسليط المسلمين عليها؟؟ وقد أنجز الله وعده
افتتح المسلمون مكة ودان الغرب لهم ودخل الناس في دين الله أفواجا. أفهم أي
الكفار الغالبون؟؟



التيحة للمو صليبه

إنذار بالوحي لمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ
 ٤٥ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا إِنَّا كُنَّا
 ظَالِمِينَ ٤٦ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
 وَإِن كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ٤٧ ﴾
 الأنبياء: ٤٥ - ٤٧

قل لهم يا محمد: هذا بلاغ لكم فأنا أنذركم بما يوحي إلي من ربي لا من نفسي وأنتم لا تسمعون ولا تصغون إنذارني ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون. ولقد وقع بهم العذاب فسوف يدعون على أنفسهم بالويل والهلاك بأصواتهم ويعترفون أنهم سلكوا معك مسلك الظالمين في تكذيبك والإشراك بالله.

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: "لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: "انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فرجع" فقال: "وعزتكم لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحُفَّت بالمكاره" فقال: "أذهب إليها فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره" فقال: "وعزتكم لقد خشيت أن لا يدخلها أحد" قال: "أذهب فانظر إلى النار، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع" فقال: "وعزتكم لا يدخلها أحد،

فأمر بها فحُفَّت بالشهوات " فقال : " ارجع إليها فانظر إليها فنظر إليها فإذا هي قد حُفَّت بالشهوات فرجع " فقال : " وعزتك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها " [السنن الكبرى للنسائي - كتاب الأيمان والندور]

في يوم القيامة تُحضر الموازين العادلة لتوزن بها صحائف الأعمال فلا تُظلم نفس من حقها شيئاً، بنقص من إحسان محسن أو زيادة من إساءة مسيء. وهو تصوير لرعاية العدل والإنصاف وإن كان العمل زنة حبة خردل أتينا بها وأحضرناها وجازينا صاحبها بما يستحقه من ثواب أو عقاب. وكفى بنا محاسبين على ما قدمته الخلائق من خير أو شر.



[إلهكم إله واحد]

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

الأنبياء: ١٠٨ - ١١٢

قل لهم يا محمد : إنما يوحى إليّ : أنه لا إله لكم إلا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فهل أنتم منقادون إلى ما يوحى إليّ من وحدانية الله مخلصون لعبادته ؟

فإن أعرضوا عن التوحيد والتنزيه لله سبحانه وتعالى، فقل لهم : لقد أبلغتكم ما أمرت به على عدل واستقامة رأي وبرهان ساطع وحجة واضحة وما أدري أقرب ما توعدون من العذاب وقيام الساعة أم بعيد ؟ ولكنه كائن لا محالة.

إن الله يعلم ما تجهرون من القول بالطعن في الإسلام ويعلم ما تكتمون من الأحقاد في صدوركم وما تتآمرون به على المسلمين في مجتمعاتكم وما أدري لعل تأخير العقوبة إستدراج لكم لتزدادوا إثماً وامتحاناً من الله لينظر كيف تعملون، مع أن ما أسبغه عليكم من النعم الكثيرة هو متاع لأجل مسمى تقتضيه مشيئته سبحانه.

أمر الله الرسول عليه الصلاة والسلام حين عاندوه قومه أن يفوض أمره إلى الله تعالى ويقول ربّ أفض بيني وبين أهل مكة بالعدل لاستعجال وقوع نوع من العذاب بهم وانتصاري عليهم وربنا الذي وسعت رحمته كل شيء هو الذي أطلب منه المعونة على ما تصفون من الأباطيل والإفك كقولكم إتخذ الله ولدًا وقولكم محمد شاعر، والقرآن شعر وتخيل، وأن راية الإسلام ستسكن، وقد حكم الله على الكفار بالهزيمة في بدر ويوم فتح مكة.



الرسول نذير مبين

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا

مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ الحج: ٤٩ - ٥١

قل يا محمد لأهل مكة الذين يستعجلونك بالعذاب تحدياً لك فيقول لك النضر بن الحارث : اثنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ويقولون لك : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اثنتا بعذاب أليم ولن يخلف الله وعده وإن كل يوم من أيام العذاب لكم كألف سنة مما تعدون في الدنيا لأنها أيام شدائد يستطيل الإنسان كل ثانية فيها وقد عاقب الله سبحانه وتعالى أهل القرى في الأمم الغابرة لأنهم استعجلوا العذاب كما استعجلتم وكانت ظالمة مستوجبة للعقوبة ثم عاقبها الله عقاباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً فذاقت عاقبة أمرها وبالاً عليها.

قل لهم يا محمد : إنما أنا لكم نذير واضح الإنذار بما أوحى إلي من ربي، فمن آمن وعمل الصالحات منكم ورجعوا عما هم عليه من الكفر فلهم مغفرة من الذنوب التي اقترفوها ، ورزق كريم وهو الجنة. أما من بذلوا جهدهم في إبطال آيات القرآن التي أنزلناها واستمروا على ما هم عليه من الكفر، ظانين أننا لن تقدر على إحيائهم للبعث والحساب يوم القيامة مثبطين غيرهم عن الدخول في دين الإسلام، فأولئك أصحاب النار يدخلونها ويصطلون بنارها.

اختلاف المناسك بين الأمم

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ
وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الحج: ٦٧ - ٦٩

دين الأنبياء هو عبادة الله وحده ... واختلاف الشرائع لا يسمى اختلافاً في الدين.

يقول الله سبحانه وتعالى: إنا أنزلنا لأهل كل دين من الأديان السماوية شريعة خاصة يعملون بها، ويسيرون على نهجها ولا يتخطونها إلى غيرها، فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام منسكاً ما في التوراة، والأمة التي من مبعث عيسى عليه السلام إلى مبعث محمد عليه السلام منسكاً ما في الإنجيل، وأمة محمد عليه السلام وهم من وجد حين مبعثه إلى يوم القيامة منسكهم ما في القرآن الكريم لأن لكل زمان ما يليق به من الشرائع التي تناسب من به في تلك الحقبة من الزمن.

﴿فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أي لا ينبغي أن ينازعوك في أمر هذا الدين فإن تعيينه تعالى لكل أمة شريعة خاصة موجب لطاعة هؤلاء لك وعدم منازعتهم إياك في أمر هذه الشريعة زعماً منهم أن شريعتهم هي ما عيّن لأبائهم من التوراة والإنجيل، فذلك خطأ منهم فإن ذلك إنما كان شريعة لمن مضى قبل نسخه بالقرآن.

وَادْعُ هَؤُلَاءِ الْمُتَنَازِعِينَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ إِنَّكَ لَعَلَى طَرِيقٍ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَشَرِيعَةٍ تَوْصِلُ إِلَى السَّعَادَةِ. وَنَحْوُ الْآيَةِ: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ﴾ القصص: ٨٧ .

فإن جادلوك هؤلاء المشركون في نسكك بعد أن ظهر الحق ، فقل لهم يا محمد : الله عليم بما تعملون وبما تعمل ، ونحو الآية : ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١ وقوله تعالى : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الأحقاف: ٨ .

والله سبحانه وتعالى يحكم ويقضي بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون .

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ الشُّرَى: ١٥ .



النار... وعدها الله الذين كفروا

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (٧١) وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا. **قُلْ** أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَٰلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسُ

الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ الحج: ٧١ - ٧٢

يَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كِفَارِ مَكَّةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَيْسَتْ عِبَادَتُهَا مَأْخُذَةً عَنْ دَلِيلٍ سَمْعِيٍّ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ وَلَا مَأْخُذَةً عَنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ كَذَلِكَ فَهُوَ عَنْ تَقْلِيدٍ وَجَهْلٍ وَهَذَا بَاطِلًا. وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مَعَ جَهْلِهِمْ، إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَأَضْحَاتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ تَعْرِفُ فِي وَجُوهِهِمْ عَلَامَاتِ الْإِنْكَارِ لَهَا لِفَرْطِ تَكْبَرِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمُ الْأَعْمَى لِلْجَهْلِ. وَيَبْدُو عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ أَمَارَاتُ الْغَيْظِ فَيَعْبِسُونَ وَجُوهَهُمْ وَيَتَجَهَّمُونَ وَيَغْضَبُونَ وَيَكَادُونَ يَبْطِشُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَيُوشِكُونَ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ بِالسَّوَاءِ.

فَقُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ كَانَ مَا نَزَلَ مِنَ الْآيَاتِ شَرًّا لَكُمْ وَقَدْ أَدَّى إِلَى غَيْظِكُمْ. أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ أَثَارِ غَيْظِكُمْ عَلَى مَنْ يَتْلُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ حَتَّى كُتِمَ تَبْطِشُونَ بِهِمْ؟؟ هُوَ النَّارُ، وَعَدَّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِأَنْ مَصِيرَهُمْ إِلَيْهَا وَبَسَّ الْمَصِيرَ هِيَ!!

تطهير الأرض من دنس الشرك والضلال

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ المؤمنون: ٢٨ - ٣٠

((قصة نوح عليه السلام))

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام بالإعداد لنجاته مع أهله الذين آمنوا بدعوته عن طريق صناعة سفينة يركبونها ويتخلصون من الطوفان الذي يغرق القوم الكافرين ويطهر الأرض منهم ، خاطبه الله تعالى في هذه الآيات الكريمةات :

إذا استويت واطمأنتت في السفينة أنت ومن معك ممن حملته من أهلك فقل : الحمد لله الذي نجانا من هؤلاء المشركين الظلمة .

عن ابن إسحاق ، قال : " لما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر بنوح ، وبنيه وأزواجهم " وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفساً . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ثم أمر نوح أن يدعو ربه حين خروجه من السفينة : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ أي إذا أسلمت وخرجت من السفينة فقل : رب أنزلني من الأرض منزلاً مباركاً وأنت خير من أنزل عباده المنازل .

عن قتادة ، ﴿ لَسْتُمْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ : ١٣
 " يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتهم في الفلك تقولون : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جَعَّرْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي
 لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وإذا ركبتهم الإبل قلتُم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١٣)
 وَإِنَّا إِلَيْكَ رَبَّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعاً تقولون:
 ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ إنه فيما فعلنا بقوم نوح عبرة لقومك يا محمد
 من مشركي قريش ليرتدعوا ويستدلوا على سنتنا في أمثالهم فينزعون عن كفرهم
 ويرتدون عن تكذيبهم حذرين أن يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم من العذاب ، وهذا
 اختبار لهم بالتذكير بهذه الآيات لننظر ماذا يفعلون قبل أن ننزل عقوبتنا ونحو الآية :
 ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ القمر: ١٥ .



اعترافات الكفار لله بالربوبية وإشراك معه غيره في الألوهية

﴿ **قُلْ** لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٤﴾
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ **قُلْ** أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ **قُلْ** مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ **قُلْ** أَفَلَا
 تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ **قُلْ** مَنْ مَلِكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا
 يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ **قُلْ** فَأَنَّى
 تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

المؤمنون: ٨٤ - ٩٠

براهين ثلاثة وحجة قاطعة في القرآن الكريم تدحض مزاعم المشركين في إنكار البعث والإيمان بالله تعالى. يلزم الإقرار بها الإيمان بخالق هذه الأشياء والإدعان لشرعه ورسالة رسوله. هذه الأشياء ركيزة الأدلة هي من الواقع المتعلق بالأرض التي يعيش عليها الإنسان والسموات السبع المحيطة بالأرض وبحقيقة مالك هذه الأشياء والمتصرف بها والمدبر لها أحسن تدبير.

مناقشة المشركين في عقائدهم حيث قال الله تعالى لرسوله الكريم :

• قل لهم يا محمد : من مالك الأرض ومالك من فيها من الحيوان والنبات والثمر وغيرها من المخلوقات الأرضية إن كنتم أهل العلم بذلك حيث قال تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ توبيخ لهم واستهانة بهم وإعلان لجهلهم.

إنهم سيقولون على الفور إنه (الله تعالى) فقل لهم بعد اعترافهم هذا : أتقولون هذا ولا تتعظون.

• وقل لهم ما هو أعظم من هذا : من رب الكواكب السبع السيارة التي تعلمون أنها تدور في أفلاكها في نظام عجيب؟ ومن هو رب العرش العظيم؟ سيقولون : الله، فقل لهم : أتعلمون هذا ولا تحذرون عقابه، أنكم أشركتم في عبادته غيره من الأصنام العاجزة التي لا تضر ولا تنفع؟

• وقل لهم : من بيده ملكوت كل شيء في هذا الكون الشاسع الذي لا يحيط به إلا هو، القاهر فوق عباده، ومن دلائل قدرة الله أنه يغيث من يشاء ويحرسه ويحميه، فلا يستطيع احد أن يناله بسوء، إن كنتم ذوي المعرفة؟ سيقولون الله، فقل لهم فكيف تُخدعون فتتصرفوا عن الرشاد والهدى وتتبعوا الشيطان والهوى مع ظهور الحق وتظافر الأدلة على وحدانيته وباهر قدرته وبالغ حكمته؟

بل أتيناهم بالأدلة على الوعد الحق وهو البعث يوم القيامة. وان الله واحد لا شريك له، وهو فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأنهم لكاذبون فيما ادَّعَوْهُ من إنكار البعث وفي الشرك بالله. وفي قولهم : أن أخبار البعث أكاذيب وأنكروا الحق وجعلوا لله شركاء إنهم قومٌ ضالون ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ .

اللهم لا تجعلنا مع القوم الظالمين

﴿ **قُلْ رَبِّ** إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ **وَقُلْ** رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

المؤمنون: ٩٣ - ٩٨

الله سبحانه وتعالى أعطانا نصائح وإرشادات وأوامر نعمل بها وندعو ونلتزم بها للتخلص من شرور الظالمين ولحماية أنفسنا من صراع الأهواء والاستعاذة من وساوس الشياطين ومقابلة الإساءة بالإحسان وهذه الإرشادات عالية وتوجيهات وأوامر في ممارسة أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

قل أيها الرسول : يا رب إن أريتني ما تعدُّ هؤلاء القوم المشركين من عذاب الدنيا والآخرة ، فلا تجعلني فيهم ونجني منهم ولا تعذبني بعذابهم لأنه قد يصيب العذاب غير أهله كما جاء في آية أخرى : ﴿ **وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﴾ الأنفال: ٢٥.

- فالدعاء بالنجاة من عذاب الظلمة ، توجيه إلهي لتعظيم الأجر ولنكون دائماً ذاكرين الله ومعتصمين به في وقت المحنة والشدة.

ففي هذا الدعاء (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) مصلحتان : استصحاب الخشية من الله ، والتحذير من الأمر المُعذَّب من أجله .

• والتوجيه الثاني : مقابلة الإساءة بالإحسان .. فقابل أيها النبي السيئة بالحسنة وتحمل ما تتعرض له من أنواع الأذى وادفع ذلك بالصفح والعفو والصبر على الأذى والكلام الجميل كالسلام ، أي أنه أمر النبي ﷺ بالصفح ومكارم الأخلاق لأن الله أعلم بحال القوم الضالين وبما يصفون ربهم من الشرك والتكذيب .

• والتوجيه الثالث : الاعتصام بالله ومضمونه : اعتصم بالله والتجئ إلى الله من وساوس الشياطين المغرية بالسوء والعصيان ومخالفة الأوامر وتعوذ بالله من شر الشياطين في كل أمر أو فعل سواء في الأحوال العادية أو في حالة الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه .

والهمزات : جمع همزة ، والهمز : النخس والرفع والإثارة أو الدفع باليد أو غيرها .

وقد كان ﷺ يلتزم هذا التوجيه في كل الأحوال عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ ، قال : " اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم ، وهمزه ، ونفخه ، ونفته " [سنن ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة]

همزة : الجنون ، نفخه : الكبر ، ونفته : السحر .

وإذا انقطع العبد إلى مولاه وتبتل إليه وسأله أن يعينه من الشياطين استيقظ قلبه ودعاه إلى التمسك بالطاعة والبعد عن المعصية .

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) ، أن رسول الله ﷺ كان يُعَلِّمُهُم من الفزع كلمات : " أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " وكان عبد الله بن عمرو يُعَلِّمُهُنَّ من عَقَل من بنيه ، ومن لم يَعِقَل كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ [سنن أبي داود - كتاب الطب]

غفرانك ربنا وإليك المصير

﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ المؤمنون: ١١٨

افتتحت سورة المؤمنین بفلاح المؤمنین ، وختمها الله تعالى بخيبة الكافرين وعدم فوزهم بما يؤملون حيث قال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، وبعد أن شرح أحوال الكافرين وجهلهم في الدين وعذابهم في الآخرة أمر رسوله بالانقطاع إليه والالتجاء إلي غفرانه ورحمته بقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي قل أيها الرسول : رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها ، وارحمني بقبول توبتي وترك عقابي على ما اجترحت من آثام وأوزار ، وأنت ربنا خير من رحم ذا ذنب ، وذكر الله أنه أرحم الراحمين تعليم للأمة وإرشاد إلى أن الرحمة الحقيقية والشاملة إنما هي الله سبحانه ، وما رحمة كل راحم إلا جزء من رحمة الله تعالى ، فإن الله تعالى أنزل ووزع في العالم رحمة واحدة وأمسك عنده (تسعة وتسعين) :

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار " [صحيح البخاري - كتاب الرقاق]

أخرج البخاري ومسلم والترمذي وابن حبان في جماعة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، قال : " قل : اللهم إني ظلمتُ

نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ،
إنك أنت الغفور الرحيم " [صحيح البخاري - كتاب الدعوات]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله تبارك
وتعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن
آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو
أتيتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقربها مغفرة " هذا
حديث حسن غريب [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب الدعوات]

وقال أبو هريرة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله إني لأستغفر الله وأتوبُ
إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " [صحيح البخاري - كتاب الدعوات]

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا
لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم " [صحيح مسلم - كتاب
التوبة]

وعن ابن عمر ، قال : كان تُعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من
قبل أن يقوم : " رب اغفر لي وتب علي ، إنك أنت التواب الغفور " هذا حديث حسن
صحيح غريب [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب الدعوات]



غَضُّ الْبَصْرِ وَالْحِجَابُ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِرِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

يجب على الرجل والمرأة أن لا يتبادلا نظرات السوء ويكفوا من نظرهم إلى ما لا يحلّ لهم النظر إليه زاعمين أنهما نظرا إلى بعضهما إعجاباً وإعظاماً بفعل وسوسة الشيطان، ولكن الحقائق أقوى من الوسواس والله لا تخفى عليه خافية. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لذا أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يقول للمؤمنين: كُفُّوا أَوْ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ فَلَا تَنْظُرُوا إِلَّا إِلَى مَا أُبِيحَ النَّظَرُ إِلَيْهِ. ومع غَضُّ الْبَصْرِ وحفظ الفرج خير وأطهر لقلوبكم وأنقى لدينهم فإن الله تام العلم بكل ما يصدر عن الناس من أفعال وهذا تهديد ووعد.

وخلافًا للمعتاد في أن خطاب الرجال يتناول النساء، أفرد الله النساء أيضًا بالأمر بَعْضِ الأبصار في النظر إلى الرجال وبحفظ الفروج من الفواحش والشذوذ حفاظًا على الحُرُمات والأعراض وإبعادًا عن تلوّث السمعة وحفظًا للصحة والكمال الإنساني. ثم أعقب الله ذلك الأمر المشترك بين الرجال والنساء ببيان أحكام خاصة بالنساء هي :

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية ، أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها ، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأذرات فيبدو ما في أرجلهن - يعني الخلاخل - وتبدو صدورهن وذواتهن ، فقالت أسماء ، ما أقيح هذا ، فأنزل الله في ذلك ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية .

وأخرج ابن جرير الحضرمي : أن امرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جُزَعًا (خرزاً فيه سواد وبياض) فمرت على قوم فضربت برجلها فوق الخلخال على الجُزَعِ فَصَوّت ، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾ الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

- ١- ألا تُظهِرِ النساء شيئاً من مواضع الزينة للأجانب غير المحارم إلا ما جرت عليه العادة بظهوره وهو الوجه والكفان والثياب الظاهرة.
- ٢- وعلى النساء ستر الرأس وكامل الجسد ونواحي الصدر.
- ٣- ولا تُظهِرِ النساء زينتهن الخفية إلا للمحارم ونحوهم وهم الأزواج وآباء الأزواج والآباء والأبناء والبنات، وأبناء الأزواج، والإخوة وبنو الإخوة وبنو الأخوات، والنساء من جنسهن، والمماليك من الرجال والنساء والأطفال الصغار دون العاشرة، والتابعون غير أولي الرغبة أو الحاجة إلى النساء.

والمرأة مأمورة ألا تُبدي زينتها لغير المحارم وغير الأزواج والأتباع وأن
تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة.

ولا يجوز للمرأة أن تلفت النظر إليها أثناء المشي فلا تدق الأرض برجلها
ليعلم الناس صوت خلخالها لأنه مضنة الفتنة والفساد ولفت النظر وإثارة المشاعر غير
الشرعية.

وختم الله سبحانه وتعالى الآية بأمر جميع الناس بالتوبة الخالصة وبطاعة الله
والإنابة إليه ليتحقق الفوز والصلاح والفلاح وسعادة الدنيا والآخرة.



الطاعة عند المؤمنين

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ النور: ٥٣ - ٥٤ ﴾

إن طاعة الله وحبه هي امتثال لأوامره ونواهيه وهذا تجسيد لمعنى الإيمان الحق بالله ﷻ وهذه صفة المؤمنين المميزة لهم بحق قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، يسمعون ويطيعون .

وأما المنافقون مجرد تصنع وتظاهر بالطاعة مع خلو القلب من الإيمان في معاني الطاعة الحقيقية.

لقد أكد الله تعالى بشارة المؤمنين بالفلاح في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة وبكل خير فكل من يطع الله ورسوله في كل أمر ويتق الله في كل عمل وخاف الله فيما مضى من ذنوبه واتقاه في مستقبل أيامه فأولئك هم الفائزون حقاً في قصب التنافس مع الآخرين.

ثم قارن الله تعالى حال المؤمنين بحال المنافقين في كل زمن فلقد كان أهل النفاق يحلفون للرسول مغلظين أيماهم مبالغين فيها إلى غايتها أو نهايتها ومضمون

الحلف لئن أمرتهم أيها الرسول بالجهاد والخروج لمواجهة الأعداء ليخرجن كما طلبت فكذبهم الله تعالى في هذه الأيمان الكاذبة بقوله تعالى :

قل لهم يا محمد : لا تحلفوا، فإن المطلوب منكم طاعة معروفة هي الصدق باللسان وتصديق القلب والأفعال، طاعة تُعرف منكم وتظهر عليكم في الظاهر والباطن وهي المطلوبة منكم.

أما طاعتكم التي تتظاهرون بها فهي كاذبة لا قيمة لها وأيمانكم كاذبة كما قال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْ أَلْفَيْهِمْ فَآبَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا كَالْبُهَمَاءِ عَلَيْهِمْ يُحْسِنُ الْعَذَابُ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٩٦ .

ثم فتح الله لهم باب الأمل ورغبهم ورهبهم فقل لهم أيها النبي : إتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وثمرة الطاعة معروفة فإنكم إن تطيعوا الرسول فيما أمركم به ونهاكم عنه تهتدوا إلى الحق لأنه يدعو إلى صراط مستقيم وليس للرسول سلطان الإكراه والإجبار لأحد فما على الرسول إلا البلاغ الواضح، كما قال تعالى أيضاً : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ الرعد: ٤٠ .

وقوله سبحانه : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ العاشية: ٢١-٢٢

هذه الآيات تحدد مهمتين للرسول ﷺ وللناس أما مهمة الرسول التي حمّله الله تعالى أمانتها وأوجبها عليه فهي التبليغ لوحي الإله ومحاولة إصلاح الناس بالرسالة الإلهية واعماله الجهد في إنذارهم وتحذيرهم من غضب الله إذا عصوه وخالفوه.

وأما مهمة الناس فهي السمع والطاعة لأمر الله ورسوله واتباع الحق وتجنب

الظلم والباطل.

القرآن الكريم كلام الله المنزل على رسوله الأمين

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٦﴾ الفرقان: ٦

سبق هذه الآية ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۗ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا ﴿ الفرقان: ٤ - ٥ .

عن ابن جريج : (أساطير الأولين) أشعارهم وكهانتهم ؛ وقالها النضر بن الحارث " فتأويل الكلام : وقال هؤلاء المشركون بالله ، الذين قالوا لهذا القرآن : إن هذا إلا إفك افتراه محمد ﷺ : هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين ، يعنون : أحاديثهم التي كانوا يُسَطِّرونها في كتبهم ، اكتبها محمد ﷺ من يهود ، (فهي تملى عليه) يعنون بقوله : (فهي تملى عليه) فهذه الأساطير تُقرأ عليه . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وقال كفار مكة : ما القرآن إلا كذبٌ اختلقه محمد . وزعم أنه أنزل عليه من عند الله . وأعانه على اختلاقه قوم آخرون من أهل الكتاب كان يلقون إليه أخبار الأمم الماضية ويعبر هو عنها بأسلوبه الخاص ويزيد عليها ما يشاء .

منهم غلام الفاكة بن المغيرة ، كان نصرانياً ثم أسلم ، وأبو فكيهه : يسار مولى ابن الحضرمي ، كان ممن يقرؤون التوراة ، وعداس مولى حويطب عبد العزى هؤلاء

كانوا كتابيين يقرئون الكتب التي أنزلت من قبل ويتحدثون أحاديث منها، ثم أسلموا وكان رسول الله ﷺ يتعهدهم بعد إسلامهم ويجلس إليهم بمكة عند المروة أحياناً، ويعلمهم مما علمه الله فتقول الكفار عليه ما تقولوا إنه يعلمه بشر)).

وقالوا ما القرآن إلا قصص المتقدمين وأكاذيبهم وأحاديثهم سطرورها وتناقلوا عنهم من بعدهم. وقد انتسخها محمد ﷺ من هؤلاء الذين تلقاها عنهم فأمر بكتابتها لأنه أُمِّي. فهي تُقرأ عليه في الغداة ثم يصوغها كما يشاء ويتلوها علينا، وخصّوا (بكرّةً وأصيلاً) هذين الوقتين بالذكر للإدعاء بأنها تُقرأ عليه خفية لا في وضح النهار لئلا يقف الناس على حقيقة الحال.

قل لهم يا محمد : لقد أنزل الله الذي لا يعزب عن علمه شيء في السموات والأرض هذا القرآن مشتملاً على غيوب مستقبله وأسرار خفية وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا علام الغيوب ويستحيل عليّ أن أعلمها ما لم يُعلّمني إياها الله سبحانه وتعالى.

ولو كان القرآن منقولاً من الكتب الماضية لما زاد عليها شيئاً ولكنه جاء بأمور كثيرة ليست فيها، وأعجز العرب قاطبة بفصاحته وبلاغته فكيف تجعلونه أيها الكفار أساطير الأولين. إن الله لا يُعجل بعقوبتكم على تقولكم مع كمال قدرته عليها، ويرحمكم مع استحقاقكم أن يُصبّ عليكم العذاب صبّاً لما سبق في علمه أنه لا يعذبكم والرسول بينكم.



جزاء المتقين

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ

جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ

وَعَدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ الفرقان: ١٥ - ١٦

سبق هذه الآيات ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ

مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ الفرقان: ١١ - ١٢

لم يكتف الكفار بتكذيب الرسول ﷺ بل كذبوا بيوم القيامة وغرّتهم الحياة الدنيا وظنوا أنّ الجاه والكرامة في المال وطعنوا فيك ليفرك وكذبوك، ولقد أعددنا لهؤلاء الكفار ناراً ملتهبة شديدة الاستعار يسمعون صوت غليانها من مكان بعيد وصوت زفيرها الذي يخرج من شدة الغضب ... عن مجاهد، عن عبيد بن عمير في قوله: ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ : إنّ جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ خرّ لوجهه ترتعد فرائصه حتى إبراهيم عليه السلام ليجثوا على ركبتيه ويقول: " رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي " [ابن كثير]

وإذا ألقوا فيها من مكان ضيق من النار وهم مُقرّنون بالسلاسل قد ضُمت أيديهم إلى أعناقهم، تمنوا حينئذ الهلاك من هول ما يلقون ليستريحوا من العذاب الأليم، فيقال لهم على سبيل الاستهزاء ﴿ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ : ١٤ أي أطلبوا هلاكاً كثيراً لأنّ عذابكم مع شدته وفضاعته سيكون على

صور مختلفة وألوانٍ متعددة فكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

قل لهم يا محمد على سبيل التهكم والتقريع : أذلك السعير الذي أُعِدَّ لكم خير، أم جنة النعيم المقيم التي تفضل الله فوعدها المتقين؟

كانت هذه الجنة جزاءً على أعمالهم لهم فيها ما يشاءون من النعيم يستمتعون فيها إلى أبد الأبد.

إن هذا الوعد الذي وعده المتقين، يسأله من وعده به بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَعَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ آل عمران: ١٩٤ .

ويسأله الملائكة بقولهم: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ غافر: ٨ .
 عن معاذ رضي الله عنه ، قال : كنت رَدَفَ النبي ﷺ على حمارٍ يُقال له عُفَيْرٌ ، فقال : " يا معاذُ ، هل تدري حقَّ الله على عباده ، وما حقُّ العبادِ على الله ؟ " ، قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : " فإنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً ، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يُعذَّبَ من لا يشرك به شيئاً " ، فقلتُ : يا رسول الله أفلا أُبشِّرُ به الناسَ ؟ قال : " لا تُبشِّرُهُمْ ، فَيَتَكَلَّبُوا " [أخرجه الشيخان ، وهذا لفظ البخاري - كتاب الجهاد والسيِّر]



الذي يفر إلى الله أجره عند الله

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۗ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٧ - ٥٩

سبق هذه الآيات ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾ : ٥٥ - ٥٦ .

الله سبحانه وتعالى نعمة كثيرة على البشر وكمال قدرته واضحة لكل الناس ولكن مما يدعو إلى العجب أن بعض الكفار يعبدون من دون الله الأصنام التي لا تنفعهم. فإذا كان الكفار كذلك فلا يحزنك يا محمد عنادهم فما أرسلناك إلا مبشراً للمؤمنين بالجنة ومخوفاً للكافرين بالنار.

قل لهم يا محمد: إن أجرك على الله ولمن شاء أن يتخذ لنفسه إلى ربه طريقاً إلى مرضاته والتقرب إليه باتباع دين محمد وإنفاق ماله في سبيل البر ويخلص في عمله ويراقب الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، فليفعل وأجره على الله.

وتوكل يا محمد في دعوتك على الحيي الذي لا يموت واعتمد عليه في دفع شرور الكفار فإنه جدير بالتوكل عليه دون غيره من الأحياء المعرّضين للموت في كل لحظة ، فإذا ماتوا ضاع من كان يتوكل عليهم أما المولى جلّ وعلا فإنه حي لا يموت ، ولا يضيع من يتوكل عليه ونزه الله عن كل ما لا يليق به مثيقاً عليه ، شاكرًا لأنعمه وحسبك الله الذي يعلم بذنوب عباده مُطلعًا عليها ما ظهر منها وما بطن والله الحي الباقي الخبير بجميع عباده. الجدير بالتوكل عليه هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أوقات على أطوار مختلفة ولو شاء أن يخلقها في لحظة لفعل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون.

ولكنه أراد أن يُعلّم عباده الرفق والتأني فيما يأتون به من الأمور ثم استولى على العرش على هذا الكون ، والمراد بالاستيلاء الإخبار بعلو مجده وبسط سلطانه على ملكوته ، أي أنه ليس له في العظمة والجلال غيره ولا شبيه له.

وليس المراد من (ثم) أن يكون هذا الملك والسلطان بعد خلق السموات والأرض ، بل المراد به أن بعد خلقهما بسط سلطانه ونفوذه عليهما وهو الرحمن الواسع الرحمة لعباده فاسأل أيها الكافر المعاند المغرور الجاحد عليمًا به يخبرك بصفاته وأسمائه الحسنی وباهر قدرته واسأل خبيراً من أهل الكتاب ينبئك به.



الله غني عن عباده

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ

يَكُونُ لَكُمْ لِيَامًا ﴾ ﴿٧٧﴾ الفرقان: ٧٧

ختمت سورة الفرقان بهذه الآية الكريمة أي :

قل يا محمد لأهل مكة : ما يعتد الله بكم ولا يكثرث بعبادتكم ولا يُبالي عصيانكم فهو غني عنكم ولا وزن لكم عند ربكم لولا دعاءكم إياه عند نزول المكروه، واستغاثتكم به عند الشدائد، ونظير هذا قوله :

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ .

فأنتم تدعون حينئذ ليكشف عنكم، وكيف يعبأ بكم وقد كذبتكم رسوله، وطعتم في القرآن الذي أنزله عليه، وتكبرتم عن الإيمان؟؟ فسوف ترون ما يحل بكم. سوف يكون العذاب الذي ينزل بكم جزاء تكذيبكم عذاباً لازماً دائماً، يحيق بكم لا محالة، وقد ظهرت مقدمة هذا العذاب في الدنيا في واقعة بدر، إذ قُتل فيها سبعون من صناديد قريش وسيلقون العذاب الأليم في الآخرة، يوم يبطش الله بهم البطشة الكبرى وينتقم منهم أي انتقام.



أصول الدعوة إلى الله تعالى

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴿ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٢١٥) فَإِنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ (٢١٧)
الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ (٢١٨) وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّلْجِدِينَ ﴿ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿ (٢٢٠) الشعراء: ٢١٣ - ٢٢٠

أخرج ابن جرير الطبري عن ابن جريج ، قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته ، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله : ﴿ وَأَخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وصى الله سبحانه وتعالى نبيه بالثبات على عبادة الله تعالى وأمره بأربعة أوامر :
الأول / أعبد الله وحده لا شريك له ، وادعُ إلى توحيدِهِ وعبادته دون سواه
وإيّاك أن تعبد معه إلهاً آخر فتكون من جملة المستحقين للعذاب ، وهذا خطاب
للنبي يريد به أمته .

الثاني / أمر الله بالبداة بإنذار أقاربه من العشيرة ، فجمع عشيرته مرتين فدعاهم
إلى التوحيد ووعظهم ... عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه :
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ " يا معشر قريش ، اشترؤا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم
من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد

المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمه رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت رسول الله ، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

وأخرج البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : " يا صباحاه " فقالوا : من هذا ؟ ، فاجتمعوا إليه ، فقال : " أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ " قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " قال أبو لهب : تبا لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد : ١ .

الثالث / يأمر الله أيها النبي بخفض الجناح لمن اتبعك أي لين الكلمة وبسط الوجه والبرّ والرفق بمن آمن بدعوتك فإن عصاك أحد منهم فقل : إني بريء من أعمالكم التي ستجازون عليها يوم القيامة .

الرابع / تفويض الأمر إلى الله كله القاهر فوق عباده ، الرحيم بأوليائه ونصرائه الذي يراك حين تقوم راععاً وساجداً . إن الله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم .



أمر الله تعالى للنبي بحمد الله تعالى على نعمه وحاجة الخلق لله تعالى

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) آمَنَ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ
بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لِّمَنْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ آمَنَ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ آمَنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ آمَنَ يَدُّوا
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مِمَّا تَبْهِنُونَ ۗ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ النمل: ٥٩ - ٦٤

قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ﴾ الآية ، يقول الله تعالى
أمرًا رسوله ﷺ أن يقول : (الحمد لله) أي لإنعامه على عباده من النعم التي لا تعد ولا
تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ، وأن يسلم على عباد
الله الذين اصطفاهم واختارهم ، وهم رسله وأنبياءه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة
والسلام ، هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره أن المراد بعباده الذين

اصطفى هم الأنبياء قال وهو كقوله : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) الصفات: ١٨٠ - ١٨٢ ، وقال الثوري والسدي : هم أصحاب محمد ﷺ ، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى ، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ ومن اتبعه (بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والتأييد وما أحلَّ بأعدائه من الخزي والنكال والقهر) أن يحمده على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار ، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لئيبه رضي الله عنهم . [فوائد تفسيرية من الحافظ الممتن]

وفي هذا تعليم حسنٌ وأدبٌ جميلٌ وبعثٌ على التيمُّن بالذِّكْرَيْن والتبرُّك بهما والاستظهار بمكانتهما، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر : هذا الأدب، فحمدوا الله وصلَّوا على رسول الله ﷺ أمام كل مناد. وقبل كلِّ موعظة وفي مُفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجرؤا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك مما له شأن، ثم شرَّع بتوبيخ المشركين .

هل الله المتصف بالقدرة والعظمة والإنعام خيرٌ أمَّا يشركون به من الأصنام؟؟ وهذا استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى والمقصود التنبيه على إغراقهم في الضلال والجهل .

لأن الله جلَّت قدرته هو المنفرد بالألوهية، التحقيق بالعبادة، لأن آثار قدرته ظاهرة، ودلائل وحدانيته باهرة، فهو رب هذا الكون، وخالق السموات والأرض وخلقكم أنتم أيها الجاحدون من هذه الأرض وأنزل لأجلكم من السماء مطراً بما هيأ في الكون من حرارة تُصعَّد البخار من البحار ثم يصير في طبقات الجو سحاباً يرسله الله إلى من يشاء ثم يتكاثف ويتساقط ماءً يسيل أنهاراً تجري فيها السفن ويسقي الأرض وينبت بقدرة الله حدائق ذات بهجة تقرُّ أنظاركم وتسرُّ نفوسكم وتعطيكم بديع

الزهر ويانع الثمر ولا تستطيعون أنتم ولا آلهتكم التي تعبدونها من دون الله أن تنبتوا شجرها فضلاً عن أزهارها وأثمارها واختلاف أصنافها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها وأحجامها.. فهل تعبدون إلهاً آخر إنكم قوم عمون، منحرفون عن التوحيد، ويعكفون على الباطل والشرك.

أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ بِسَطْحًا وَحِجَابًا وَهَيَاةً بِالسَّهُولِ وَالْوُدْيَانِ وَالْهَوَاءَ وَالضُّوْءَ وَالْحَرَارَةَ وَجَعَلْنَا مُسْتَقَرًّا لَكُمْ وَمَكَانًا صَالِحًا لَسُكْنَانِكُمْ وَمَعِيشَتِكُمْ وَأَجْرِي فِي وَسْطِهَا أَنْهَارًا تَنْتَفِعُونَ بِهَا وَجَعَلْنَا لَهَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا يَمْنَعُهَا مِنَ الْمِيلِ وَأَوْدَعَ فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْمَنَافِعِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى وَجَعَلْنَا بِقُدْرَتِهِ الْأَنْهَارَ الْعَذْبَةَ وَالْمَالِحَةَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا بَرَزَخًا حَاجِزًا مُنْفَصِلًا الْوَاحِدَ عَنِ الْآخَرِ، فَهَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا آخَرَ؟

بل من يسمع دعاء المظلوم واستغاثته والملهوف فيستجيب لدعائكم ويزيل السوء عنكم ويذهب الخوف والفرع ويجعلكم خلفاء في الأرض فيورثكم إياها بالسكنى والتصرف فيها؟

عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: "دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت" [صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق]

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده" [صحيح ابن حبان - باب الإمامة والجماعة]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: "اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب" [صحيح البخاري - كتاب المظالم والغضب]

فالإنسان قليلاً ما يتذكر نعم الله عليه، ثم زادهم الله تأنيباً وتهكماً من ناحية أخرى فقال: بل من يهديكم الطريق الذي يوصلكم إلى غايتكم في ظلمات الليالي في البحر والبر؟

ومن يرشدكم بوسائل العلم التي وفقتم إلى ابتداعها كالمنارات وآلات الرصد والإبرة الممغنطة إلى أن تسيروا باتجاهها في ظلمات بحر لُجِّي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحب، بل من يسوق إليكم الرياح لتبشركم بتجميع السحاب ونزول الغيث، وهو من رحمة الله تعالى لكم تجري بها الأنهار وتسيل الوديان فتنبت الأرض ويخرج الثمر. أينبغي أن يعبد غير الله المتصف بالكمال والجلال؟؟

بل من أنشأ البشر من العدم وأوجد هذا الخلق وتكفل برزقه وأسباب حياته ومن يعيده إلى الحياة بعد الموت؟ لا شك أن الله الذي خلقه ثم أماته قادر على أن يحييه وذلك أهون عليه.

هذه براهين على أنه الواحد لا شريك له يحيي ويميت ويبدئ الخلق ثم يعيده فهاتوا برهانكم واطهروا حججكم، على أن هذه المعبودات التي تعبدونها قادرة على ذلك وتستحق العبادة فيما تدعونه إن كنتم صادقين. بل ولستم صادقين بل أنتم كاذبون ضالّون، مُضِلّون.



علم الغيب لا يعلمه إلا هو

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

﴿ ٦٥ ﴾ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ

﴿ ٦٦ ﴾ النمل: ٦٥ - ٦٦

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية، (إلا الله) استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ المنفرد بذلك وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ٥٩ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ لقمان: ٣٤ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل: ٦٥ أي وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال تعالى: ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْضَةً ﴾ الأعراف: ١٨٧ أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض... وقال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء وجعلها يهدي بها وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حَضَّهُ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن أناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة فقالوا: من أعرس بنجم كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والرميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب وقضى الله تعالى أنه: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ . [تفسير ابن كثير]

إنَّ عقل الإنسان مقصور على معرفة أشياء معينة فهو لا يعلم المستقبل وإنما يتوقع ويخطط ويدع التنفيذ وإصابة الهدف لله تعالى لذا يجب اتخاذ الأسباب المرعية والقيام بالواجب بعد التوكل على الله وتفويض الأمر لله تعالى ، فالزراع يبذر البذور في الأرض ويكل أمر النبات لله تعالى سبحانه والتاجر يخاطر في البيع والشراء ويترك تحقيق الربح لله تعالى ، والطالب يجتهد في دراسته ويدع النتائج لله سبحانه ، والعامل يبذل ما في وسعه ثم يفوض الأمر في سلامة عمله لله تعالى .

وأكد الله أمراً آخر وهو جهل الناس بيوم القيامة حين قال : ﴿ بَلْ أَدْرَكَ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْهَا ﴾ ، أي تدارك بمعنى تناهى وتتابع علمهم بالآخرة إلى أن يعرفوا لها مقدراً فيؤمنوا وإنما لهم ظنون كاذبة فهم عاجزون عن معرفة وقت حدوثها. ثم وصفهم بالحيرة والاضطراب قائلاً : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْهَا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لِّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ الكهف: ٤٨ ، ثم كشف الله حقيقتهم وهي التعامي عن التفكير والتأمل والتدبر في أمر الآخرة : ﴿ بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ، فهم عمي البصيرة لا البصر وهذا أسوأ حالاً من الشك .

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : " ما تذاكرون ؟ " قالوا : نذكر الساعة ، قال : " إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات - فذكر - الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم " [صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة]

عاقبة المجرمين

﴿ **قُلْ** سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ **قُلْ** عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

النمل: ٦٩ - ٧٥

قل يا محمد للكفرة : إن الله قد خلق لكم العيون لتروا ، فتنقلوا في جهات الأرض وانظروا فيها بعيونكم ، فسترون الآثار بيّنة ناطقة بما انتهى إليه أمر الكفار المكذبين أمثالكم ، لقد كفروا وأصروا على الكفر وكذبوا وأصروا على التكذيب فحسب الله بهم وبديارهم الأرض.

يا محمد : لا تحزن عليهم لعدم إيمانهم فما عليك إلا البلاغ المبين ولا تجعل الهم والغم يستوليان عليك مما يمكرون بك ويكيدون لك ، فإن الله يحفظك من شرهم ويعصمك من كيدهم.

وإنهم يسألون مستهزئين : متى هذا الوعد أي يوم البعث ؟ فإنك يا محمد صادق بوعدكم إياهم من الآخرة والبعث والحساب والعذاب.

قل لهم يا محمد : قريباً سيلحقكم ويتبعكم العذاب في الدنيا الذي تنكرون وقوعه في الآخرة وتستعجلون حلوله بكم ! فقد وقع بهم عياناً من القتل والأسر والهزيمة ما حل في يوم بدر وتحقق نصر الله في انتصار فئة قليلة على فئة كثيرة بإذن الله .
وإن الله تعالى يؤجل عقاب الكفار والعصاة افضالاً عليهم ولكن كثيراً منهم لا يعرفون حق نعمة الله عليهم فلا يشكرونه عليها بل يكفرون بها ويجحدونها .

وإن ربك ليعلم ما يخفي الكفار في صدورهم وما تستره نفوسهم من عداوة الرسول وتدبير الكيد له وما يظهرونه من تكذيبه ومعارضته بل إنه يرى كل خافية في الأرض وفي السماء ، ويعلم كل غائبة في الكون ويثبتها في صحائف إثباتاً بيناً واضحاً وستعرض يوم القيامة ليجازي كل على عمله ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ﴿ الزلزلة: ٧-٨ .



عبادة الله ... وتلاوة القرآن

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۖ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ النمل: ٩١ - ٩٣

ختمت سورة النمل بخاتمة عظيمة وأوامر من الله سبحانه وتعالى لنبيه :

الأول / عبادة الله وحده لا شريك له رب مكة التي حرّمها على الناس فجعلها شرعاً بلداً آمناً حرماً ، لا يسفك فيها دم ، ولا يظلم فيها أحد ولا ينقّر صيدها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يهدد الخائف فيها وفي قوله : ﴿ حَرَّمَهَا ﴾ تعديد للنقمة على قريش في رفع الله تعالى عن بلدهم الغارات والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب في ذلك الزمان ، فهو المالك لكل شيء في الكون المتصرف وحده لا يشاركه فيه أحد.

الثاني / أمره الله أن يكون من المسلمين الموحدين المخلصين لله تعالى ، المطيعين لأوامره طوعاً أو كرهاً : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣.

الثالث / أمره ربه أن يتلو القرآن على الناس وأتلوه وحدي ليلاً ونهاراً لاستبان أسراره والتعرف على أدلة وجود الله وتوحيده فيزداد إيماني وتشرف نفسي وتلاوة

القرآن وحدها لا تكفي وإنما العمل بما جاء في القرآن من أوامر وتشريعات وأحكام وتجنب نواهيه.

الرابع / قل أيها الرسول : الحمد لله الذي لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه وحسابه وأن الله سيريكم آياته التي تدل على عظمته وحكمته وقدرته.



الشيخ الاموي عليه

إن الله لا يهدي القوم الظالمين

﴿ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِيَأْتِيَنَّ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ القصص: ٤٩ - ٥٠

سبق هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ

يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ .

عندما أرسل الله تعالى رسوله محمد ﷺ وأنزل القرآن الكريم هدى للناس ، جحدوا به وكذبوا رسالته ولم يعتدوا بكتابه وطلبوا منه المعجيات بمعجزات موسى ، من مجيء التوراة جملة وقلب العصا وإخراج اليد البيضاء من غير سوء ، وقد كفر المعاندون قبلهم بما جاء موسى من المعجزات وقالوا : ما هي إلا سحر مفترى وما هي إلا أساطير الأولين ، وإن موسى ومحمداً ساحران تعاوننا على الخداع والتضليل وإنا لكافرون بكل منهما .

ثم أمر الله سبحانه وتعالى رسوله يقول لهم : إن استطعتم أن تأتوا بكتاب خير من التوراة والقرآن موصول إلى الحق ، هادٍ إلى سبيل الحق فافعلوا فإن لم تستطيعوا ذلك فأنتم متبعون الهوى سالكون سبيل الضلال .

ثم ذكر الله انه ما أرسل الكتاب منجمًا على هذا المنهج إلا ليكون عبرة وذكرى لهم بين آن وآخر لعلهم يرتدعون عن غيهم.

إن الله لا يوفق الذين خالفوه واتبعوا سبيل الغي وتركوا طاعته وكذبوا رسله واتبعوا أهواءهم وآثروا طاعة الشيطان على طاعة الرحمن.



الحمد لله على نعمه

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمَاتٍ ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ القصص: ٧١ - ٧٣

الليل والنهار يتعاقبان ويختلفان طولاً وقصراً باختلاف فصول السنة وهما متساويان دائماً عند خط الاستواء ثم يختلفان باختلاف الفصول كلما بُعد المكان عن خط الاستواء وكلما كان المكان أبعد كان الاختلاف أشد، ففي العراق مثلاً يطول النهار حتى يكون أربع عشرة ساعة ويقصر حتى يكون عشر ساعات والليل كذلك يطول ويقصر على هذا النحو وكلما انحدر الإنسان شمالاً أو انحدر جنوباً وجد ذلك الاختلاف، وهو يطول حتى يصير الليل أشهراً والنهار أشهراً وذلك عند القطبين أو بالقرب منهما ووضع الأرض في وسط المجموعة الشمسية على هذا النظام فيه نعمة كبيرة جداً على الإنسان أو لا ندري كيف يكون حالنا لو أن الأرض كانت مثل عطارد حيث يساوي ليله ٤٤ يوماً من أيام الأرض وكذلك نهاره، ومثل الزهرة التي يساوي ليلها ١١٢ يوماً من أيام الأرض وكذلك نهارها، أو مثل القمر الذي يساوي ليله ١٤ يوماً من أيام الأرض وكذلك نهاره، ويتبع ذلك الطول في الليل والنهار، إن جو الليل يكون بارداً جداً ويصل أحياناً في بعض الكواكب إلى ٤٠٠ درجة تحت الصفر وإن

جو النهار يكون حاراً جداً ويصل أحياناً في بعض الكواكب إلى ٤٠٠ درجة مئوية ،
بهذه الموازنة القصيرة يتضح فضل الله على الإنسان بأنه لم يجعل الليل دائماً ولا
النهار دائماً ، لأنه لو جعل الليل دائماً لما وجدنا أحداً غيره يستطيع أن يضيء لنا ،
ولو جعل النهار دائماً لما وجدنا أحداً غيره يستطيع أن يأتي بالليل ، ولكن الله رحيم
بالناس عالم بأحوالهم فخلق لهم ليلاً يسكنون فيه ويطمئنون ويستريحون من عناء
الأعمال ، وخلق لهم النهار ليسعوا فيه ويجلبوا رزقهم .. إن فضل الله على الناس
يستوجب الشكر وأن ينفرد هو بالشكر ويُخصَّ بالثناء والحمد.



عودة الرسول إلى مكة يوم الفتح

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۗ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۗ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص: ٨٥ - ٨٨

روى مقاتل ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك : قال : أنه عليه الصلاة والسلام خرج من الغار (حين الهجرة) وسار في غير الطريق مخافة الطلب ، فلما أمن رجع إلى الطريق ، ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها ، وذكر مولده ومولد أبيه فنزل جبريل عليه السلام وقال له : أتشتاق إلى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم ، فقال جبريل : فإن الله يقول : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ﴾ [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي] ... وهي إحدى معجزاته ﷺ لأنه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر ومؤنسه بالفتح حيث فتح محمد مكة ودانت له قريش وآمن به من كان لا يزال على الكفر.

وأمر الله نبيه أن يقول لهم : ربي أعلم بأني على هدى وأني لم أبلغكم غير الحق وإنكم مقيمون على ضلال بين واضح.

ويقول الله لنبيه أيضاً: أنزل عليك ربك الكتاب رحمة بك ورضا عنك وبين الله ما يجب أن يعمله كفاء هذه النعم :-

- لا تكن عوناً للكافرين وفارقهم وخالفهم وكن عوناً للمسلمين.
- ولا يمنعك شيء عن اتباع آيات الله المنزلة إليك، أي لا تلتفت إلى أقوال وأفعال المشركين لأن الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على جميع الأديان.
- وأدعُ الناس إلى عبادة ربك وحده لا شريك له وبلغ الدعوة وأعلن الرسالة وأصدع بما تؤمر ولا تتردد ولا تخاف لأن الله معك وناصرك.
- ولا تشرك بالله واحذر فئة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً واحم أصحابك منهم وادعهم إلى التذرع بالصبر على المكارِه واحتمال الأذى حتى لا يعودوا إلى إشراكهم وعبادة إله مع الله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو الباقي الأبدي الذي يهلك كل شيء ويُفني .. ويبقى هو.
- وأدعُ الله ولا تدعُ مع الله إلهاً آخر واعبدهُ واصطبر لعبادته أنت ومن آمن بالله ، فالعبادة تستحق لله سبحانه وتعالى ولا فائدة في دعاء غيره ، فصفات الله ﷻ باقية والله باقٍ وحده لا إله إلا هو ، لأن كل من في الوجود فإن وهالك .. إلا ذات الله.
- والله فصل القضاء وهو المختص وحده بالقضاء يوم القيامة والمصير إليه ، يحاسب كل إنسان على عمله ولا يفوز برضاه وجنته إلا المؤمنون .. جعلنا الله منهم.



دعوة إبراهيم عليه السلام

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ
وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

العنكبوت: ٢٠ - ٢٣

إن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وإمام الحنفاء دعا إلى توحيد الله ﷻ وهجر عبادة الأصنام وشكر الله المنعم الرازق وبيان قدرته على بدء الخلق وإعادته ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

فقد كان النمروذ وأهل مدينته عبدة أصنام ، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى ونبههم إلى ما هم عليه من الضلال.

وأمر الله إبراهيم عليه السلام أن يأمر قومه بأن يسيروا في الأرض وأن يتأملوا ما فيها من مخلوقات مختلفة الأشكال والألوان والأجناس والهيئات فيقفوا على ما في خلقها من عجائب ولطائف لا يقدر على إيجادها إلا الله الواحد الأحد. والله الذي قدر على هذا الإيجاد فهو قادر على الإعادة والبعث والنشور... لا يعجزه شيء.

والذي يكون بعد البعث والإعادة إنما هو الحساب والجزاء فإن الله يعذب من يشاء من الكفار والعصاة ويرحم من يشاء من المؤمنين فضلاً منه ورحمة ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وإلى الله المصير يوم القيامة بعد الموت فيحاسب كل إنسان على ما قدّم وأخر وحسابه قائم على العدل والإنصاف لأن الله مالك لكل شيء يسوي بين المخلوقات.

ولستم أنتم أيها الجاحدون الكافرون بمعجزي الله سواء في الأرض والسماء فلا يقدر أحد على الإفلات من قبضته ، فقبضته السموات والأرض وما بينهما وهو القاهر فوق عباده وليس لكم من دون الله ولي ولا نصير.

ثم توعد إبراهيم عليه السلام كل كافر فإن كل الذين كفروا بدلائل وحدانية الله وقدرته وما أرسل به رسله وكفروا بالمعاد ... أولئك لا نصيب لهم من رحمة الله بسبب كفرهم ولهم عذاب مؤلم شديد ، عافانا الله من العذاب.



المعجزة الباقية وهي ((القرآن الكريم))

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ **قُلْ** إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

العنكبوت: ٥٠ - ٥١

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ الآية، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار بن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي ﷺ: " كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم، إلى ما جاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم " فأنزل الله ﷻ هذه الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

بعد أن ذكر النبي ﷺ الدليل على أن القرآن من عند الله وليس بمفترى من عند محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ الْمُبْطَلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨، وقال أيضاً: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ العنكبوت: ٤٩ وقال أيضاً: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٩، طلبوا من النبي ﷺ أن يأتي بمعجزة محسوسة كما أتى بذلك الأنبياء السابقون: كناقدة صالح وعصا موسى فأجابهم: بأن أمر ذلك إلى الله لا إليه، فلو علم الله أنكم ستهتدون.. لأجابكم، وبين سخف عقولهم وطلبهم الآيات الدالة على صدقه بعد أن جاءهم بمعجزة باقية طول الدهر وهي القرآن الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار فيه

خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم ، فيه الحق ودحض الباطل فيه ذكرى
حلول العقاب بالمكذبين والعاصين .

فكل من يؤمن بالجبت والطاغوت فقد خسر خسراناً مبيناً وسينال عقابه على
انكاره القرآن وجحوده .

﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فعلي أن أبلغكم رسالة ربي وليس عليّ هداكم كما قال
سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْهُ . وَإِنَّا مُرْشِدُونَ ﴾ الكهف: ١٧
وقال أيضاً: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا يَحْكُنُّ اللَّهُ بِهِمْ يَدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ البقرة: ٢٧٢ .

من فضائل هذا الكتاب (القرآن الكريم) رحمة وذكرى لقوم يؤمنون ، أي ان
القرآن رحمة لمن آمن به لأنه أبان الحق وأزال الباطل وذكر بعذاب المكذبين وما
سيحل لهم من الوبال جزاء كذبهم وعدم تصديقهم .



وكفى بالله شهيداً

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ العنكبوت: ٥٢

قل لهم يا محمد: كفى بالله عالماً بما صدر مني من التبليغ والإنذار وبما صدر منكم من مقابلة بالتكذيب والإنكار وهو المجازي كلاً بما يستحق، وإني لو كنت كاذباً لانتقم مني كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحاقة: ٤٤-٤٧.... بل إني صادق فيما أخبرتكم ومن ثم أيديني الله بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات.

ثم علل كفايته وأكدها بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ أي إن الله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء ومن جملته شأني وشأنكم فيعلم ما تنسبوه إلي من التقول عليه فالقرآن حجتي عليكم.

والذين لم يؤمنوا بهذا القرآن وآمنوا بالباطل وعبدوا الأصنام والأوثان وكفروا بالله ﷻ ورسوله أولئك هم الخاسرون حيث إنهم اشتروا الكفر بالإيمان فاستوجبوا العقاب حين الوقوف بين يدي الملك الديان.

وإن الله سيجزيهم على ما صنعوا من تكذيبهم الحق واتباعهم الباطل وتكذيبهم برسول الله مع قيام الأدلة الواضحة على صدقه: ﴿نَارًا تَلَطَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ الليل: ١٤-١٦.

اعتراف المشركين بربوبية الله تعالى وانه خالق كل شيء

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ **قُلِ** الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٣

هذه الآيات افحام للمشركين القائلين بتعدد الآلهة وإقامة الحجة عليهم بأنهم سئلوا عن الأمور العظام وهي دلائل قدرة الله تعالى فما كان منهم إلا التسليم لله تعالى.

فوالله يا محمد لو سألت المشركين بالله إلهاً آخر : من الذي أوجد الخلق؟ ومن الذي أوجد السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الليل والنهار وما في الأرض من كنوز ومعادن وجمال وانهار وبحار ومخلوقات متعددة ؟ .. لأجابوك بأنه المبدع الخالق ((الله تعالى)) فكيف يصرفون عن توحيد الله وإخلاص العبادة له ؟

والدليل الآخر بعد الاعتراف بالله الخالق هو دوام المخلوقات ، تكفل برزقه ويسره لها : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ العنكبوت: ٦٢ يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق الرزق على من يريد ابتلاءً ومحنة بما يراه الأصلح لعباده : ﴿ وَكُوِّبَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ الشورى: ٢٧.

واستمراراً لمدد الرزق وتقريراً لحقيقة ثابتة يعترف بها المشركون انك أيها الرسول لو سألتهم: عمّن ينزل المطر من السماء أو السحاب فيحي الأرض بعد موتها وتنبت النباتات بإذن ربها؟ لأجابوك: ((الله تعالى)) .

فقل لهم يا رسول الله ((الحمد لله)) على قيام الحجة عليكم ، وإن الله مصدر النعم كلها ولكن هؤلاء المشركين لا يعقلون ويعبدون مع الله تعالى وثناً أو حجراً أو معدناً لا يتمتع بصفات وحقائق الألوهية ولا ينفعهم شيئاً ولا يضرهم لو تركوا عبادته .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: ٤٠) .

((فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله))



التأمل بمصير المفسدين

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِن اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الروم: ٤٢ - ٤٥

سبق هذه الآية : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ

الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

لقد ظهر الفساد في البر والبحر بالحروب والغارات والجيوش والطائرات والسفن البحرية والغواصات ، بما كسبت أيدي الناس من الظلم وكثرة المطامع وانتهاك الحرمات وعدم مراقبة الله سبحانه وتعالى ، وطرح الأديان وراء ظهورهم ونسيان يوم الحساب وأطلقت النفوس من عقالها وعاثت في الأرض فساداً بلا رقيب ولا وازع نفسي ولا حسيب من دين يدفع عاديته ويمنع آذاها ... فأذاقها الله جزاء بعض ما عملوا من المعاصي والآثام لعلهم يرجعون عن غيِّهم ويتوبون إلى رشدهم ويتذكرون ان هناك يوماً يحاسب الله فيه الناس على أعمالهم .. إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر فيخيّم العدل على المجتمع البشري .

ثم أراد الله سبحانه وتعالى لفت نظر الناس والاتعاظ بمصائر الماضين المفسدين ، فقل لهم أيها الرسول للمفسدين والمشركين في البلاد : تقلبوا في البلاد وتأملوا بمصير من قبلكم وكيف أهلك الله الأمم السابقة وأذاقهم سوء العذاب بسبب كفرهم وقبح أعمالهم حيث كان أكثرهم مشركين بالله شركاً ظاهراً لا خفاء فيه .

فاسلك أيها الرسول الكريم الطريق الذي رسمه لك ربك بطاعته واتباع نهجه القويم الذي لا عوج فيه ولا أمت ، من قبل أن يجيء يوم لا راد له وهو يوم الحساب ثم ذكر حال الناس في ذلك اليوم .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ : أي يتفرون ، فريق في الجنة وفريق إلى النار .. جزاء كل فريق بحسب عمله فمن كفر بالله وكتبه ورسله وكذب باليوم الآخر فعليه وبال كفره وكذبه وإثمه ووزره ، ومن آمن بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وعمل صالحاً فأطاع الله تعالى فيما أمر وانتهى عما منعه الله عنه فإنه يعد لنفسه المهاد المريح والمرتع الخصب الفسيح ، قوله تعالى : ﴿فَلَا نَفْسٌ مِّمَّ يَمَّهْدُونَ﴾ أي يهيئون .

عن جابر ، قال : سمعت النبي ﷺ ، يقول : " يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " [صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

وسبب التمييز في الجزاء : جزاء الباغي أو الظالم ببعيغه وظلمه ، وجزاء المؤمن المستقيم بالاستقامة هو أن الله تعالى يريد إحقاق الحق وإقامة العدل فيجازي المؤمنين الذين يعملون الصالحات تفضلاً منه وإحساناً بالنعيم المقيم وجنان الخلد وفضل الله شامل وعطاؤه كبير . وأما الكافرون فإن الله يبغضهم ويعاقبهم عقاب حق وعدل لا جور فيه ، وهذا تهديد ووعيد للكفار . وقوله تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ليس الحب بمعنى الإرادة والعاطفة ولكن بمعنى : لا يظهر عليهم أمارات رحمته ولا يرضاه لهم ديناً .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم وارض عنا يا رب

لله الخلق والإيجاد والعلم الشامل والبعث

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ لقمان: ٢٥ - ٢٦

الدليل الأول على قدرة الله سبحانه وتعالى هو: الخلق والإيجاد وهذا يعترف به المشركون .. فلئن سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ ((الله)). فقل أيها النبي: ((الحمد لله)) أصبحت الحجة عليكم أيها المشركون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، أي أكثر المشركين لا يعلمون أن الله واحد أحد ولا معبود سواه.

ثم أخبر الله تعالى إن الله ﷻ له ملك السموات والأرض وما فيهما ، ملكاً وتصرفاً وخلقاً وعبداً وليس ذلك لأحد سواه ، ولا يستحق العبادة غيره وهو المحمود بصفاته وذاته وهو غني عن العالمين لأنهم ملكه وهم المحتاجون إليه .. المحمود على نعمه التي أنعمها على الخلق جميعاً.



الموت .. والبعث .. والحساب

﴿ **قُلْ** يَنفُوكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿ ١١ ﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴿ ١٢ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ

نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴿ ١٣ ﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِيتَكُمْ

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴿ السجدة: ١١ - ١٤

سبق هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ

جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿ ١٠ ﴾ ... يقول الكافرون : أنبعث خلقاً جديداً بعد أن نموت ونُدفن في الأرض وتتحلل أجسامنا وتفنى ، ونختلط بالتراب ؟! يقولون هذا وينكرونه وليس ذلك منهم إنكاراً لقدرة الله ، ولكنه إنكار للبعث والحساب والثواب والعقاب .

قل يا محمد لهم : إن ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم يتوفاكم جميعاً

وفي يوم القيامة ترجعون إلى الله مبعوثين خلقاً جديداً .

في يوم القيامة ترى المجرمين مطأطين رؤوسهم خجلاً وحياءً من الله تعالى

وندماً على ما فرطوا في الدنيا عند محاسبة الله لهم على ما قدموا من أعمال !

يقولون : ربنا إنا رأينا بأعيننا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا بآذاننا ووعيدك وصواب ما كنا نكذب به ولا نؤمن به . ثم يسألون الله أن يعيدهم إلى الدنيا ليحيوا فيها حياة جديدة ويعملون الصالحات ويتركون السيئات ويؤمنون بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ورسوله وبما أنزل الله من الآيات البينات الواضحات وان البعث حق والحساب حق والجنة حق والنار حق وان الثواب والعقاب حق من الله تعالى .

إن الله لو أراد أن يجعل جميع الناس على هدى لفعل ولكن الله قدر في سابق علمه إن من الناس مؤمناً وكافراً ، مهتدياً وضالاً ، سعيداً وشقيماً وإنه لا بد من ملء جهنم من الجن والإنس أجمعين فمأوى الكافرين النار بسبب نسيانهم هذا اليوم وعدم إيمانهم بالبعث وكلمة اشتد عليهم العذاب لجأوا إلى الله أن يرفعه عنهم ويعيدهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويوحّدوا ، فيقال لهم : إنا نسيناكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وتركناكم تقاسون العذاب ترك المنسي الذي لا يفكر فيه أحد ولا يخطر على بال أحد .. وستظلون منسين تتقلبون في هذا العذاب الشديد تقلباً دائماً لا نهاية له جزاء كفركم وكذبكم .



يوم البعث لا ريب فيه

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٨) **قُلْ** يَوْمَ الْفَتْحِ
 لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرَ
 إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾ السجدة: ٢٨ - ٣٠

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إن الكفار لا ينتهون عن كفرهم ويسألون على سبيل التهكم : متى يكون اليوم الذي يحكم الله بيننا وبينك يا محمد ؟ ومتى يكون اليوم الذي نُعَذَّبُ به وتنعم أنت والذين اتبعوك إن كنتم صادقين فأخبرونا عن هذا الموعد ؟!

أمر الله نبيه ورسوله الكريم إنَّ هذا اليوم آت لا ريب فيه وستنزعجون أيها الكفار وتفزعون حين ترونه فتريدون أن تؤمنوا ولكن لا ينفعكم إيمانكم هذا ، فقد فات الأوان ، ولا تمهلوا ولا تؤخروا.

وأمره كذلك أن يُعرض عن هؤلاء الذين يستعجلون يوم الحكم ويريدون أن يعرفوا مواعده ، وألاً يستمر في محاجتهم. فإن قلوبهم مغلقة وان ينتظروا ما يفعله الله بهم وهم ينتظرون ما توعدهم الله به من عذاب.



لا ينفع الخائن الفرار من الحرب

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ

رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧) الأحزاب: ١٦ - ١٧

في معركة الخندق والأحزاب تكالب الكفار ليطفئوا نور الإسلام فعسكروا حول المدينة وهم جميعاً أكثر من عشرة آلاف مقاتل كلهم يتحرق للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وكان هناك طائفة من المنافقين في المدينة كعبد الله بن أبي وأصحابه انه لا مقام لكم اليوم لتقاتلوا هذا العدد الكبير فارجعوا إلى بيوتكم أسلم من القتل أو لا مقام لكم في دين محمد فارجعوا إلى الشرك ويستأذن فريق منهم يقولون إن بيوتنا عورة أي غير مستورة ، والحقيقة إنهم كاذبون ومضمرون غير ذلك لأنهم منافقين (إن يريدون إلاّ الفرار).

ثم بيّن الله انه : ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنوَاهَا وَمَا تَلَبَّتُوا بِهَا

إِلَّا يَسِيرًا﴾ (١٤) أي : لو دخل عليهم الأحزاب من جوانب بيوتهم ثم طلبوا إليهم أن

يرتدوا عن دينهم ويرجعوا إلى الشرك لفعلوا ذلك مسرعين من شدة الهلع والخوف

لأن إيمانهم غير مستقر في نفوسهم ولا مؤثر في قلوبهم لا يستطيع مقابلة الصعاب ولا

الشدائد ثم بين لهم : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ ﴾ وهم بنو حارثة قد هربوا يوم أحد وفروا من لقاء العدو ثم تابوا وعاهدوا ألا يعودوا إلى مثل ذلك ، وبين ما للعهد من حرمة : ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ أي : يسأل الله عنه يوم القيامة ويجازي عليه .

قل لهم يا محمد : إن فرتم من الموت أو القتل لن ينفعكم الهرب ولا يدفع عنكم الموت فإن المقدر لا محالة له وإن الأجل إن حضر لا يؤخر ﴿ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : وإن نفعكم الفرار بأن دفع عنكم الموت فمتعتم لم يكن ذلك التمتع إلا قليلاً ، فإن أيام الحياة وإن طالت .. قصيرة ، وإن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

وقل لهم يا محمد : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أي : قل لهم لا أحد يستطيع أن يمنع عنكم الشر من قتل أو بلاء قدره الله عليكم أو يؤتيكم خيراً إن لم يكن إرادته الله .

فالنفع والضرب يده سبحانه وليس لغيره ولا يجد هؤلاء المنافقون ولياً ينفعهم غير الله ولا نصيراً يدفع عنهم السوء .



بعد غزوة الأحزاب وبنو قريظة

مضاعفة الأحكام لزوجات النبي ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يُنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ
ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ - ٣٠

بعد أن أيد الله المؤمنين وكبت أعداءهم ورددتهم خائبين في غزوة الأحزاب وهم بنو قريظة وغطفان وقريش ووضع الناس السلاح ، أوحى إلى رسول الله أن انض إلى بني قريظة من فورك فأمر الناس بالسير إليهم ونازلهم وألقى الله في قلوب بني قريظة الرعب وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وكان الأوس حلفاؤهم فقد ظنوا أنهم سيدفعون عنهم الشر.

وأرسل إليهم رسول الله أن يختاروا رجلاً من الأوس أن يحكم بينهم لأنهم نقضوا عهد رسول الله فاختروا سعد بن معاذ ونسوا انه فاضهم في عدم نقض عهدهم. فحكم فيهم أن ينزلوا من حصونهم ويلقوا سلاحهم وتقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وتقسّم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ : " لقد حكمت فيهم بحكم الله ورسوله " ثم أمر رسول الله بالأخاديد فخذت في الأرض وجيء بهم مكتوفي الأيدي فضربت

أعناقهم وكان ما بين سبعمائة وثمانمائة ، وسبي نساؤهم وقسمت أموالهم بعد ان أخرج منهم الخمس .

عن جابر بن عبد الله ، قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً ببابه ، لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر ، فدخل ، ثم أقبل عمر ، فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه ، واجمماً ساكتاً ، قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، لو رأيت بنت خارجة ، سألتني النفقة ، فقمتم إليها ، فوجأت (ضرب وطعن) عنقها ، فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : " هنّ حولي كما ترى ، يسألني النفقة " ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ، فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً - أو تسعا وعشرين - ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، قال : فبدأ بعائشة ، فقال : " يا عائشة ، إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك " ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ " فتلا عليها الآية " ، قالت : أفيك يا رسول الله ، أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله ، والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت ، قال : " لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معتك ، ولا متعتك ، ولكن بعثني معلماً ميسراً " [صحيح مسلم - كتاب الطلاق]

يا أيها النبي قل لزوجاتك : إن كنتن تردن السعة في النفقة والاستمتاع بزخارف الحياة الدنيا وملاذها فتعالين بإرادتك واختياركن أمتعنن بما أوجب الله تعالى على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهن إياهن بالطلاق بقوله : ﴿ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٦ ، وأسرحكن سراحاً جميلاً

فأطلقن طلاقاً لا ضرار فيه .. وإن كنتن تردن رضا الله ورسوله فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً.

فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فأراد الله بعد ذلك أن يؤدبهنّ فقال : إن من يأتي من نساء النبي بكبيرة من الذنوب مثل عقوق الزوج وفساد عشرته والنشوز تعاقب بمثلي غيرها لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على النساء في يوم القيامة ، لذا كان الذم للعاصي العالم أشد من الذم للعاصي الجاهل ، وكان عقاب الحر أشد من عقاب العبد وحد الثيب أشد من حد البكر وكان ذلك هيناً يسيراً على الله ، ولا يشفع لهن كونهن زوجات رسول الله.



الحجاب في الإسلام

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

جَلْبَابٍ عَلَيْهِنَّ ذَلِكَ أُدْنِيَ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٥٩﴾

الأحزاب: ٥٩

الجلابيب : واحدها جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى إن من يؤذي مؤمناً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً زجراً لهم عن الإيذاء ، أمر النبي ﷺ بعض المتأذنين بفعل ما يدفع الإيذاء عنهم في الجملة من التستر والتميز بالزي واللباس حتى يبتعدوا عن الأذى بقدر المستطاع.

روي انه لما كانت الحرائر والإماء في المدينة يخرجن ليلاً لقضاء الحاجة في الغيطان وبين النخيل بلا فارق بين الحرائر والإماء ، وكان في المدينة فساق يتعرضون للإماء وربما تعرضوا للحرائر فإذا كُلموا في ذلك قالوا : حسبناهن إماء ، فطلب من رسوله ان يأمر الحرائر ان يخالفن الإماء في الزي والتستر فلا يطمع فيهن طامع.

عن أبي صالح ، قال : " قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ عَلَى غَيْرِ مَنْزِلٍ ، فَكَانَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرُهُنَّ إِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجْنَ يَقْضِينَ حَوَائِجَهُنَّ ، وَكَانَ رِجَالٌ يَجْلِسُونَ عَلَى الطَّرِيقِ لِلغَزْلِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ

مِنْ جَلْبَابٍ ۖ يَقْنَعْنَ بِالْجَلْبَابِ حَتَّى تَعْرِفَ الْأُمَّةَ مِنَ الْحَرَّةِ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

فأمر الرسول النساء المؤمنات المسلمات وبخاصة أزواجه وبناته بأن يسدلن عليهن الجلابيب إذا خرجن من بيوتهن ليتميزن عن الإماء.

روى علي بن طلحة عن ابن عباس قال : " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويدين عيناً واحدة " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

عن أم سلمة ، قالت : " لما نزلت : ﴿ يَدْبِرْنَ عَلَيْنَ مِنْ جَلْبَابٍ ﴾ ، خرج نساء الأنصار كأن علي رؤوسهن الغربان من الأكسية " [سنن أبي داود - كتاب اللباس]

فيجب على المسلمة إذا خرجت من بيتها لحاجة ان تسدل عليها ملابسها بحيث تغطي الجسم والرأس ولا تبدي شيئاً من مواضع الفتنة كالرأس والصدر والذراعين ونحوها.

﴿ ذَلِكَ أدَّى أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ﴾ أي ذلك التستر أقرب لمعرفةهن بالعفة فلا يتعرض لهن أحد واحتراماً لهن فإن المتبرجة مطموع فيها منظور إليها نظرة سخرية واستهزاء كما هو مشاهد في كل عصر ومصر ولا سيما في هذا العصر الذي انتشرت فيه الخلاعة وكثر الفسق والفجور.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ أي : وربك غفار لمن عسى أن يكون قد صدر منه الإخلال بالستر ، كثير الرحمة لمن امثل أمره معهن فيثيبه عظيم الثواب ، ويجزيه الجزاء الأوفى.

عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، " وافقتُ ربي في ثلاثٍ :
 فقلت يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ
 إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ وآيةُ الحجابِ ، قلتُ : يا رسول الله ، لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فإنه
 يكلّمهنّ البرُّ والفاجرُ ، فنزلت آيةُ الحجابِ ، واجتمع نساءُ النبي صلى الله عليه وآله في الغيرة عليه ،
 فقلتُ لهن : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكهن) ، فنزلت هذه الآية
 ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ ﴾ " [صحيح البخاري - كتاب الصلاة]



علم الساعة عند الله

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط **قُلْ** إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ^ع وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ الأَحْزَابُ: ٦٣

كان الكفار يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة استعجالاً لما هددهم بالعذاب بطريق الاستهزاء. وكان المنافقون يسألونه عن وقتها تعنتاً وكان اليهود يسألونه عنها امتحاناً لما يعلمون من ان الله أخفى وقتها في التوراة فيقول هؤلاء: متى تقوم الساعة؟ فقل لهم يا محمد: إني لا أعلم وقت قيامها لأن الله قد استأثر بعلمه إياه ولم يطلع عليه أحداً.. لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً، فهو وحده الذي عنده علم الساعة وأي شيء يعلمك وقت قيام الساعة يا محمد ما دمننا لم نبلغك إياه؟ لعل وقت الساعة يكون قريباً، فلا تستبطئوه أيها السائلون، وفي الرد تهديد ووعيد لهم.. عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: " **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ** " قال: وضم السبابة والوسطى. [صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة]، وإنما أخفى الله وقت الساعة ليكون المرء مستعداً لها في كل وقت ولكيلا يفتر نشاطه في الدنيا فيما يزاوله من أعمال.



الساعة ... ومصير المكذبين بها

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ **قُلْ** بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ ^ط
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ^ع أَجْرَهُمْ وَلِيُعَذِّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي
ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ^ع أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ سبأ: ٣ - ٥

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ولا رجعة لنا بعد هذه الدنيا ولا بعث ولا حساب ، وقد أمر الله سبحانه رسوله الكريم أن يرد عليهم مؤكداً لهم بطلان ما يدعون .
قل بلى وربى لتأتينكم : أي قل لهم إنها ورئى لآتية لا ريب فيها ، وهذه الآية إحدى آيات ثلاث أمر الله فيها رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد حين أنكره من أهل الشرك والعناد ، فإحداهن في سورة يونس : ﴿ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ لَٰحِقٌ ^ط وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ، وثانيهما في سورة التغابن : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا ^ط وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ، وثالثهما ها هنا .

ثم وصف المولى نفسه بكامل العلم وعظيم الإحاطة بالموجودات : ﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ ^ط لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ أي مجيئها لا يعلمه سوى علام الغيوب الذي لا يغيب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض من ذرة فما دونها ولا ما فوقها . أين كانت وأين

ذهبت فكل ذلك محفوظ في كتاب مبين ، فالعظام إن تلاشت واللحوم وإن تفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت فيعيدها كما بدأها أول مرة وهو بكل شيء عليم.

ثم بين الحكمة من إعادة الأجسام وقيام الساعة بقوله : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ أي : إن الذين سعوا في إبطال أدلتنا وحجتنا عناداً منهم وكفراً وظنوا أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا تقدر عليهم فلهم عذاب شديد وبئس المهاد : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ الحشر: ٢٠ .



الآلهة لا تملك شيئاً ولا تشفع لأحد

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا

قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣

قل يا محمد لمشركي مكة : هل عندكم من شركائكم قدرة على الخلق والابداع وما آتاه الشاكرين من أوليائه كداود وسليمان من النعم التي لا حصر لها وما فعله بسبأ حين بطروا النعمة وكذبوا الرسل وأمر رسوله الكريم بأن يقول لهم : ادعوا آلهتكم الذين زعمتم أنهم شركاء الله فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض الأفعال من انعام أو انتقام ، لقد أنعم الله على داود عليه السلام بقوله : ﴿يَجْعَلُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾﴾ أن يعمل سبيغته وقدّر في السرد سبأ: ١٠ - ١١ اختاره الله نبياً وأنزل عليه الزبور وفيه مزامير داود وهي مائة وخمسون مزمراً تشتمل على قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحده والثناء عليه والتضرع له وبعض الحوادث وكان داود عليه السلام حسن الصوت إذ تغنى بمزاميره وسخر له الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أبواب، وصنع من الحديد دروعاً سابغات ترد طعنات الحرب وضربات السيوف ، صنعها في دقة وحسن سرد.

وكان داود ورعاً وتقياً ربح من بيع الدروع ربحاً أغناه عن بيت المال عن المقدم رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : " ما أكل أحد طعاماً قط ، خيراً من أن

يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ " [صحيح البخاري - كتاب البيوع]

وأنعم على نبي الله سليمان حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاسْلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غُدُوهاً شَهْرًا وَرَوْاحهاً شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ سبأ: ١٢ وسخر له الطير كما بين الله حديث النملة معه ، وأنعم على سبأ في بلاد اليمن أيام الدولة السبئية فبنوا قصوراً وأقاموا سدوداً (سد مأرب) لحبس السيول والأمطار منهم ولهم بساتين ينعمون بها فبطروا : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ سبأ: ١٦ .

فهل ألهتكم أيها الكفار تقدر على فعل ذلك ؟ إنها حجر لا تستطيع أن تعطيك شيئاً ولا تدفع عنكم .. فهل تستحق الألوهية على فعل ذلك ؟ وإن هذه الآلهة لا تملك وزن ذرة من خير أو شر ونفع وضر لا في السموات ولا في الأرض .

فإذا كان لألهتكم هذا العجز البين فكيف تعبدونها ؟ ولا تنفع الشفاعة لهذه الآلهة كما زعمتم أيها الجاحدون الكافرون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له فيها ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ والشافعون من الملائكة والنبين ونحوهم من المتأهلين للشفاعة ينتظرون الإذن بالشفاعة من الله .

﴿ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨ حتى إذا كشف الله الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم من المؤمنين وسرى عنهم الخوف وأذن الله بالشفاعة للشفعاء ، سأل المشفوع لهم ، المحتاجون إلى الشفاعة ، المهتمون بأمرها ، المتشبهون بأذيال الرجاء : ماذا قال ربكم في الشفاعة ؟ قال الشفعاء للمستحقين لها . وهو ذو العلو والكبرياء الذي لا يتكلم أحد من ملك ولا نبي يوم القيامة إلا بإذنه .

لا نظير لله تعالى ولا ند .. بل هو الواحد الأحد

﴿ **قُلْ** مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ **قُلْ** اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ

إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ **قُلْ** لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا

أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ **قُلْ** يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ **قُلْ** أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ

كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ سبأ: ٢٤ - ٢٧

قل يا محمد للمشركين ليتحققوا إن آلهتكم لا تملك مثقال ذرة مما يملكه الإله القادر : من يرزقكم من السموات بالمطر والشمس والقمر ومن الأرض بالماء والنبات وغيرها ؟ فإن لم يجيبوا لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا هذا فعل آلهتنا ، فقل لهم الجواب الذي لا جواب غيره : ((الرازق هو الله)) وان الفريقين منا الموحدين للإله القادر الرزاق أو المشركين به أصناماً لا تضر ولا تنفع لعلى أحد أمرين : الهدى أو الضلال أي ما نحن على أمر واحد بل على أمرين متضادين فأحد الفريقين مهتد وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم إذ أشركتم مع الذي خلق السموات والأرض وما بينهما غيره.

وقل لهم يا محمد لهؤلاء الكفار : أنتم لا تسألون عما اكتسبنا من الذنوب أيها المشركون ، ولا نسأل عمّا تعملون ، فلا أقصد بما أدعوكم إلى الخير لكم إلا أن ينالني ضرر كفركم فلکم دينکم ولي ديني والله يجازي كلاً بعمله وفي هذا أدب للخطاب أي تعبير بالإجرام عن المؤمنين وبالعمل عن المشركين.

وقل لهم يا محمد : يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة ثم يحكم ويفصل بيننا بالعدل والانصاف ، فلا جور ولا ميل ، فيدخل المحق الجنة ويدخل المبطل النار وهذا هو الحكم العدل من العليم بما ينبغي القضاء به.

وقل لهم يا محمد : أعلموني الذين ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وجعلتموهم شركاء لله فبأي حق وبأي حجة تضعوهم هذه المرتبة ، فهل شاركوا في خلق السموات والأرض ؟ كلا ! ارتدعوا عن إشراك هذه الآلهة في العبادة ، وتنبهوا من غفلتكم هذه وعودوا إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ملكه.



يوم القيامة حق

﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ سبأ: ٣٠

قال الله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ لقد أرسل الله سبحانه وتعالى محمد إلى قومه وإلى الناس كافة عربيهم وعجمهم ، أسودهم وأحمرهم ، مبشراً المؤمنين المطيعين بالجنة يوم القيامة ، ومنذراً الكافرين العاصين عذاب جهنم ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨ ، ولكن أكثر من يكفرون بك لا يعتقدون صحة ما تبلغهم إياه فيحملهم عنادهم على مخالفتك وإصرارهم على الغي والضلال.

ويقولون من فرط جهلهم: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سبأ: ٢٩ ، أي: متى هذا الوعد من التبشير والإنذار إن كنتم أيها الرسول والمؤمنون صادقين فيما تزعمون.

قل لهم يا محمد: لكم ميعاد يوم تحاسبون فيه على أعمالكم إذا فاجأكم لا تتأخرون عنه ساعة ، ولا تتقدمون .. فلا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم بالاستعجال.



الله يرزق عباده ويحضهم على التقرب إليه بالإنفاق

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
 وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
 ءَابِتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ
 الرِّزْقِيبِ ﴿٣٩﴾ سبأ: ٣٦ - ٣٩

أراد الله سبحانه وتعالى تسليية رسول الله ﷺ على ما يلقاه من قريش في الآية التي
 سبقت هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

ذكر الله له انه ما أرسل من رسول منذراً قومه النار لمن عصاه إلا قال رؤساؤها
 المتنعمون بزخارف الدنيا ومنهمكون في شهواتهم: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ ،
 أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال : كان
 رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقى الآخر فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى
 صاحبه يسأله ما عمل ؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا أرادلة الناس
 ومساكينهم ، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلني عليه، وكان يقرأ بعض الكتب

فأتى النبي ﷺ فقال: إلامَ تدعو؟ فقال: "إلى كذا وكذا" فقال: أشهدُ إنك رسول الله ، فقال: "وما علمك بذلك؟" قال: انه لم يُبعث نبي إلا أتبعه أراذلة الناس ومساكينهم ، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ فأرسل النبي إليه: "إن الله قد أنزل تصديق ما قلت" [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]... وخصّ المترفون في ذلك لأنهم أسبق إلى مخالفة الدعاة إلى الحق لأنه حسب قولهم إنهم ما فيه من مال وولد برهان ساطع على محبة الله لهم.

إن المنغمسين في الشهوات يحملهم التكبر والتفاخر بزينة الحياة الدنيا على النفور من الكمال الروحي ومن تثقيف النفوس بالإيمان والحكمة فالضدان لا يجتمعان: انغماس في الشهوة وعلم وحكمة ، ثروة مادية وثروة روحية.

وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وهذا دليل على عناية الله بنا ومحبه إيانا وإنه ما كان ليعطينا مما أعطانا ثم يعذبنا في الآخرة... هيهات.. هيهات ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ المؤمنون: ٥٥-٥٦.

قل لهم يا محمد: إن ربي ييسط الرزق من معاش وديار في الدنيا لمن يشاء ويضيق على من يشاء لا لمحبة من أعطاه ولا بغض من ضيق عليه ولكن يفعل ذلك بحسب مشيئة اقتضاها وربما خفي علينا أمرها.

عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء" [سنن الترمذي. الجامع الصحيح - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ]... ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ثم بين أن لا الأولاد ولا الأموال التي تقرب إلى الله. لكن القربى من عند الله لمن آمن وعمل صالحاً بإنفاق بعض ماله في سبيل الله وتعليم أبنائه على حب الخير وتربيتهم على الصلاح والتقوى فلهم جزاء

مضاعف فالحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء وهم في غرفات الجنة ومنازلها الرفيعة آمنون من كل مكروه.

والذين يسعون في إبطال أدلتنا وحجتنا ويسعون في الأرض فساداً أولئك يحضرهم زبانية جهنم لعذابهم ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ السجدة: ٢٠، ولن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً.

قل لهم يا محمد: إن ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وما أنفقتم من شيء في طاعة الله يعوضه الله لكم إما عاجلاً في الدنيا وإما آجلاً في الآخرة، فنعيم الآخرة لا ينافي نعيم الدنيا بل الصالحون قد يوسع الله لهم في الرزق في الدنيا فينعمون دنيا وآخرة. وهو خير الرازقين الواهبين من غير حساب... ولا رازق سواه يعطي المنفق خلفاً ويعطي الممسك تلفاً.

وقد ذكر الله تعالى بسط رزقه وتضييقه في هذه الآيات مرتين: أريد في الأولى توجيه الكلام إلى الكفار، وأريد بالثانية توجيه الكلام إلى المؤمنين بدليل قوله تعالى فيها: ﴿مَنْ عِبَادِهِ﴾. والعباد: يراد بهم المؤمنون، ثم وعد المؤمنين بأن يخلف عليهم ما أنفقوه ولم يذكر شيئاً من ذلك في الآية الأولى.



إن الإسلام علا وسيعلو على سائر الأديان

﴿ **قُلْ** إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَمْدٍ وَقُرَدَىٰ ثُمَّ
تُنْفَكِرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ **قُلْ** مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ **قُلْ** إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمِ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ **قُلْ** جَاءَ الْحَقُّ وَمَا
يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ **قُلْ** إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ
فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ سبأ: ٤٦ - ٥٠

قل لهم يا محمد: إني أعظكم وأطلب منكم التأمل في حقيقة النبوة وعبادة الله تعالى (اثنين اثنين) وإما فرادى (واحد واحد) لأن الاجتماع الكثير يشوش الفكر وينشر الغوغائية، وحينئذ تعلمون أن صاحبكم ليس بساحر ولا مجنون وإنما هو نبي مؤيّد من عند الله بالمعجزات المصدقة له وانه منذركم من عذاب شديد ينتظركم يوم القيامة.

قل لهم يا محمد: أي شيء سألتكم إياه من أجر على تبليغ رسالتي لكم؟ إن أجري إلا على الله وهو مطلع على كل شيء يعلم صدقي وأمانتي.

وقل لهم يا محمد : إن ربي علام الغيوب ، المطلع على السرائر يُلقي الحق في قلوب الأنبياء الذين يصطفاهم من خلقه فالأمر بيده .. يفعل ما يريد ويعطي ما يشاء لمن يشاء .

قل لهم يا محمد : جاء الحق وزهق الباطل بظهور الإسلام وإنزال القرآن وظهرت قدرة الله القادرة والمعجزات الباهرة فمحققت الباطل الذي يعجز أن يُنشئ خلقاً أو يعيدهم أحياء بعد الموت .

يقولون لك يا محمد : لقد ضللت بتركك دين آبائك ، فقل لهم : إن ضللت فإن وبال ضلالتني على نفسي ، وإن اهتديت إلى الحق فبما يوحي إلي ربي من القرآن ، وبما يوفقني إلى الهداية إنه سميع الدعاء ، قريب الإجابة ، يسمعني إن دعوته وهو أقرب إلي من حبل الوريد وهو الذي استعين به عليكم إن بقيتم على شرككم .

ومن هدي رسول الله ﷺ : عن أبي ذر ، عن النبي ﷺ ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع ، إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار ، إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً ، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك ، فلا يلو من إلا نفسه " [صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب]

عظمة الله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذُ

الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ

تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

فاطر: ٤٠ - ٤١

أخبروني يا أهل مكة عن هؤلاء الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء لله في العبادة : بأي حق استحقوا أن تعبدوهم ؟ أروني أي جزء من الأرض انفردوا بخلقه وبرهنوا على ان لهم مشاركة في خلق السموات فإذا ثبت عجزهم فكيف تعبدونهم ؟ فهل تعبدونهم لأننا أنزلنا كتاباً من عندنا أمرناكم فيه بأن تشركوا أحداً في عبادتنا. فأنتم على حجة وبرهان من عبادتها ؟ لا شيء من ذلك البتة ، بل الحقيقة انه ما حملكم على عبادتها واتخاذها أنداداً لله إلا وعد الرؤساء للاتباع إنهم يشفعون لكم عند الله وهو وعد باطل وخداع ماكر.

إن آلهتكم أعجز من أن تخلق شيئاً من السموات والأرض وإن خالقهما وممسكهما من الزوال والانهيار هو الله وحده بقدرته وعظمته وحكمته ولئن زالتا على سبيل المثال فلن يمسكهما أحد سواه؟

فالله سبحانه وتعالى وحده يمنع السموات أن تضطرب من أماكنها فترتفع أو تنخفض ويمنع الأرض من مثل ذلك. ويحفظهما برباط خاص، وهو ما يسميه العلماء

(نظام الجاذبية) فجميع العوالم من الأرض والقمر والشمس والسيارات الأخرى تجري في مدارات خاصة بهذا النظام الذي وضع لها ولولا ذلك لتحطمت وزالت عن أماكنها لكنها استقرت في مداراتها وثبتت في مواضعها.

فلا يقدر على دوامها إلا اللطيف الخبير ونحو الآية: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الحج: ٦٥ وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ الروم: ٢٥.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: أي حلِيم على المشركين وغفر لمن تاب منهم على عظيم جرمهم المقتضى تعجيل العقوبة لهم.
فإن الله: يحلم ويُنظر، ويؤجل ولا يعجل، ويستتر ويغفر.



سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يس: ٧٩ - ٨٣

روى الحاكم، عن أبي مالك، قال: إن أبي بن خلف جاء بعظم حائل إلى رسول الله ﷺ، فَفَتَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيْبَعُثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ: "نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم" قال: فنزلت الآيات التي في آخر سورة يس: ﴿ أَوْلَتِيرَ الْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ إلى آخر السورة " إن بعض المشركين استبعدوا إعادة الله ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجسام والعظام الرميم ونسوا أنفسهم انه تعالى خلقهم من العدم فكيف بهم أن يجحدوا بآيات الله؟؟

ونحو الآية: ﴿ وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ السجدة: ١٠

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُوكَ أَيَّدَا مَتَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (٤٧)

أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ الواقعة: ٤٧ - ٤٨

فقال لنبه ورسوله الكريم قل لهم: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئاً وهو العليم بالعظام أين تفرقت في سائر الأرض؟ وأين ذهبت؟ ولا يخفى عليه شيء.

الذي خلق الشجر من ماء حتى صار أخضراً ناظراً ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، ومن فعل هذا فهو قادر على ما يريد.. إذ من أحدث في الشجر الأخضر ناراً على ما فيه من ماء مضاد للاحتراق فهو أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فيس وبلى.

ثم أبان قدرته على خلق السموات والأرض قائلاً: أو ليس الذي خلق السماء والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ويعيد العظام وهي رميم إلى الحياة مرة أخرى؟

ونحو قوله تعالى: ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ غافر: ٥٧

وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُمْ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأحقاف: ٣٣، وأثبت عظيم سلطانه قائلاً: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وهذا لا شك تمثيل لإرادة الله وقدرته بأمر المطاع لن يطيعه في حصول المأمور به بلا توقف ولا افتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة.

سبحان الله : أي تنزه الله الحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض عن كل سوء.... وإليه يرجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بما عمل وهو العادل المنعم المتفضل.

ونحو الآية : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ الملك: ١

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ المؤمنون: ٨٨ ... والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

نسألك يا ذا الجلال والإكرام أن تنير قلوبنا بالتبصر في فهم كتابك كما أنرت به قلوب عبادك الأبرار وأصفياءك الأخيار.



جزاء منكري يوم البعث

﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا
يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى
صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الصفات: ١٨ - ٢٤

سأل المشركون محمداً عن يوم البعث قائلين: ﴿ آءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا آءِذَا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ آبَاءُنَا الْأَوْلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الصفات: ١٦-١٧ فرد عليهم النبي ﷺ بأمر من ربه
سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون، وإنكم ستنشرون من
قبوركم وتحيون بعد الموت أنتم وآباءكم وتساقون إلى الحساب وأنتم أذلاء
صاغرون.

ولا يستدعي هذا الأمر الذي أنكرتموه غير صيحة واحدة يأمر بها فإذا القبور
تنشق عنكم وإذ أنتم أحياء كما كنتم وإذا بكم قيام ينظر بعضكم إلى بعض وقد أخذه
الفرع من هول يوم القيامة ومن قدرة الله تعالى الذي يقول للشيء: كن، فيكون.

وإذا الحقيقة قد وضحت، وقدرة الله قد ظهرت ووقف بعضهم يقول لبعض:
يا ويلنا! ما أسوء حالنا! وما أشد عذابنا! هذا يوم الجزاء! هذا يوم الحساب، فيقال
لهم: نعم هذا يوم الفصل بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، هذا يوم الحكم

بين الناس ، هذا هو اليوم الذي يظهر فيه المحق من المبطل .. ففريق في الجنة وفريق في السعير ، هذا هو اليوم الذي كتتم به تكذبون فذوقوا جزاء ما كتتم تعملون.

ويقول الله تعالى لملائكته : احشروا الذين ظلموا والذين كذبوا والطغاة والمشركين واجمعوا معهم أزواجهم وأشياعهم وأشباههم ومن كان على شاكلتهم ، المشرك مع المشرك ، والقاتل مع القاتل ، والزاني مع الزاني وهاتوا معكم آلهتكم من الأصنام والشياطين التي كانوا يعبدونها من دون الله. ليعلموا أنها لا تنفع ولا تشفع ودلوهم على طريق الجحيم ، وسوقوهم إلى عذاب النار بعد أن تقفوههم لنسألهم عن كفرهم وأعمالهم وأقوالهم ، ونحاسبهم على سوء ما فعلوا.

اللهم أجرنا من نار جهنم واجعلنا من أهل الجنة الذين يقول لهم الله ﷻ كما جاء في الحديث القدسي

عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : قال النبي ﷺ : " إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : يا ربّ وأيُّ شيء أفضل من ذلك ، فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً " [صحيح البخاري - كتاب التوحيد / صحيح مسلم]



مهمة النبي ﷺ ورسالته

﴿ **قُلْ** إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنِّ إِلَهِي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ **قُلْ** هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِّنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

﴿٧٠﴾ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ ص: ٦٥ - ٧٠

أخبر أيها النبي ﷺ عن مهمتك ورسالتك ، وقل للكفار من المشركين في مكة وغيرها : إنما أنا مخوف لكم من عقاب الله وعذابه مبلغ ما يتعرض له من المنكر الكاذب من أهوال السوء بسبب الإعراض عن دعوتي ورسالتي إن القرآن الكريم وجميع ما تضمنه من دعوة التوحيد والإيمان بالمعاد حق وصدق واقع .

ليس لي من أغراض أو أهداف إلا الإنذار والتخويف من سوء المصير وشدة العذاب ، وفداحة العقابة لكل من كذب برسالتي وأنكر وجود الله تعالى ووحدانيته فليس هنا في الوجود على الإطلاق إلا إله واحد لا شريك له فهو الإله القهار الجبار وهو مالك السموات والأرض وما بينهما ، والمدبر لها والمتصرف في شؤونها ، وهو القوي الغالب الذي لا يُغلب ولا يُقهر وهو غفار الذنوب لمن أطاعه والتجأ إليه .

والتصديق بالقرآن وبوعد الله نجاة ... والتكذيب به هلكة وخسران وضياع ، والنبأ في كلام العرب بمعنى : الخبر ، والقرآن : أوثق الأخبار وأعظمها ، ثم أخبر الله

تعالى بما يدل على نبوة محمد ﷺ وما دار بينهم حين اختلفوا في شأن آدم ﷺ وذريته وجعلهم في الأرض وامتناع إبليس عن السجود له ، فلولا الوحي لم يكن النبي يعلم الغيبات.

والملا الأعلى هنا : الملائكة أشرف الخلق عدا البشر.

لقد تجسدت رسالة النبي محمد ﷺ في الاخبار عن أمور عظيمة وهي : الخبر بتوحيد الله وقدرته وتدييره وقهره وغلبته وصدق الوحي والقرآن وكونه كلام الله تعالى وحصر مهمة النبي بالإنذار والتخويف من عذاب الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل وإعلان النجاة لمن صدق بالقرآن والهلاك والخسران لمن كذب به أو أعرض عنه.



القرآن الكريم .. ذكر للعالمين

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

﴿ ٨٧ ﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿ ٨٨ ﴾ ص: ٨٦ - ٨٨

عن عبد الله بن مسعود ، قال : " يا أيها الناس ، من عَلِمَ شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ ، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ . [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن] .. وعن أنس رضي الله عنه ، قال : كنا عند عمرَ فقال : " نُهَيْنَا عَنِ التَّكْلِيفِ " [صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة]

كان كفار مكة يعجبون من أن القرآن ينزل على محمد من دونهم جميعاً فأمره الله أن يقول لهم : إني لا أطلب منكم أجراً على تبليغ ما يوحى إليّ الله ، ولست أنا من المتكلفين الذين يفترون على الله الكذب ويصنعون قرآناً وينسبونه إلى الله .
وإن هذا القرآن ليس إلا كتاباً منزلاً من عند الله ، وأؤكد لكم يا كفار مكة إنكم ستأكدون من أنه كتاب الله ، كل منكم في الوقت الذي يناسبه ، فمن أسلم منكم بعد ذلك علم حين إسلامه إنه كتاب الله ، ومن قتل في غزوة من غزوات النبي تأكد حين يرى الموت بعينه إنه نبي الله ، ومن أصرَّ على كفره وعاش في هذه الدنيا إلى أن يحين حينه تأكد حين خروجه منها إنه كتاب الله العزيز .



الموازنة بين المؤمن والكافر وقت الابتلاء

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ ﴾ الزمر: ٨ - ٩

الكافر إذا تعرض لأزمة أو محنة استعان بالله تعالى وتضرع إليه لرفع الشر عنه إذ لا يجد طريقاً للفرج إلا إلى الله القوي العزيز ، كاشف الضر ، ودافع الشر والبلاء ، أما إذا كُشِفَ الضر عنه تراه يعرض عن الله ولا يتذكر عبادة الله تعالى .

أما المؤمن فمنهاجه سواء إن أصابه سراء ونعمة شكر ، وإن تعرض لضراء صبر ، فكان له خيراً في كلا الحالين مما يدل على ثبات إيمانه وصلابة يقينه وتمسكه بالمبدأ الذي لا يحدد عنه .

وصف الله تعالى صورة الإنسان في هذه الآيات وأراد به الكافر ، بدلالة ما وصفه به آخراً من اتخاذ الأنداد في كشف الضر عنه قائلًا له وموبخاً إياه ومهدداً : ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ ﴾ أي : تلذذ بكفرك واصنع ما شئت مدة قليلة وهي مدة عمرك فإنك في النهاية يوم القيامة مصيرك إلى نار جهنم ومن سكانها المخلدين .

ثم ذكر مقارنة بين الكافر والمؤمن قائلاً سبحانه : أذلك القانت المطيع الخاشع لله آناء الليل والنهار خير أم الكافر المذكور بكفره ؟ فالمؤمن خاشع طائع ، مصلي لله في الليل والنهار ساجداً خاضعاً لله في حالة قيامه لربه يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربه جامعاً بين الخوف والرجاء وتلك هي حقيقة العبادة الكاملة التي يفوز بها صاحبها ، وهذا دليل على فضل قيام الليل .

وكما لا يستوي القانت والمطيع لله ، والكافر الملحد الجاحد ، لا يستوي العلم والجهل ، إنما يتعظ بآيات الله ويتدبرها أهل العقول السليمة والأفكار السديدة لا الجهلاء والأغنياء .

في هذه الآية : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ الآية قال ابن عباس : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال ابن عمر : نزلت في عثمان بن عفان ، وقال مقاتل : نزلت في عمار بن ياسر . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] دلالة على ان كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين : (العلم والعمل) والمراد هنا بالعلم : ما أدى إلى معرفة الله تعالى .

وهذه المقارنة تشابه مقارنة أخرى في السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر : ٢٢ .

والقنوت يطلق على الدعاء ، والطاعة ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كُلُّ حَرْفٍ يُذَكَّرُ فِيهِ الْقَنُوتُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ " . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وعن ابن عباس قال : من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فلينزله الله في سواد الليل ساجداً وقائماً .

نصائح للمؤمنين

﴿ **قُلْ** يٰعِبَادِ ٱللَّهِ ۖ ءَامِنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَٱرْضُ ٱللَّهُ وَٱسْعَةً ۖ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۗ ﴿١٠﴾ **قُلْ** إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ ءَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۗ ﴿١٢﴾ **قُلْ** إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ ﴿١٣﴾ **قُلْ** ٱللَّهُ ءَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ ۖ دِينِي ۗ ﴿١٤﴾ فَءَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ **قُلْ** إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَءَٰهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَٰنُ ٱلْمُبِينُ ۗ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ ٱلتَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۗ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهَ بِهِ ءَعِبَادَهُ ۗ يٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۗ ﴿١٦﴾ ﴾ الزمر: ١٠ - ١٦

أمر الله تعالى نبيه رسول الله ﷺ أن ينصح المؤمنين :

١. تقوى الله وطاعته لما في ذلك من جزيل الفوائد.
٢. إذا تعذرت طاعته في بلد تحولوا إلى بلد يتمكنون من الاشتغال بطاعته بالعبادة والطاعة.
٣. أمره بعبادة الله مخلصاً له الدين.
٤. أمر رسول الله أن يقول إنى أخاف عذاب يوم القيامة إن عصيت الله وفي ذلك إيماء إلى زجر غيره عن المعاصي.

٥. أُمِرَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ أَنْ يَذَكَرَ لَهُمْ إِنْ الْخَاسِرَ الَّذِي يَحْشُرُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَكَفَرُوا بِأَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى.

٦. وَصَفَ النَّارَ أَنَّهَا تَحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهَذَا أَفْظَعُ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي يَخُوفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ.

أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمُ أَنْ يَعِظَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحْمِلَهُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَاتِّبَاعِ أَوْامِرِهِ.

لِأَنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَمِلُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ لَهُمْ حَسَنَةٌ مِنْ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ وَنَجَاحٍ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يَزَاوِلُهَا فَضْلًا عَمَّا يَتَحَلَّى بِهِ مَنْ تَمَسَّكَ بِآدَابِ الدِّينِ وَاتَّبَعَ فِضَائِلَهُ ، وَحَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ فَيَتَمَتَّعُ بِجَنَّاتِ النِّعِيمِ وَرِضْوَانِ مَنْ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ التوبة: ٧٢.

ثُمَّ رَغِبَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَصَبْرَهُمْ عَلَى مَفَارِقَةِ الْأَوْطَانِ فَقَالَ : ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ أَي تَتِمَّكِنُوا مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى بَلَدٍ تَطْمَئِنُّونَ فِيهِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، وَاجْعَلُوا أَسْوَاتَكُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَقَدْ فَعَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ وَلَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ أَجْرٌ عَظِيمٌ لَا يَقْدَرُ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ مَا أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أَي إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي أَعْبُدُهُ مَفْرَدًا لَهُ الطَّاعَةَ دُونَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ.

وَفِي هَذَا نَعَى عَلَى تَمَادِيهِمْ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ وَسَابِقَهُمْ فِي الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالبِرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَلْهَةِ.

قل لهم يا محمد : إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، يوم القيامة الكثير الأهوال والآلام ... إن عبدتم غيره من الأوثان ستعلمون وبال عاقبتكم حينما تلقون ربكم.

وقل لهم يا محمد : إن الخسران الذي لا خسران بعده هو خسران النفس واضاعتها بالضلال وخسران الاتباع الذين أضلوههم وأوقعوهم في العذاب يوم القيامة ، فهذا هو الخسران المبين الظاهر لفظاعته وهوله.

أعدّ الله للكافرين النار طبقات بعضها فوق بعض ، من فوقهم ومن تحتهم أي ان النار ملتهبة محيطة بهم من كل جانب ، ونحو الآية قوله : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥٥ وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۗ ﴾ الأعراف: ٤١ .

﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۗ ﴾ أي : إنما يقص عليكم ربكم خبر ما سيكون لا محالة ليزجر عباده عن المحارم والآثام.

بعد ذلك قال لهم : ﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا اٰيَاتِ الْكٰفِرِيْنَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ ۗ اِنَّهُمْ يَحِبُّوْنَ اَنْ يُعَذَّبُوْا وَيَكْفُرُوْا بِمَا كَفَرُوْا ۗ اِنَّهُمْ يَكْتُمُوْنَ اٰيٰتِنَا لَعَلَّ نَحْنُ مُنٰفِقُوْنَ ۗ ﴾ أي : يا عبادي بالغوا بالخوف والاحذر والتقوى ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي عليكم.



مناقشة عبدة الأصنام

﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَّقُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٨ - ٤٠

ولئن سألت المشركين عن خلق السموات والأرض فسوف يعترفون إن الله هو الخالق المبدع ، فبعد اعترافهم فكيف ساغ لهم عبادة غير الخالق؟
أخبروني عن آلهتكم هل تقدر على كشف الضر أو منع من أراد الله له خيراً؟
قال مقاتل : لما نزلت هذه الآية سألهم النبي ﷺ : ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ... الآية ﴾ قالوا : لا تدفع عنا شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع فنزل قوله : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ في جميع أموري من جلب أو دفع ضر فلا أخاف شيئاً من أصنامكم التي تخوفوني بها ، توكلت على الله.

عن ابن عباس ، قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : " يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ،

وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " هذا حديث حسن صحيح [سنن الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع]

واعمل لله بالشكر في اليقين واعلم إن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وإن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب ، وإنَّ مع العسر يسراً.

قل لهم يا محمد على وجه التهديد : اعملوا على ما أنتم تعتقدون في أنفسكم من القوة والشدة واجتهدوا في مكرهم وكيدكم اني عامل في ديني والسعي في نشره بين الناس فسوف تعلمون من يأتيه عذاب من الله يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم دائم في الآخرة !!



لله الشفاعة جميعاً

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۗ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ الزمر: ٤٣ - ٤٤

الذين يشركون مع الله آلهة أخرى يظنون إنها تشفع لهم عند الله. لبئس ما ظنوا !! إذ كيف تتوسط لهم عند ربهم وهي لا تملك شيئاً وإنما هي جمادات ، صماء صنعوها بأيديهم ونصبوها آلهة لهم.

لا يشفع أحد عند الله إلا بإذن الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ فالشفاعة له سبحانه ، ولا يمنحها أحداً من خلقه إلا بإرادته ورضاه ولكنه لا يمنع شرف الاستشفاع إلا من يرتضيهم ويأذن لهم بالشفاعة ، ان الشفاعة منزلة لا ينالها إلا أخص خلق الله بالله : (أهل الله وخاصته).

وهو يملك السموات والأرض والعوالم كلها ، والمرجع إليه وحده ولا يمكن التكلم في أمر من الأمور إلا برضاه وإذنه فهو المختص بالعبادة والتوحيد ، فإن تعبدوه لا تحتاجوا إلى شفيع . لأنكم بذلك تكونون لجأتكم إلى صاحب الأمر من غير وسيط ولا شفيع .



إن الحكم إلا لله

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ

بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ الزمر: ٤٦

سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

فُرِئَتْ سُورَةُ النُّجُومِ أَمَامَ بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَفِيهَا تَوْحِيدَ اللَّهِ وَتَنْزِيهَهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ فَسَمِعَهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَرِيشٍ ، فَانْقَبَضَتْ نَفُوسُهُمْ وَوَلَّوْا وَنَفَرُوا مِنْ سَمَاعِهَا وَهَؤُلَاءِ الْجَهَالُ إِذَا سَمِعُوا ذِكْرَ آلِهِمْ اسْتَبْشَرُوا وَفَرَحُوا وَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ آثَارُ السَّرُورِ . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

قال ابن عباس في الآية : اشْمَأَزَّتْ قَسَتْ وَنَفَرَتْ قُلُوبُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ : أَبُو جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ وَالْوَلِيدُ بِنِ عَتْبَةَ وَصَفْوَانَ وَأُبَيُّ بِنِ خَلْفٍ ... وَنَحْوُ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْهُمْ : ﴿ وَإِذَا ذُكِّرْتَ رَبِّكَ فِي الْفُرْعَانِ وَحَدَّهُ ، وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦ .

وهناك من يهشّ لذكر أموات يستغيث بهم ويطلب منهم وينادي بعضهم يا فلان أعطني إذا كان واقعاً في شدة ، نسأل الله أن يبعثنا عن ذلك ويعصمنا من هذا الزيغ والطغيان .

اسألوا الله تعالى من فضله وتوكلوا على الله الواحد الأحد الفرد الصمد ،
واستغيثوا به فهو وحده الذي يستجيب الدعاء لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦ .

قل يا محمد : اللهم فاطر السموات والأرض أي يا مبدع السموات والأرض
ويا عالم الغيب أي ما غاب عنا وما تشهده العيون والأبصار أنت تحكم بين الناس فيما
كانوا فيه يختلفون .

عن أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : سألت عائشة أم المؤمنين ، بأي شيء
كان نبي الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح
صلاته : " اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ،
عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما
اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " [صحيح مسلم -
كتاب صلاة المسافرين وقصرها]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول : "
اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شيء ، وإله كل
شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ،
والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه وأعوذ بك أن أقترف على نفسي
إثماً أو أجره على مسلم " [مسند أحمد ابن حنبل]

عن أبي هريرة ، قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ﷺ مرني بشيء أقوله إذا أصبحت
وإذا أمسيت ؟ قال : " قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السموات والأرض ،
رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر
الشيطان وشركه ، قال : قلّه إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك " هذا
حديث حسن صحيح [سنن الترمذي - كتاب الدعوات]

إن الله واسع المغفرة

﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْيِسَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَاتُّمِرَ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ الزمر: ٥٣ - ٥٩

عن ابن عباس قال : أتى وحشي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، أتيتك مستجيراً فأجرتني حتى أسمع كلام الله ، فقال رسول الله ﷺ : " قد كنت أحب أن أراك على غير جواربي حتى تسمع كلام الله " قال : فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله تعالى وزنيت ، هل يقبل الله مني توبة ؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزل : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ الفرقان: ٦٨ إلى آخر الآية فتلاها عليه ، فقال : أرى شرطاً فلعلي لا أعمل صالحاً ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿ النساء: ٤٨ ﴾ فدعا به فتلاها عليه فقال : ولعلي ممن لا يشاء ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فنزلت : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣ ، فقال : نعم الآن لا أرى شرطاً ، فأسلم . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

قال أهل مكة : يزعم محمد إن من عبد الأوثان ودعا مع الله إلهاً آخر وقتل النفس التي حرم الله .. لم يغفر له . فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله ، ونحن أهل الشرك ؟ فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ والمعنى : إن كل من يرتكب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ويرى انه أخطأ في حق الله ، أن يتوجه إلى ربه تائباً مستغفراً نادماً ، معترفاً بشناعة ما ارتكب ، ويلجأ إلى الله طامعاً في عفوه وغفرانه ، صحيح العزم على ألا يعود إلى مثل ما ارتكب فإن الله واسع المغفرة ، ولا يجوز أن ييأس إنسان من عفوه ورضاه .

ولما هياً الله للناس أن يتوبوا وأطمعهم في عفوه ، وفتح لهم باب مغفرته ورحمته ، أمرهم أن يسارعوا إلى التوبة ، وأن يخلصوا له ظاهراً وباطناً وأمامهم فرصة التوبة لأنهم إذا أضاعوا هذه الفرصة حتى توشك أن تنتهي أعمارهم ، وحتى يوشك العذاب أن يقع عليهم ، وأرادوا إذ ذاك أن يتوبوا فإن الله لا يقبل منهم .

وأمرهم كذلك أن يتبعوا ما أنزل على نبيه ، ويتبعوا كل ما أمر به ويجتنبوا ما نهى عنه ، قبل أن يفاجئهم العذاب وينزل عليهم من غير إنذار سابق ولا مقدمات تنبئ به .

أمر الله تعالى بهذا حتى لا يقولوا : واحسرتاه على ما فرطنا في حق الله وتهاونا في أمر الله ، وتساهلنا في طاعته ، واجترأنا على ذات الله واستهزأنا بالدعوة إلى الله!!.. وأمرهم أيضاً حتى لا يقولوا : لو أن الله أراد لنا الهدى لاهتدينا وأطعنا الرسول واتبعناه وابتعدنا عن الشرك والمعاصي .

وكذلك حتى لا يقولوا حينما يرون العذاب محيطاً بهم : نتمنى أن يعيدنا الله إلى الدنيا لنطع الله ورسوله ونعمل بما أمرنا ...

ومثل هؤلاء يردّ عليهم : بأنه قد أرسل رسوله ومعه قرآنه ودعاهم ومناهم وبشرهم وأنذرهم فلم يكن منهم إلا التكذيب والعناد والنفور والإصرار على الكفر.

عن أبو عبد الرحمن الحُبَلِيِّ ، أنه سمع ثوبان ، مولى رسول الله ﷺ يقول : سمعتُ النبي ﷺ يقولُ : " مَا أَحَبُّ أَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ " إلى آخرها ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ومن أشركَ ؟ فسكتَ النبي ﷺ ثم قال : " إِيَّا وَمَنْ أَشْرَكَ ، إِيَّا وَمَنْ أَشْرَكَ ، إِيَّا وَمَنْ أَشْرَكَ " [شعب الإيمان للبيهقي]

عن عمرو بن عبسة قال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ شيخٌ كبيرٌ يدعُمُ على عصاه ، فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ لي غَدْرَاتٍ وَفَجْرَاتٍ ، فهل يُعْفَرُ لي ؟ قال : " أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ " قال : بلى ، وأشهدُ أنك رسولُ الله ، قال : " قَدْ عُفِرَ لَكَ غَدْرَاتُكَ وَفَجْرَاتُكَ " [مسند أحمد ابن حنبل]

فهذه الأحاديث كلها دالة على ان المراد ان يغفر جميع ذلك مع التوبة والإخلاص في العمل ، ولا يقنطنَ عبد من رحمة الله ، فإن باب الرحمة واسع كما قال : ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ التوبة: ١٠٤ وقال : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء: ١١٠ .



العبادة لله وحده

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرِيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ٦٤ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿٦٧﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ الزمر: ٦٤ - ٦٧

سبق هذه الآية آيتين قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ٦٢ ، سبحانه وتعالى خالق للأشياء جميعاً من خير وشر وإيمان وكفر وكل تحت جبروته وقهره.

وهو وكيل وقائم على كل الأشياء يتولاها بحراسته وحفظه فهي محتاجة إليه في بقائها كما هي محتاجة إليه في وجودها ، له مقاليد السموات والأرض أي انه حافظ الخزائن ومدبرها ومالك مفاتيحها فله التصرف في كل شيء مخزون فيها.

عن عبد الله بن عمر ، عن عثمان بن عفان ، قال : إنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، قال : " ما سألتني عنها أحد قبلك ، تفسيرها : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا

بالله، الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وييده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير... " [المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب التفسير]

والذين كفروا بعد أن جاءتهم الأدلة الواضحة على وحدانية الله هم المغبونون حظوظهم من ميراث السموات والأرض في الدنيا والآخرة.

قل لهم يا محمد: أتأمروني أيها الجاهلون المشركون أن أعبد غير الله؟

عن ابن عباس رضي الله عنه أن قريشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يُعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجونه ما أراد من النساء ويطنون عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بشر؛ فإن بغضت فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح قال: " وما هي؟ " قال: تعبد إلهنا سنة اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة قال: " حتى أنظر ما يأتيني من ربي "، فجاء الوحي من عند الله ﷻ من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ ٢٠ ۝ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ۝ وَكَنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ ﴾ [المعجم الصغير للطبراني]

ثم بين لهم أن الله سبحانه حذر عباده وأنذرهم من الشرك على لسان جميع الأنبياء فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ ﴾، فاحذر أن تشرك بالله فتهلك!! والحكم بحبوط عمل المشرك في الآخرة مقيد بما إذا مات وهو مشرك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم مِّنْ دِينِهِ فَمَا يَمُوتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۝ ﴾ البقرة: ٢١٧.

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ ۝ ﴾ : أي لا تعبد إلا الله وكن من الشاكرين على نعمه بما هداك إلى التوحيد واختصك بالرسالة.

ثم أكد الله تعالى انه لم يعظموا الله حق التعظيم إذ عبدوا غيره وجعلوا له أنداداً وهو القادر على كل شيء ومالك كل شيء.

عن عبد الله بن مسعود ، قال : جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ؛ قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : " ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيات يوماً على المنبر : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، ورسول الله يقول : " هكذا بإصبعه يحركها يمجد الرب جلّ وعلا نفسه ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم " ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر ، حتى قلنا : لِيَخِرَّنَّ بِهِ . [صحيح ابن حبان - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة]

الأرض قبضته ويطوي السماء كطي السجل للكتب جلّ شأنه سبحانه وتعالى عما يشركون به من المعبودات مع القدرة العظيمة والحكمة الباهرة.



النهي عن عبادة غير الله تعالى

﴿ **قُلْ** إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
 الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ
 لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ
 وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ غافر: ٦٦ - ٦٨ ﴾

طلب كفار قريش من محمد ﷺ أن يترك الدعوة إلى الإسلام وأن يرجع إلى دين آباؤه وأجداده ، فأمره الله تعالى أن يقول لهم : إن الله قد نهاني أن أعبد آلهة أخرى وان أعبدُه وحدهُ لأن الأصنام التي تعبدونها لا تضر ولا تنفع وان المعبود هو الله سبحانه وتعالى ، وان الله هو الذي خلق الناس أولاً من تراب : والمراد به آدم ﷺ ثم تناسلوا وخلقهم أطواراً : نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، وبعد أن يتم أطوار النمو في الرحم ، يخرج منه طفلاً ، ينمو هذا الطفل حتى يتكامل خلقه ويتناهى شبابه ثم يكبر ويتقدم في السن حتى يصير شيخاً هرمًا وبعد ذلك ينتهي أجله فيموت ، وبعضهم ينتهي أجله قبل أن يستكمل أطوار حياته فيموت قبل أن يهرم فقد يموت جنيًا أو طفلاً أو شابًا .

ومن دلائل قدرته أيضاً انه هو الذي خلق الحياة وانه هو الذي خلق الموت وانه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته ويميت من يشاء من الأحياء ، وإذا أراد كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها فإنما يقول له : كن فيكون بلا معاناة ولا كلفة. وهذا تمثيل لقدرة الله تعالى في المقدورات التي تتعلق بإرادته وتصوير لسرعة وترتيب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور.



إلهكم إله واحد

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا

إِلَيْهِ وَأَسْتَعِزُّوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿٨﴾ فَصَلَّتْ: ٦ - ٨

بعد أن ذكر المشركين بسبب نفورهم من الدعوة وقالوا: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي

أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ ءَادَانَا وَقَرُّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۖ ٥

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يقول لهم: ما أنا إلا بشر مثلكم في الجنس والصورة والهيئة ولست بملك، أدعوكم إلى التوحيد الذي دلّت عليه الدلائل الكونية وأيده النقل عن الأنبياء جميعاً، فأخلصوا له العبادة وسلّوه العفو عن ذنوبكم التي سلفت منكم والتوبة عن شرككم.. يتب عليكم ويغفر لكم.

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ فَالْوَيْلُ

والهلاك لمن أشرك بربه ولم يواس البائس الفقير بشيء من المال يدفع به عوزه ويزيل خصاصته، وأنكر البعث والحساب والجزاء، فالزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

وإنما جعل الزكاة مقرونة بالكفر بالآخرة لأن أحبّ شيء إلى الإنسان ماله وهو

شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذاك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته، ونحو

الآية : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ١٤ ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ الأعلى: ١٤- ١٥ وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿ ٩ ﴾ وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ الشمس: ٩- ١٠ .

وإما أن يكون معنى الزكاة هنا هي زكاة النفس وهي (لا إله إلا الله) أساس التوحيد وهذا رأي الجمهور كما في قول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴾ النازعات: ١٨ ، ويرجح هذا التأويل إن الآية من أوائل السور المكية وزكاة المال نزلت بالمدينة فهي زكاة القلب والبدن ، أي تطهيرها من الشرك والمعاصي .

وبعد أن ذكر وعيد المشركين أرففه وعد المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي : إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر به وأنتهوا عما نهى عنه ، لهم عند ربهم جزاء غير مقطوع ولا ممنوع .

عن السُّدِّي ، ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ " قال بعضهم : غير منقوص ، وقال بعضهم : غير ممنون عليهم " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ..

وقيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى (أي مرضهم يدوم طويلاً) والهرمى ضعفوا عن الطاعة كتب لهم الأجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة ، ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ مَلَائِكَةٍ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الكهف: ٣ ، وقوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٍ ﴾ هود: ١٠٨ .



كيف تكفرون بالله؟

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
 أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ
 فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ
 وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ فصلت: ٩ - ١٢

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يقول لقومه من كفار مكة : أعجب أنكم تكفرون بالله الواحد الأحد التي تدل كل مخلوقاته على قدرته وتتركون عبادته وتعبدون غيره من الأصنام.

فهو الذي خلق الأرض التي تعيشون عليها في فترتين من الزمان ، ومع ذلك تجعلون له شركاء ، وفي العبادة فهو رب العالمين جميعاً. وحين خلق الأرض ثبتها بالجبال الراسيات فوقها فهي موزعة توزيعاً يجعلها كالأعمدة التي يعتمد عليها فهي متصلة متماسكة ، وليست المحيطات الواسعة التي تفصل القارات بعضها عن بعض قاطعة هذا الاتصال. فإن أصول الجبال متصلة في باطن الأرض اتصالاً صخرياً قوياً يطوق الهيكل الأرضي ، وبفضل هذا الاتصال تقاوم الأرض جميع العوامل الخارجية أو الداخلية التي تعمل على تمزيقها أو اختلال توازنها ، فالأرض تدور حول الشمس

بسرعة تبلغ أكثر من مائة ألف كيلو متر في الساعة أو ثمانية عشر ميلاً ونصف في الثانية، وتتأثر بجاذبتي الشمس والقمر، والغازات التي في باطنها تضغط ضغطاً شديداً هائلاً على قشرتها. هذه الأمور كلها تؤثر في توازن الكرة الأرضية والذي يحفظها من الاختلال أو التناثر: هو السلاسل الجبلية التي تعتبر أحزمة قوية لهذا الجسم الكبير، وبعد أن خلق الله الأرض وثبتها بجمالها بارك فيها بما هيأها له من إنبات النباتات التي تُروى بالماء العذب من الأنهار والعيون، وقدّر أقوات الناس وما يلزمهم لمعايشهم وحاجاتهم

ثم توجهت قدرته إلى خلق السماء وذلك أن الله سبحانه وتعالى أحدث في الماء الذي كان يغمر الكون سخونة نشأ عنها بخار انتشرت بسببه الظلمة وهو المعبر عنها بالدخان، فخلق الكواكب فاستنار الكون ثم أمر السموات والأرض أن تكونا مسخرتين لعباده بما خلق فيها من منافع، وأن تأتي على ما ينبغي طائعتين لله سبحانه، أجابتا: أنهما طوع إرادة الله وقد أتم إنشاء السموات والأرض في زمنين آخرين أو على درجتين أو طورين ودبر أمر كل سماء بما تقتضيه إرادته فخلق في كل منها سكانها وشمسها وقمرها ونجومها وكلف سكان كل سماء بما يليق بهم من التكليف.

ولا شك أن الله كان مستطیعاً أن يخلق السماء والأرض في لمح البصر بقول لأي شيء: كن فيكون، ولكنه يخبرنا أنه خلق هذا الكون في تدرج وتأن لإرشاده عباده أن يتدرجوا في أعمالهم ويتأنوا لتكون أعمالهم متقنة ونتائجهم حميدة... وهذا كله بتقدير العزيز العليم بما يجب أن يكون.



الله يمهل ولا يمهل

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ
لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يُمْسِرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ
الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾

فصلت: ١٣ - ١٨

بعد أن بلغ الرسول ﷺ دعوته وأنذرهم من عبادة الأوثان والأصنام وحذرهم نار جهنم .. ولم يدعونا لذلك ، فأنذرهم بحلول العذاب الشديد بهم كما حلّ بقوم عاد وثمود من قبلهم لأنهم أعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ .

أخرج البيهقي في الدلائل وابن عساكر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال أبو جهل والملاء من قريش لقد انتشر علينا أمر محمد ، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالسحر والكهانة والشعر ، فكلمه ، ثم أتانا ببيان من أمره ، فقال عتبة: لقد سمعتُ بقول السحرة والكهانة والشعر وعلمتُ من ذلك علمًا ، وما يخفى عليّ إن كان كذلك ،

فأتاه .. فلما أتاه قال له عتبة : يا محمد ، أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد
المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه قال : فيم تشتم آلهتنا ، وتضلل آباءنا ، فإن
كنت تريد الرئاسة عقدنا ألويتنا لك ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان بك الباءة (الميل
إلى النساء) زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت ، وإن كان بك المال
جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله ﷺ ساكت لا
يتكلم ، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ : ﴿ حَمْدٌ ۙ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ ﴿٢﴾ كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ. قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۖ ﴿٣﴾ فصلت: ١-٣ - فقرأ حتى بلغ - ﴿ فَإِنِ اعْرَضُوا
فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۗ ﴿١٣﴾ " فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن
يكف عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله
ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ،
انطلقوا بنا إليه فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ، ما حسبنا إلا أنك صبوت إلى
محمد ، وأعجبتك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام
محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً . قال : ولقد علمتم أني من أكثر قريش
مالاً ، ولكني أتيتهم فقصص عليهم القصة : فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا
كهانة قرأ ((بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)) قال يحيى : كذا قال يعقلون حتى بلغ ، فقال : أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن
محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب "

ولما بين سبحانه كفر قوم عاد و ثمود إجمالاً وبين معاذيرها ، فأما عاد فبغوا
وعصوا ربهم ورسولهم وقالوا من أشد منّا قوة ؟ حتى يستطيع قهرنا وإذلالنا وكانوا
قوماً طوال القامة فاغتروا بأجسامهم حين تهددهم العذاب ، فردّ الله عليهم : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۗ وَإِنْ بَطِشْتُمْ لَشَدِيدٍ ۚ إِنَّه لِقَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ أَنْوَاعَ

عقابه ما شاء فيقول : (كن فيكون) ، وكانوا بآياتنا يجحدون ويعرفون أنها الحق لا مربة فيها ... فأرسل الله عليهم ريحاً باردة تهلك برودتها وإذا هبت لها صوت قوي لتكون عقوبة لهم من جنس ما اغتروا به .

ثم بين تعالى وقت النزول : ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ ﴾ مشرؤومات نكدات متتابعات في آية أخرى ﴿ سَجَّ لَيْالٍ وَثَمَنِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة: ٧ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بسبب ذلك الاستكبار ولعذاب الآخرة أكبر وأشد إهانةً لهم وخزيًا من عذاب الدنيا ولا يجدون معينًا أو نصيرًا يدفعه عنهم .

ثم ذكر قصة ثمود فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ فبين لهم الحق على لسان نبيهم صالح فكذبوه واستحبوا العمى على الهدى والكفر على الإيمان .. فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ، فهي صيحة ورجفة وذلاً وهواناً لأنهم كفروا وكذبوا بآياتنا ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون أي صالحاً ومن آمن معه من المؤمنين من ذلك العذاب ، فلم يمسهم سوء ولا نزل بهم مكروه بإيمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم .



القرآن الكريم عربي اللسان .. فصيح البيان

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْرَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤

أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ، قال : قالت قريش : لو أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً . فأنزل الله : ﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ﴾ الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

إنَّ القرآن الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ عربي اللسان فصيح البيان ليؤدي مهمته على أكمل وجه وهو هداية للحيارى وشفاء لما في الصدور : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢ ... ولو نزل القرآن بلغة العجم لقالوا : لولا فصلت آياته ، أي لولا تفصل للعرب ما فيه حتى نفهمه ، ويقولون : لسان المرسل إليهم عربي وهذا قرآن أعجمي .

لقد أمر الله تعالى أن يقول لمشركي قريش : إنَّ هذا القرآن هدى وشفاء للمؤمنين المبصرين للحقائق ، وإنه عمى على الذين لا يصدقون بالله ورسوله ولا ينظرون فيما خلق الله هذا الكون ، فإنهم عمى ... على أعينهم غشاوة وفي آذانهم صمم

وثلث في السمع وعلى قلوبهم أقفال لا يفهمون ما في القرآن ولا يهتدون إلى ما فيه من
البيان ولا يبصرون ما اشتمل عليه من البراهين والمواعظ.

ثم أكدّ تعالى على عدم استعدادهم لفهم القرآن فإن حالهم حال من ينادي من
مسافة بعيدة يسمع صوت من يناديه منها ولا يفهم ما يقال له وهذا يبيّن مدى قلة
فهمهم.



القرآن الكريم كتاب الله

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَتَّقُوا﴾ ﴿٥٤﴾

فصلت: ٥٢ - ٥٤

يأمر الله نبيه أن يقول للجاحدين والكفار: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وكفرتم به مع قيام الأدلة والبراهين على صحة ما أبلغكم به ، فهل يكون هناك أشد ضلالة من هؤلاء المخالفين شرع الله . لا لسبب إلا أنهم في أنفة الجاهلية يعرضون ويقولون : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبِيِّينَ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١ .

هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالله وبرسوله وبكتابه الذي أنزله بشيراً ونذيراً . سيرون ذلك في الآفاق حينما تفتح مكة وتدخلها عليهم منصوراً ، وسيرون ذلك أيضاً حينما تفتح الآفاق المحيطة بمكة ، أو لا يقنع هؤلاء المعاندين المتكبرين أن الله مطلع على كل شيء وأنه أخبر أن القرآن منزل من عنده على رسوله . فأى شيء أكبر شهادة من شهادة الله ﷻ .

إن فتح مكة على يدي رسول الله ﷺ وعلى يدي خلفائه وأصحابه والبلاد المحيطة بمكة تدل على قوة الإسلام وأهله ، ووهن الباطل وحزبه حتى يعلموا حقيقة

ما أوحينا به إليك وأنه الحق من ربك .. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن وعده صادق وأنه مظهر دينه على الأديان كلها.

إن هؤلاء الناس في شك من لقاء الله يوم القيامة للحساب والجزاء وإن الله يعلم كل شيء يجري في هذه الدنيا مهما صغر ومهما خفي ، فلا تخفى عليه خافية ويعلم بواطن الكفر والكفار وظواهرهم وفي يوم القيامة يجازي الكافر بكفره فيدخله جهنم ، ويجازي المؤمن بإيمانه فيخلده في جنات النعيم.

اللهم اجعلنا من المؤمنين الذين وعدهم الله بجنات النعيم ..

خالدين فيها أبداً .. وارض عنا يا رب العالمين.



الأنبياء كلهم دعوا إلى دين واحد

﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا
أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

الشورى: ١٥ - ١٦

إن الله سبحانه وتعالى شرع لكم يا أمة محمد ديناً قويمًا وأوضح حدوده وبيّن سنته وهي أصول الدين الذي شرّعه للأنبياء من قبل ، فهذا الدين الذي أمرنا به جميع الأنبياء أن يقيمون وهو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء ، ولكن المشركين عَظُمَ عليهم ذلك واستنكروا عبادة الله بعد أن كانوا يعبدون الأصنام فقالوا : ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابَّبٌ﴾ ص: ه أي جعلوا الآلهة إلهًا واحداً ، ولم يختلف أهل الكتب السماوية من اليهود والنصارى إلا بعد ما علموا أن التفرق يؤدي إلى الضلال والفساد ولكنهم فعلوا ذلك للبعص والحسد بينهم رغبة في الرياسة .

من أجل ذلك التفرق والاختلاف الذي حدث بين المشركين واليهود والنصارى في الدين ومن أجل ما أدخلوا فيه من تشريع باطل ... فادعُ يا محمد الناس إلى الدين الحق المطابق لدين أنبيائهم الذي جاءت به كتبهم واستقم على هذه الدعوة كما أوحينا إليك من القرآن وكما أمرناك به من الشرائع والأحكام ولا تمل من أهوائهم

الباطلة المنبعثة من أغراضهم وشهواتهم وقل إن جادلوك : إني مؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء لأنها تدعو إلى عبادة الله والواحد الأحد وأمرني أن لا أفرق بينكم وأبليغ الشرائع والأحكام والحقوق والواجبات ، لا فرق بين صغير وكبير ولا أمركم بما لا أعلمه ولا أخالفكم إلى ما أناكم عنه، ولكننا عبيد الله فهو ربنا وربكم، وكل منا مستؤل عن نفسه وعمله ﴿ وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَرَآءَ مَا أَنْزَرْنَا ﴾ .

الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة وإليه المصير يفصل بيننا فيما كنا فيه نختلف.. وهو خير الحاكمين.

عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

والذين يعارضون ويخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فيه عن إيمان واعتقاد وشرح الله صدورهم للإسلام لن ينالوا إلا خزيًا في محاجتهم وما يزعمون إلا الباطل لا ثبات له أمام الله وعليهم غضب من الله ولهم عذاب شديد في الآخرة.



بشارة المؤمن بالجنة

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ الشورى: ٢٣

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قال ابن عباس : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به وهو ابن اختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة لذلك ، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضرّكم ، فأتوه به ليعينه على ما ينوبه. ففعلوا ، ثم أتوا به فقالوا : يا رسول الله ، إنك ابن اختنا وقد هداانا الله تعالى على يدك وتنوبك نوائب وحقوق وليست لك عندنا سعة ، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا ، فنزلت الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

إن النعيم في روضات الجنات التي أعدها الله لعباده المؤمنين هي الفضل الكبير ، ذلك هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الصالحين .. فقل يا محمد لقريش : إني لا أسألكم على هذا الدين الذي يكفل سعادة الدارين أجراً ، ولكنني أسألكم أن تصلوا ما بيني وبينكم من قرابة وأن لا تقطعوني فهذا حقي عليكم ، ومن يعمل حسنة أو يكتب طاعة فإن الله يضاعفها له أضعافاً من الحسنات فيجعل له مكان الحسنات

عشرة أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلى ما فوق ذلك فضلاً من الله ورحمته .. ونحو
الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
النساء: ٤٠.

إن الله سبحانه وتعالى يغفر السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر
ويضاعف فيشكر ، قال قتادة : غفور للذنوب ، شكور للحسنات.



الله واحد لا شريك له

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ الزخرف: ٨١ - ٨٤

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون الملائكة ويزعمون إنهم بنات الله، ويعبدون المسيح ويزعمون انه ابن الله : إنني أعلم بحقوق الله تعالى وواجبات تعظيمه، فلو كان له ولد كما زعمتم لكنتُ أول العابدين لهذا الولد ، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد ، لكنني على يقين وثبات إيمان بوحدانية الله ﷻ وانه تقدست صفاته لا تجوز عليه الصفات التي تجوز على عباده : ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ﴾ .

تنزه الله تعالى ، وهو خالق السموات والأرض ، وآثار وحدانيته وجلائل قدرته ظاهرة ناطقة فيهما ، ورب العرش القابض على زمام الملكوت والمدبر لأمر الكون ، تنزه سبحانه وتعالى عما يصفه المشركون من أن له ولد !!

فدعهم يا محمد يخوضوا في الباطل كما يشاءون ويلعبوا في الحياة الدنيا كما يحبون فستنقضي الدنيا وتقوم الساعة التي ليس فيها لهو ولا لعب ولا خوض في الباطل ، وسيلاقون عذابهم وويلهم في هذا اليوم كما وعدناهم به من قبل .

وهو الذي تدل آثار قدرته وتنطق دلائل ربوبيته في السماء على انه الواحد الأحد. وفي الأرض على انه الواحد الأحد ، وهو الذي خلقهما على نمط الحكمة التي لا يقدر عليها سواه ، وهو الذي يعلم ما كان وما يكون .. لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الحكيم في تدبير خلقه العليم بمصالحهم.

وهذه الآية : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ تحكم بعظمة الله وتخبر بألوهيته والمراد بها انه تعالى هو النافذ أمره في كل شيء.



الله مالك السموات والأرض وما بينهما

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآَنِي
يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ
وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ الزخرف: ٨٥ - ٨٩

تعاظمت بركات الله ، وتكاثرت خيراته ، وتقديست صفاته .. خالق السموات والأرض وصاحب الأمر فيهما ، وهو وحده الذي يعلم متى تقوم الساعة ومتى يبعث الناس ليحاسبوا على أعمالها في الدنيا ، وإليه وحده يرجعون ويقفون بين يديه ويقابلون وجه الله الكريم.

إن المشركين يزعمون أن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله سيكونون لهم شفعاء عند ربهم يوم القيامة ، وآلهتهم لا تملك الشفاعة حتى يشفعوا للمشركين عنهم ، بل سيكون الآلهة حصب جهنم وسيكونون وقوداً فيها مع الناس والحجارة ، إنما يأذن الله في أن يشفع عنده لأولئك الذين آمنوا به وأقروا بوحدانيته على علم ويقين.

وهؤلاء الذين يدعون أن له شريكاً يُعبد ، أو له ولداً يولد .. إن سألتهم عن خلق السموات والأرض ليقولن : خلقهن العزيز العليم ، فكيف خلقهما وله شريك ؟ وكيف يُصرف هؤلاء عن التوحيد والإيمان إلى الشرك وعبادة الأوثان ؟

وهو جلّ شأنه عنده علم قول رسوله شاكيًا أسفًا: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك ولا يصدقون بوحدانيتك مع ما أدليت لهم بالحجج والبيّنات على وحدانيتك، (وقيله) بالجر معطوف على (الساعة) بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، والمراد: إن الله عنده علم الساعة، وعلم قول رسوله.

فأعرض عنهم يا محمد ولا ترج إيمانهم وهدايتهم واتركهم وقل لهم: سلام. فسوف يعلمون ما يصيبهم يوم القيامة جزاء كفرهم وتكذيبهم لك.



الصبر على أذى الكافرين

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ الجاثية: ١٤ - ١٥

قل يا محمد للذين آمنوا يغفروا للذين : لا يرجون أيام الله .. أي للذين لا يخشون لقاء الله ولا يخافون بأسه ونقمه وعذابه.

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد عمر بن الخطاب خاصة ، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله عبد الله بن أبي ، وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها : (المُرَيْسِيع) فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاها قال : ما حبسك؟ قال : غلام عمر ، قعد على قف البئر ، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قِرب النبي وقِرب أبي بكر وملاً لمولاهُ ، فقال عبد الله ابن أبي : ما مثلنا ومثل هؤلاء ((وقال كلاماً بذيئاً)) فبلغ قوله عمر ﷺ ، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

البقرة: ٢٤٥

قال يهودي في المدينة يقال له فنحاص : احتاج ربُّ محمد ، فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه ، فجاء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ فقال : إن ربك

يقول : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي ، فبعث رسول الله ﷺ في طلبه فلما جاء قال : " يا عمر ضع سيفك " قال : صدقت يا رسول الله ، أشهد أنك أرسلت بالحق ، قال : " فإن ربك يقول : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] وأيام الله معناها : أيام نعمه ونصره ونعيمه في الجنة ، ويرجون معناها : يخافون ، وفي هذا التنزيل هداية إلى أنه ينبغي الصبر وكظم الغيظ واحتمال المكروه ممن تصادفهم من الناس ويعيبون بغير حق ، ويتهمون بالباطل وأن تعالج أمراضهم النفسية وقلوبهم المليئة بالحسد والبغضاء بالعفو والصفح وترك أمرهم إلى الله يحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

فكلُّ محاسب على عمله ، إن عمل خيراً فجزأؤه خير ، وإن عمل شراً فجزأؤه شر وكل نفس لها ثوابها وعليها عقابها فليعمل كلُّ ما شاء فسيلقى جزاء عمله يوم القيامة حين ترد الخلائق إلى الله ويرجعون إليه ويقفون بين يديه فيجد كلُّ صحيفته قد دوّنت فيها أعماله فيحاسب على ما فعل في دنياه بالعدل والقسطاس المستقيم ، ولا يظلم ربك أحداً .



يوم القيامة لا ريب فيه

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ

الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿ ٢٩ ﴾ الجاثية: ٢٦ - ٢٩

سبقَت هذه الآيات : ﴿ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوَابِتَابَاتِنَا

إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ .

أي إذا قرئ القرآن وتليت عليهم الآيات الناطقة بالحق الذي من جملته البعث وكانت الآيات بينة ظاهرة لا شك ولا خفاء فيها لم يؤمنوا ولم يصدقوا وحجتهم أن يقولوا : أحيوا لنا آباءنا من الموت وابعثوهم من القبور إن كنتم صادقين فيما تقولون من أن هناك بعثاً من القبور وحساباً وعذاباً يوم الدين .

قل لهم يا محمد : إن الله هو الذي يخلقكم نطفاً في بطون أمهاتكم ويبعث فيكم الحياة ثم يميتكم ثم يحييكم فهو قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم أول مرة، ويحاسبكم على أعمالكم يوم القيامة .

فهو المتصرف في الخلق بالإحياء والاماتة ، وهو خالق السموات والأرض
ومالكهما ومدبر شؤونهما ويوم القيامة تقوم الساعة ويخسر المشركون الذين كذبوا
بهذا اليوم الموعود.

وفي هذا اليوم يجمع أهل كل دين وملة فيجلسون على ركبهم وأطراف
أصابعهم جلوس خضوع وخوف من هول هذا اليوم ، كما يجثو المحكوم أمام الحاكم
، وعندئذٍ تطلب كل أمة ليقراً كل فرد ما دوّن عليه في صحيفة أعماله ويحاسب عليها ..
إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر.

ويقال لهم : هذا كتابنا ينطق بالحق ويشهد عليكم لا زيادة فيه ولا نقصان ، لأننا
كنا نأمر الملائكة أن ينسخوها ويكتبوها وتحفظ عليكم إلى هذا اليوم الموعود.
لا ظلم اليوم .. كل ملائق حسابه ، المؤمنون لهم جنات النعيم والكافرون لهم
جهنم خالدين فيها.

اللهم أجرنا من نار جهنم وأدخلنا الجنة برحمتك وجودك وكرمك



كان لهم ذلك لظهر التفاوت في هذا النظام ، ولكنه على حال واحدة يرتبط بعضه ببعض ، هل تظنون أن لهم شركة في خلق العالم العلوي شموسه وأقماره وكواكبه ونجومه ... !!!

نفى الله سبحانه وتعالى إن لهذه الآلهة دخلاً في خلق شيء من أجزاء العالم السفلي والعلوي ، ونفى ذلك يستلزم نفي استحقاق المعبودية أيضاً.

فبعد أن عجزهم عن الاتيان بسند عقلي عجزهم عن الاتيان بسند نقلي فقال : ﴿ أَتُؤْنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَوْنَ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي إن كان ما تقولونه حقاً فأتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب كالتوراة والإنجيل يشهد بصحة ما تدعون لألهتكم . أو يبقية عندكم من علم الأولين المفكرين في خلق السموات والأرض ترشد إلى استحقاق الأصنام والأوثان للعبادة.

ثم وبخ الله تعالى عبدة الأصنام مبيناً إنه لا أحد أضل ممن هذه صفته بعبادة الأصنام من دون الله فإنه يدعو من لا يسمع إلى يوم القيامة والأصنام غافلون عن دعائهم لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات والأصنام ليس لها القدرة على شيء ولا علم لديها بشيء .

وإذا جمع الناس ، الكفار والأصنام يوم القيامة في موقف الحساب كانت الأصنام لهم أعداء تظهر التبري منهم والإنكار وتصب اللعنة عليهم ، ونقول كما قال الله تعالى : ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا آئِنًا يَعْبُدُونَ ﴾ القصص: ٦٣ ... وكانت الأصنام جاحدين مكذبين بتلك العبادة وكذلك تبرأ الملائكة والمسيح عيسى ابن مريم وعزير والشياطين ممن عبدوهم يوم القيامة.

ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (٨٢) مريم: ٨١-٨٢ ، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذَّكِرِينَ ﴾ (٢٥) العنكبوت: ٢٥ .

إن العقل البشري السوي يأبى الخضوع لصنم أو وثن لا يضر ولا ينفع ولا يعقل ولا يسمع ولا يفهم ولا يستجيب لشيء.



أقوال وافتراءات الكفار عن القرآن الكريم

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا

نُفِيسُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ

بَدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ الأحقاف: ٨ - ٩

سبقت هذه الآيات آية من سورة الاحقاف: ﴿ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايُنُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ .

قل لهم يا محمد: هذا كتاب الله وليس بسحر ولا افتريته عليكم ، فلو كذبت على الله وزعمت أنه أرسلني إليكم ولم يكن الأمر كذلك لعاقبني أشد العقاب ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني من الله ، فالملوك لا يتركون من كذب عليهم دون أن ينتقموا منه فما بالكم بمن يكذب على الله ورسالته وهي الجامعة لأمر عظيمة ونحو الآية: ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴿٢٣﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ

﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنَ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧ . الله أعلم بما تفيضون فيه أي تخوضون فيه من تكذيب بالقرآن والطعن في آياته وتسميته سحراً تارةً وكذباً تارةً أخرى .

كفى رب العالمين شهيداً ، يشهد لي بالصدق في البلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود.

ثم فتح لهم باب الرحمة بعد الإنذار السابق لعلهم يهتدون ويتوبون إلى الله وإلى الحق ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال الثعلبي ، عن ابن عباس : لما اشتدّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء ، فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ، ورأوا فيها فرجاً مما هم فيه من أذى المشركين ، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك ، فقالوا يا رسول الله ، متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ ﴾ يعني : لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيت في منامي أو لا ، ثم قال : " إنما هو شيء رأيت في منامي ، ما أتبع إلا ما يوحى إلي " . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قل لهم يا محمد : ما كنت أول رسول أرسل إليكم فقد جاءت رسل من قبلي وما أنا بالذي يستطيع أن يأتي بالمعجزات متى شاء بل ذلك بإذنه تعالى وتحت قبضته وسلطانه وليس لي من الأمر شيء ، ولا أعلم ما يفعل الله بي في الدنيا وما يفعل بكم أيها الكافرون ، أترمون بحجارة من السماء أم تخسف بكم الأرض ، كل هذا علمه عند ربي .

ورد في صحيح البخاري - كتاب الجنائز ، من حديث أم العلاء : ... أنها قالت : لما مات عثمان بن مظعون ؓ : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك : لقد أكرمك الله ، فقال النبي ﷺ : " وما يدريك أن الله قد أكرمك ؟ " فقلت : بأبي أنت يا رسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال : " أمّا هو فقد جاءه اليقين ، والله إنّي لأرجو له الخير ، والله ما أدري ، وأنا رسول الله ، ما يفعل بي " قالت : فوالله لا أركي أحداً بعده أبداً .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته : هنيئاً لك الجنة فنظر إليها النبي ﷺ نظرة غضبانٍ ، فقال : " وما يُدريك ؟ " فقالت : فارسك وصاحبك ، فقال رسول ﷺ : " والله ما أدري ما يفعلُ بي " فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ من قوله لعثمان ، وهو من أفضلهم [المعجم الكبير للطبراني]

ومن هذا يُعلم أن ما يُنسب إلى بعض الأولياء من العلم بشؤون الغيب فهو كذب على الله ورسوله ، وكفى بما سلف رداً عليهم ، ثم أكد الرسول انه ما اتبع إلا القرآن ولا ابتدع شيئاً من عنده وقال : ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي أنذركم من عقاب الله وأخوفكم عذابه وآتيكم بالشواهد الواضحة على صدق رسالتي ولست أقدر على شيء من الأعمال الخارجة عن قدرة البشر .



شاهد من بني إسرائيل

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ؕ وَإِذ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِءِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيْفُكُ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِءِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ؕ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ الأحقاف: ١٠ - ١٤

قل لهم يا محمد: إن كان وثبت أن القرآن من عند الله لعجز الخلق عن معارضته لا أنه سحر ولا مفترى كما تزعمون، ثم كذبتهم به وشهد أعلم بني إسرائيل بكونه من عند الله وهو عبد الله بن سلام (كان أعلم بني إسرائيل) في التوراة فأمن واستكبرتم أفلستم تكونون أضل الناس وأظلمهم؟

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: " ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ لأحدٍ يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام " قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءِ ﴾ الآية. [صحيح البخاري - كتاب المناقب]

عن أنس رضي الله عنه ، قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال : ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خبرني بهن أنفا جبريل " قال : فقال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملائكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما أول أشرط الساعة فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الشبه في الولد : فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " قال : أشهد أنك رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني (كذبوا وافتروا عليّ) عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أي رجل فيكم عبد الله بن سلام " قالوا أعلمنا ، وابن أعلمنا ، وأخيرنا ، وابن أخيرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفرايتم إن أسلم عبد الله " قالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شَرُّنا ، وابن شَرُّنا ، ووقعوا فيه . [صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء]

وعن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، قال : " نزلت في آيات من كتاب الله ، فنزلت في ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّ وَاسْتَكْبَرَتْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ونزل : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٤٣ . [سنن الترمذي الجامع الصحيح - كتاب المناقب]

إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يوفقهم لإصابة الحق وهدى الصراط المستقيم من ظلموا أنفسهم باستحقاقهم سخط الله لكفرهم به بعد قيام الحجة الظاهرة عليهم.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ أي : وقال كفار مكة لأجل إيمان من آمن من فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود ومن لف لفهم : لو كان ما أتى محمد خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء رعاة الإبل ولم يعجبهم أن تسلم قبيلة غفار التي منها (أبو ذر الغفاري) ولم يعجبهم أن تسلم زين ... أخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد ، قال : كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها زين ، فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر ، وكان كفار قريش يقولون : لو كان خيراً مل سبقتنا إليه زين ، فأنزل الله في شأنها : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ . [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

ولم يعجب بني عامر وغطفان وتميم وأسد وحنظلة وأشجع : أن تسلم غفار وأسلم وجهينة وخزاعة ومزينة ، وسموهم رعاة البهائم ولم يعجب اليهود أن يسلم عبد الله بن سلام ولم يعجب مشركي قريش أن يسبقهم إلى الإسلام بلال وصهيب وعمار وأمثالهم من عامة الشعب وعبيدته فرأى هؤلاء جميعاً إنه لو كان الإسلام خيراً ما سبقهم إليه هؤلاء الذين هم أقل منهم منزلة .

ومن قبل هذا القرآن توراة موسى نزلت عليه إماماً لبني إسرائيل يأتون بها ورحمة لهم خصّهم الله بها ، وجاء القرآن بعد التوراة ونزل بلسان عربي مبين مصدقاً لما جاء في توراة موسى من أن محمداً رسول الله وهذا الكتاب ينذر الذين ظلموا

أنفسهم بالاستمرار على الكفر والشرك بالله وييشر المؤمنون الذين آمنوا بمحمد وبما جاء به.

يؤكد الله تعالى إن الذين يؤمنون به ويوحدونه لا يخافون عقاب الله في الآخرة لأنهم آمنوا أنه لا عقاب لهم ولا يحزنون على شيء فاتهم في الدنيا لأنهم سيلقون ما هو خير منه وهؤلاء يخلدون يوم القيامة في الجنة جزاءً لهم على إيمانهم وعلى تمسكهم بهذا واستمرارهم عليه.



المتخلفين عن الحديبية

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُحَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۗ
يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ **قُلْ** فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ
يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ الفتح: ١١ - ١٤

يخبر الله نبيه محمد ﷺ وهو راجع من الحديبية (وهي قرية صغيرة على اقل من
مرحلة من مكة ، سميت باسم بئر هناك) ومن بيعة الرضوان - بيعة الشجرة على قتال
قريش ، والشجرة : شجرة طلح وهي المعروفة الآن بالسنت ، بايع المؤمنون تحت
ظلها رسول الله ﷺ ما في قلوبهم أي من الصدق والإخلاص والسكينة والأمن وهم
يباعون الله ببيعتهم الرسول وقد ضمن لهم الجنة ورضي عنهم ولذلك سميت بيعة
الرضوان لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ : ١٨ أي فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية.

أخبره الله إن المتخلفين من الأعراب حين سرت إلى مكة معتمراً زائراً بيت الله الحرام ، قالوا : شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا واصلاح معاشنا وأهلونا فاطلب لنا المغفرة من الله إذ لم يكن تخلفنا عن عصيان لك ولا مخالفة لأمرك .

فردّ الله عليهم وكذبهم بقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : إنهم يكونوا صادقين في اعتذارهم لأنهم اعتقدوا أن النبي ﷺ والمؤمنين سوف يُغلبون ولا يعودون .

قل لهم يا محمد : ما كان في نيتكم إذ لم تخرجوا إلى الحديبية يعلمه الله وسيحاسبكم عليه وهو أنكم رجحتم أني لا أعود من سفري هذا أنا ومن معي وزين لكم الشيطان ذلك واعتقدتم إن الدائرة دائرة علينا وإن الله متخلّ عنا ... ولسنا نحن الهالكين ولكنكم أنتم الهالكون بسوء ظنكم وسوء تقديركم .

وكل من لم يؤمن بالله ورسول الله فالشر واقع عليهم لأن الله أعد لهم جهنم عذاباً شديداً والله مالك السموات والأرض ومالك كل شيء .. متصرف في كل شيء كما يشاء فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ورحمته بعباده أسبق من غضبه عليهم .



المخلفون قوم ماديون يسعون إلى الدنيا فقط

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
 الفتح: ١٥

سيقول المخلفون لك يا رسول الله - أي الذين تخلفوا عنك في عمرة الحديبية وقالوا إنهم شغلتهم أموالهم وأهليهم : دعونا نتبعكم ونسر معكم إلى غزو خيبر حين ما توقعوا أن فيها مغنم كثيرة وفي هذا وعد للمبايعين بالغنيمة وللمتخلفين بالحرمان .
 حيث إن رسول الله ﷺ رجع من الحديبية من سنة خمس وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل محرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية وكان عددهم ألف وستمئة ففتحها وغنم أموالاً كثيرة خصهم بها .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ ﴾ فإن الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغنم خيبر وخدمهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب .

﴿ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ﴾ أي : لا تأذن لهم بالخروج معك معاقبة لهم من جنس ذنبهم ، فإن امتناعهم عن الخروج إلى الحديبية لأنهم كانوا يتوقعون الحرب مع العدو وسوف ينتصر على المسلمين ولا يتوقعون المغنم ، فلما انعكست الآية في خيبر طلبوا ذلك فعاقبهم الله بخدمهم من المغنم ثم أكد ذلك المنع بقوله : ﴿ كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾

قَبْلُ ﴿ أَي : هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا من الحديبية إليكم : إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ولستم ممن شهدها .. فليس لكم أن تتبعونا لأن غنيمتها لغيركم .

﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أَي : إن الله ما قال ذلك من قبل ، بل أنتم تحسدوننا أن نصيب معكم مغنماً ولهذا منعتونا من المجيء معكم فردّ الله عليهم إنهم لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلاً ، ولو فقهوا ما قالوا ذلك لرسوله وللمؤمنين بعد أن أخبرهم الله بأن الله منعهم غنائم خيبر .



طاعة الله مقرونة بالأجر الحسن

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ لَّنُقَلِّبُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ الفتح: ١٦ - ١٧

قل يا محمد للمخلفين من الأعراب إنكم سُدعون إلى قتال قوم أصحاب قوة وبأس شديد فعليكم أن تخيروهم أمرين: أما السيف وأما الإسلام وهذا حكم عام في مشركي العرب والمرتدين يجب اتباعه.

فإن تستجيبوا وتنفروا للجهاد وتؤدوا ما طُلبَ منكم سوف يؤتكم ربكم الأجر الحسن والثواب الجزيل فتنالوا المغانم في الدنيا وتدخلوا الجنة في الآخرة.

ومن نكص على عقبيه ولم يستجب لذلك وخالف أمر الله وترك قتال أولي البأس يعذبكم العذاب الأليم.. بالمذلة في الدنيا والنار في الآخرة.

وذكر في هذه الآية الأعداء المبيحة للتخلف عن القتال فلا إثم على ذوي

الأعداء إذا تخلفوا عن الجهاد كالأعمى والأعرج والمريض.

عن أبي بردة قال : سمعت أبا موسى مراراً يقول : قال رسول الله ﷺ : " إذا مَرَضَ العبدُ ، أو سافرَ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ ما كان يعملُ مُقيماً صحيحاً " [صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير]

عن أبي سعيد الخدري ، وعن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال : " ما يُصِيبُ المسلم ، من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذىٍ ولا غَمٍّ ، حتى الشوكةُ يُشاكُّها ، إلا كَفَّرَ اللهُ بها من خطاياهُ " [صحيح البخاري - كتاب المرضى]



قالت الأعراب

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا **قُلْ** لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ **قُلْ** اتَّعَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسَلِمُوا **قُلْ** لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

الحجرات: ١٤ - ١٨

قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ﴾ الآية: نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمه، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة. وجعلوا يمتنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

والأعراب هم سكان البادية وهم بنو أسد كانوا يدعون أنهم دخلوا في الإيمان طواعية واختياراً ولم يحاربوه لذلك يجب عليه أن يفضلهم على غيرهم ويقدمهم في توزيع الصدقات، فكشف الله أمرهم وأبان حقيقتهم وأظهر لنبيه أنهم لم يؤمنوا

ولكنهم هبطوا من البادية وآثروا الإسلام على الحرب فنطقوا بالشهادتين وأظهروا الإسلام ولكن إسلامهم لم يتجاوز ألسنتهم.

قال الزجاج : الإسلام إظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبي ﷺ وبذلك يحقن الدم ، فإذا كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك هو الإيمان وصاحبه المؤمن .. أرادوا أن يداروا أنفسهم فأقسموا أنهم مؤمنون بقلوبهم فبين الله لهم أنه ليس في حاجة إلى أن يخبروه بحقيقة أمرهم فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فهو عالم ، علم إحاطة بما تظنون وبما لا تظنون .

قوله تعالى : ﴿ يَمُنُونَ ﴾ الآية ، أخرج الطبراني بسند حسن ، عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا : يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان ، فأنزل الله الآية . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

عجباً لهؤلاء الأعراب ! يمتنون على النبي أنهم دخلوا في الإسلام كأنهم أسلموا له ومن أجله ولمنفعته . فأمر الله النبي أن ينهاهم عن إظهار التفضل عليه وأن لا يعدوا إسلامهم منة عليه وأن الله جدير بأن يمتن عليهم بسبب هدايتهم إلى الإيمان إن كانوا صادقين بما يدعونه من إسلام باللسان وإيمان بالقلب .

والله يعلم كل شيء كبير أم صغير ، ظاهر أم مخفي في هذا العالم .. والله بصير بكل عباده .



الإتهامات الواهية من المشركين

﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴾ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ

قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ

كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ الطور: ٣١ - ٣٤

سبقت هذه الآية بأيتين: ﴿ فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٣١) أَمْ

يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ .

الآية : ٣٠ ، أخرج ابن جرير عن ابن عباس : أن قريشاً لما اجتمعوا في دار

الندوة في أمر النبي ﷺ ، قال قائل منهم : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء : زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم فأنزل الله في

ذلك : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴾ . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

أمر الله تعالى نبيه بمتابعة نشر الدعوة وتبليغها مهما كانت الصعاب والتحديات

الباطلة والاتهامات الواهية.

فأنت أيها النبي لست بكاهن : تدعي الإخبار عن الماضي بلا وحي من الله ،

ولا بمجنون : يتخبطه الشيطان من المس . ويقولون : إنه شاعر نتظر به حوادث الدهر والأيام ومصائبها فيموت كما مات غيره .

قل لهم يا محمد : انتظروا موتي أو هلاكي فإنني معكم من المنتظرين عاقبة

الأمر وقضاء الله فينا جميعاً .

أُنزل عليهم شيء من السماء ، أم تأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض وهو زعمهم بأن القرآن سحر أو كهانة أو شعر ، وقولهم في الرسول إنه كاهن أو شاعر أو مجنون ، أم إنهم طغاة تجاوزوا الحدود في العناد والضلال عن الحق.

أم يقولون : أن محمداً قد اختلق القرآن وافتراه ؟ بل إنهم في الواقع لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بما جاء به رسوله.

فإن صدقوا في زعمهم هذا بأن محمداً افترى القرآن فليأتوا بمثل هذا القرآن في نظمه وسمو بلاغته وبديع أسلوبه وعظيم بيانه. والواقع إنهم لو ﴿ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾
الإسراء: ٨٨ .



المیقات

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ ٥٠ ﴾ معلوم الواقعة: ٤٩ - ٥٠

المیقات / ما وقت به الشيء ، والمراد به يوم القيامة وسمي به لأنه وقتت به الدنيا.

إن سبب تعذيب الكفار لأنهم كانوا متنعمين في الدنيا بألوان المأكل والمشرب والمسكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات وكانوا ينكرون هذا اليوم ويقولون : أُنْبِئْنَا نحن وآباؤنا الذين ماتوا من زمن بعيد وأصبحت أجسادهم بالية وعظاماً نخرة ؟

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّٰبًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الواقعة: ٤٥ - ٤٨ .

قل لهم يا محمد : إن الأولين الذين تستبعدون منهم أشد الاستبعاد والآخرين الذين تظنون أن لن يبعثوا ، ليُجمعون في صعيد واحد في ذلك اليوم المعلوم ، يوم القيامة ونحو الآية من قوله في سورة الصافات : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ الصافات: ١٩ .



فتمنوا الموت إن كنتم صادقين

﴿ قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَسْتَمْتُونَہٗ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيہُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّہٗ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

الجمعة: ٦ - ٨

روي أن هذه الآيات نزلت: أن يهود المدينة لما ظهر رسول الله ﷺ خاطبوا يهود خيبر في أمره، فذكروا نبوته وقالوا لهم: إن رأيتم أتباعه أطعناكم، وإن رأيتم خلافه خالفناه معكم، فجاءهم جواب أهل خيبر يقولون: نحن أبناء إبراهيم خليل الرحمن وأبناء عزيز ابن الله ومنا الأنبياء، ومتى كانت النبوة في العرب؟ نحن أحق بالنبوة من محمد ولا سبيل إلى أتباعه، فنزلت الآية: بمعنى إنكم إذا كنتم من الله بهذه المنزلة، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين تعتقدون في أنفسكم هذه المنزلة.

فإن من أيقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص من الدنيا دار النكد والمهانة لينتقل إلى دار العز والكرامة، ولكن هؤلاء اليهود يوقنون بصدق محمد رسول الله ولكنهم لا يتمنون الموت أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من تحريف الآيات الدالة على نبوة محمد من التوراة وما ارتكبوا من الكفر والمعاصي.

وذكر الله سبحانه آية في سورة البقرة في مثل هذه المبالغة (الملاعنة) في (آية ٧ من سورة الجمعة) قائلاً سبحانه لليهود: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ

خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ البقرة: ٩٤ كما ذكر في سورة آل عمران مباهلة (النصاري) : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ آل عمران: ٦١ ومباهلة المشركين في قوله : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٥ .

كما أمر الله محمداً أن يقول لهم : إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه ، مخافة أن تؤخذوا بوبال أعمالكم سيلحقكم وينزل بكم مهما حاولتم الفرار منه ثم تردون إلى المطلع على أسراركم وعلانيتكم فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا ويجازيكم على ما اقترفتهم من الكفر وما ارتكبتم من المعاصي .



صلاة الجمعة خير من الهمو ومن التجارة

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۗ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ

اللَّهُوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ الجمعة: ١١

عن جابر بن عبد الله ، قال : بينا النبي ﷺ قائمٌ يوم الجمعة ، إذ قدمت عيرٌ (إبل محملة طعاماً من دقيق وُبُرّ وزيت) إلى المدينة ، فابتدرها أصحابُ رسولِ الله ﷺ ، حتى لم يبقَ معه إلا اثنا عشر رجلاً ، فيهم أبو بكر وعمر ، قال : ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ۗ ﴾ . [صحيح البخاري ، صحيح مسلم - كتاب الجمعة]

والذي قدم بهذه التجارة دحية الكلبي من الشام ، وكان إذا قدم لم يبقَ أحدٌ في المدينة إلا أتاها ، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرجوا ليبتاعوا منه وكان ذلك طريق الإعلان عن التجارة حينئذٍ.

عاب الله المؤمنين حين تركوا النبي ﷺ وهو يخطب وخرجوا من المسجد للاشتغال بالتجارة والاستماع إلى طبولها المعبرة عن الفرحة بقدم التجارة من بلاد الشام أو غيرها.

وذلك في قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمًّا ۗ ﴾ أي : إذا رأوا قافلة تجارة أو رأوا لهواً كقرع الطبول وضجيج المزامير احتفالاً بزواج وغيره خرجوا من المسجد وانصرفوا إلى الملاهي ومتاع الدنيا وتركوك قائماً تخطب على المنبر ، فما عند الله من الثواب العظيم خير من ذلك.

ومن الله اطلبوا الرزق وتوسلوا به وتوكلوا عليه وهو كفيل برزق العباد ولن يحرم أحد من الرزق أو ينقص شيئاً بسبب الصلاة.

وتدل الآية : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ على قيام الخطيب وأول من استراح في الخطبة عثمان رضي الله عنه وأول من خطب جالساً معاوية رضي الله عنه .



يوم التغابن

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا بُكَرِّ عَنَّا سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾

التغابن: ٧ - ١٠

إدعى المشركون أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء فقالوا: ﴿أءَاذًا كُنَّا تَرْبَابًا نَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟

فأمر الله رسوله بالرد عليهم: قل بلى وربى لتبعثن لا محالة وإنكم وربى الذى خلق الخلق وأنشأهم من العدم ستحاسبن على أعمالكم وتجزون على الكثير والقليل والنقىر والقطمير وذلك هين عليه يسير، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس: ٧٩ وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس: ٥٣، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِنَكُمْ﴾ سبأ: ٣.

وبعد أن جاءهم بالأدلة على يوم القيامة طالبهم بالإيمان ... فأمنوا بالله أي صدقوا بالله وبالرسل وبالقرآن الذي أنزله والمنقذ لكم من الضلالة وإن الله خير بكل ما تعملون وسيحاسبكم على ما كسبت أيديكم من خير وشر.

يوم يجمعكم ليوم القيامة يجمع فيه الأولين والآخرين للحساب والجزاء في صعيد واحد، لتجزى كل نفس بما كسبت ... لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.

ونحو الآية: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ هود: ١٠٣، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ الواقعة: ٤٩ - ٥٠.

عن المقداد بن الأسود، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: " تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ " - قال سُلَيْمٌ بن عامرٍ: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكْتَحَلُ به العينُ - قال: " فيكونُ النَّاسُ على قدرِ أعمالهم في العَرَقِ، فمنهم من يكونُ إلى كعبيه، ومنهم من يكونُ إلى ركبتيه، ومنهم من يكونُ إلى حَقْوِيهِ، ومنهم من يُلْجِئُهُ العَرَقُ إلْجَامًا " قال: وأشار رسول الله بيده إلى فيه. [صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

وسُمي يوم التغابن لأن الكافرين قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فخسرت صفقتهم، اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، والمؤمنون باعوا أنفسهم بالجنة فربحت صفقتهم وما كانوا خاسرين وان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة.

جاء في صحيح البخاري - كتاب الرقاق، عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: " لا يدخلُ أحدُ الجنةِ إلا أَرِيَّ مقعدهُ من النارِ لو أساءَ، ليزدادَ شكراً، ولا يدخلُ النارَ أحدٌ إلا أَرِيَّ مقعدهُ من الجنةِ لو أحسنَ، ليكونَ عليه حَسْرَةٌ "

ومن يؤمن بالله ويصدق ويعمل بطاعته وبأوامره يمحُ الله عنه ذنوبه ويدخله
جنان تجري من تحتها الأنهار وذلك هو الفوز العظيم ، والذين كفروا أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون جزاء كفرهم ومعصيتهم وعدم إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى
وبئس النار مصيراً لهم.



الله الخالق لكل شيء وإليه المرجع والمآب

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى

هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿الملك: ٢٣ - ٢٧﴾

قل لهم يا محمد : إن ربكم هو الذي برأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا بها المواعظ ، والأبصار لتنظروا بها بدائع صنع الله ، والأفئدة لتتفكروا في كل هذا ، ثم بين ان الإنسان لنعمة ربه لكنود فقال : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي قلما تستعملون هذه النعم في الامتثال لأوامره والانتفاء عما نهى عنه .

قل لهم يا محمد : إن الذي خلقكم وبعثكم في أرجائها على اختلاف ألسنتكم وألوانكم وأشكالكم وصوركم ثم يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم للحساب والجزاء فيجزى كل نفس بما كسبت ... إن الله سريع الحساب .

ويسأل الكافرون رسول الله ﷺ استهزاءً وتهكماً : متى يقع هذا الخسف في الدنيا والحشر والعذاب في الآخرة إن كنت صادقاً فيما تدعي وتقول ؟

فأمر الله أن يجيبهم بأن علم ذلك عند الله وقد أمرني أن أخبركم إن ذلك لا محال فيه ومن حدوثه.

ونحو الآية : ﴿ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٨٧

وبيّن وظيفته أنه نذير من الله يبيّن الشرائع ما حلل منها وما حرّم لتكونوا على بينة من أمركم.

فلما رأوا العذاب الموعودين به قريباً وهو آت لا محالة وإن طال زمنه ساءت وجوههم من الكآبة والخسران وغشيتها القترّة والسواد ، إذ جاءهم من أمر الله ما لم يكونوا يحتسبون وقيل لهم : هذا الذي كنتم به تستعجلون وقوعه وكنتم تقولون : ﴿ فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ هود: ٣٢ ونحو الآية : وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿ وَبَدَأْهُمْ سَبَاتٌ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الجاثية: ٣٣ .



وجوب الاعتماد على الله في كل حاجة

﴿ **قُلْ** أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ یُحِیْرِ الْکَافِرِینَ مِنْ

عَذَابِ أَلِیمٍ ﴿٢٨﴾ **قُلْ** هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِی

ضَلَالٍ مُّبِینٍ ﴿٢٩﴾ **قُلْ** أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ یَأْتِکُمْ بِمَاءٍ مَعِینٍ ﴿٣٠﴾

الملك: ٢٨ - ٣٠

روي ان كفار قريش في مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك نزلت الآية : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ یُحِیْرِ الْکَافِرِینَ مِنْ عَذَابِ أَلِیمٍ ﴾ .

قل لهم يا محمد أخبروني عن أي فائدة أو نفع لكم أو راحة فيما إذا أهلكني الله بالإماتة أو رحمني بتأخير الأجل أنا ومن معي من المؤمنين فذلك لا ينجيكم من عذاب الله ، وإنما ينفعكم الإيمان بالله والتوكل على الله وتفويض الأمر كله لله ﷻ . وسوف تعلمون عاقبة كفركم وضلالكم وعدم تصديقكم بالأدلة الواضحة من القرآن الكريم الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ .

والدليل على نِعَمِ الله أنه يمدنا بالماء ، فقل لهم يا محمد أخبروني إن صار ماؤكم غوراً لا تصله الدلاء ذاهباً في أعماق الأرض .. غائراً لا يستطيع أحد منكم أن يناله ، فمن يأتيكم بماءٍ جارٍ غير منقطع إلا الله تعالى بإنزال المطر والثلج وإجراء الأنهار .

فَلِمَ تَجْعَلُونَ شُرَكَاءَ لِلَّهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ صَنْعِ أَيِّ شَيْءٍ.

والآية دليل على وجوب الاعتماد على الله تعالى في كل حاجة وذلك من فضل

الله ومن مظاهر قدرته ووحدانيته.



السَّيِّئَةُ لِلْعَوَامِلِ

أخبار عن الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْتِيهِمْ ۖ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا
﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ الجن: ١ - ٧

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : " انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيءٌ حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم ، وقالوا : يا قومنا : إنا سمعنا قرآنا عجباً ، يهدي إلى الرشd ، فأما به ولن نشرك بربنا أحداً ، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن " [صحيح البخاري - كتاب الأذان]

- ❖ إن الجن استمعوا إلى القرآن فقالوا : إنا سمعنا إلى القرآن الذي يهدي إلى الحق فأمننا به ولن نعبد مع الله أحداً.
- ❖ وإن ربنا العظيم أجّل وأرفع من أن يكون له زوجة أو ولداً.
- ❖ وإن إبليس اللعين كان يقول على الله أقولاً غير صحيحة فنسب له الزوجة والأولاد، وإننا حسبنا أن الإنس والجن لن تجرؤ على افتراء الكذب على الله فصدقنا ، ولكننا حين سمعنا القرآن علمنا أن أقوال إبليس كلها كانت كاذبة.
- ❖ وإننا نرى أن بعض الإنس كانوا يستعيذون في القفار ببعض الجن أو يطلبون النجاة والعون ، فزادوا رجال الجن طغياناً وغياً وكبراً وعتواً.
- عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزير هذا الوادي ، فزادهم ذلك إثماً . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]
- ❖ وإن الإنس بني آدم الكفار ظنوا كما ظنتم أيها الجن أن لا يبعث الله بعد هذه المدة رسولا يدعو إلى التوحيد والإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.
- إن مثل هذه الطائفة من الأخبار عن الجن تضمنت أصل العقيدة :
 - أولها الإيمان بالقرآن ومواعظه الهادية إلى أرشد الأمور.
 - والإيمان بوحدانية الله وتنزيهه عن الشرك وعن اتخاذ صاحبة والولد.
 - معلومات عن إبليس والجن قبل إسلامهم من الكذب وتجاوز الحد في الظلم.
 - معلومات عن الإنس السذج والذين كانوا يستعيذون ببعض الجن في القفار والوديان ليحموهم من أشرار الجن.

– وكيف يصدر الكذب عن بعض الإنس والجن في اتخاذ الله صاحبة وولداً
– وظنّ بعض الإنس والجن أنه لا بعث ولا آخرة ولا جزاء ولا حساب وهذا الضلال
المبين والخطأ الجسيم ، فما على كفار قريش إلا الاعتاظ بصنيع الجن وأن يبادروا إلى
الإيمان كما آمن الجن بالقرآن وبالله وبالرسول.



الإخلاص بعبادة الله وحده

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ الجن: ٢٠ - ٢٤

سبق هذه الآيات: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨) وَأَنَّهُ، لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ، قل يا محمد: أنه أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن، وأن المساجد لله فلا تعبدوا فيها غير الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً.

وعن قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله معبودات أخرى لهم، فأمرنا الله بهذه الآية ان نخلص العبادة لله وحده إذا دخلنا المساجد.

وقال الحسن: المراد بالمساجد كل موضع سُجِدَ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ سِوَاءِ أُعِدَّ لِذَلِكَ أَمْ لَا، إِذْ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ :

❖ عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ لَهَا أَحَدٌ قَبْلِي: ... ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، " [صحيح البخاري - كتاب

[التييم]

- ❖ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ أي : لما قام محمد ﷺ يعبد الله كاد الجن يكونون جماعات بعضها فوق بعض تعجباً مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه قياماً وركوعاً وسجوداً .. إذ رأوا ما لم يروا مثله ولا سمعوا مثل ما سمعوا.
- ❖ وقال الحسن وقتادة : انه لما قام عبد الله بالرسالة يدعوا الله وحده مخالفاً للمشركين في عبادتهم ، كاد الكفار لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون متراكمين جماعات جماعات.
- ❖ قال مقاتل : ان كفار مكة قالوا للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا فأنزل الله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ .
- ثم بين أنه لا يملك من الأمر شيئاً فلا يستطيع هدايتهم ولا جلب الخير لهم فقال : ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ، إن الذي يملك ذلك كله هو الله تعالى وهو القادر عليه وحده.
- وإني لن يعصمني من الله ولن يجيرني أحد ولن أجد من دونه ملتحداً إلا إبلاغ رسالته وإطاعة أوامره فإنه يعينني على ذلك ، أي إني لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته.
- ومن يعص الله فيما أمر ونهى عنه ويكذب برسوله له نار جهنم ما كثرت فيها إلى الأبد.
- ولا يزالون يستضعفون المؤمنين ويستهنئون بهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب سيجدون من هم المستضعفون .. المؤمنون أم المشركون.
- وذلك لأن المشركين لا ناصر لهم وهم اقل عدداً من جنود الله ﷻ كما في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ مريم: ٧٥ .

وقت الساعة قريب أم يجعل له ربي أمداً بعيداً

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۖ عَلِيمُ
الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ لِيُعَلِّمَهُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ
وَآحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۗ ﴾ الجن: ٢٥ - ٢٨

قل لهم يا محمد عندما يسألونك عن الساعة: أن الساعة آتية لا ريب فيها،
ولكن وقتها غير معلوم ولا ندري أقرب أم بعيد.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمر من حديث جبريل عليه السلام حين
سأل رسول الله ﷺ: قال: أخبرني عن الساعة، قال: " ما المسؤول عنها بأعلم بها
من السائل "

وعن أنس قال: كان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية فيسأل رسول الله
ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ وأقيمت الصلاة، فصلى
رسول الله، فلما فرغ من صلاته قال: " أين السائل عن الساعة؟ " قال: أنا يا رسول
الله. قال: " وما أعددت لها؟ " قال: ما أعددت لها من كبير عمل صلاة، ولا صيام،
إلا أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: " المرء مع من أحب " قال أنس: "
فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء ما فرحوا به " [مسند أحمد بن حنبل]

الله سبحانه وتعالى عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه وهذا لا يعلم به أحد إلا من ارتضى من الرسل صلوات الله عليهم فإنه يطلعهم على ما شاء فيه.

ونحو الآية : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ البقرة: ٢٥٥

أي : إنه يسلك من بين يدي من ارتضى من رسله قوم يرصدون كالحرس ومن خلفهم حفظة من الملائكة يحفظونهم من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم حتى يبلغوا ما أوحى به إليهم ، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونهم ولا يضرورهم شيئاً.

عن الضحاك ، ﴿ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ قال كان النبي ﷺ إذا بُعِثَ إليه المَلَكُ بالوحي بُعِثَ معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبه الشيطانُ على صورة الملك . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أُبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي : إنه يحفظ رسله بملائكة ليتمكنوا من أداء الرسالة ويحفظوا ما ينزله إليهم من الوحي .

﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ أي : وهو سبحانه قد أحاط علماً بما عند الرصد من الملائكة وأحصى ما كان وما سيكون فرداً فرداً فهو عالم بجميع الأشياء منفرد بذلك على أتم وجه ، فلا يشاركه في ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم .



قصة موسى عليه السلام مع فرعون طاغية مصر

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ﴾ النازعات: ١٥ - ٢٦

ألم يبلغك يا محمد حديث موسى مع فرعون وقومه وقد أمره الله بالتلطف في القول واللين في الدعوة إلى الحق إقامة للحجة كما جاء في سورة طه: ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه: ٤٤.

فانهج منهجه واسلك طريقه لبلوغ مطلبك كما فاز موسى وانتصر، وكان ذلك فيما ناداه ربه بالوادي المطهر المبارك من طور سيناء في الشام بعد مضي وقت من الليل، اذهب إلى فرعون وعظه فإنه تجاوز الحد في الطغيان وتكبر على الله وكفر به وتجبّر على بني إسرائيل واستعبدهم وذبح أبناءهم واستحيا نساءهم.

ثم طلب إلى موسى أن يلين القول له ليكون ذلك أنجح في الدعوى فقال: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُ ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ أي فقل له: هل ترغب أن تطهر نفسك من الآثام والمعاصي التي انغمست بها وتبتعد عما أنت فيه من عمل السيئات وتخشى الله.

فلما لم يقنع بذلك أراه آيةً ودليلاً يراه بعينه وهو انقلاب العصا حية ، ومع ذلك كذب الداعي وعصى سلطان البرهان وتمرد وجمع السحرة وقال لهم : أنا ربكم الأعلى فلا سلطان عليّ وبقي على ذلك الكفر وتلك المعصية حتى تبع موسى وقومه إلى البحر الأحمر (بحر القلزم) عند خروجهم من مصر فأغرق فيه هو وجنوده وإلى ذلك أشار الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ أي فنكل الله به ولم يكن ذلك في الدنيا ، بل عذبه في الآخرة في جهنم وبئس المصير .

إن فيما ذكر لموعظة لمن له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد .. وهذه للاتعاظ .



سورة الكافرون ((المقشقة))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴾ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ ٢ ﴾ وَلَا أَنْتُمْ

عَبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ ٣ ﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿ ٤ ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ

﴿ ٥ ﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿ ٦ ﴾ الكافرون: ١ - ٦

روى البيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : " كانت ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴾ تسمى المقشقة ، أي أنها تبرئ من الشرك ، ويقال : قشقت البعير إذا رمى بجرته " ... وروي أنها : " نزلت في رهط من قريش ، قالوا : يا محمد ، هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك ، قال : " مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرِهِ " فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴾ إلى آخر السورة ، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش ، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة ، فأيسوا منه عند ذلك . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قل أيها الرسول لقومك القرشيين : يا أيها الكافرون لا أعبد على الإطلاق ما تعبدون من الأصنام والأوثان.

ولن أفعل ذلك في المستقبل ، ولا أعبد عبادتكم ولا أسلكها ولا أقتدي بها ..
وإنما أنا عبد الله ربي وحده وأنتم لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل اخترتم
شيئاً من تلقاء أنفسكم.

وقى الآيات تكرر والغرض منها التأكيد لقطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم
رسول الله ﷺ إلى ما سألوهُ من عبادة آلهتهم ، فدينكم هو الإِشراك بالله وديني هو
التوحيد.

ونظير هذه الآية : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي
عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٤١.



سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤

أخرج الإمام احمد والترمذي والبيهقي ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه : إن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : " يا محمد انسب لنا ربك " فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة ..

وقال قتادة والضحاك ومقاتل : جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : صف لنا ربك ، فإن الله أنزل نعته في التوراة ، فأخبرنا من أي شيء هو ، ومن أي جنس هو ، أذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهل يأكل ويشرب ، وممن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة .

قل يا محمد لمن سألك عن صفة ربك : الله هو الواحد المنزه عن التركيب والتعدد ، لأن التعدد في الذات مستلزم لافتقار المجموع إلى تلك الأجزاء والله لا يفتقر إلى شيء .

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ : أي : هو الله الذي يقصده العباد ويتوجهون إليه لقضاء حاجاتهم دون واسطة أو شفيع ، وبهذا أبطل عقيدة مشركي العرب الذين يعتقدون بالوسائط والشفاء وعقيدة غيرهم في الأديان الأخرى الذين يعتقدون بأن لرؤسائهم

منزلة عند ربهم ينالون بها التوسط لغيرهم من نيل مبتغاهم فيلجأون إليهم أحياءً وأمواتاً ويقومون عند قبورهم خاضعين خاشعين كخشية الله أو أشد خشية.

﴿ لَمْ يَكِلِدْ ﴾ أي : تنزه ربنا عن أن يكون له ولد ، وفي هذا ردّ لمزاعم مشركي العرب الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ولمزاعم النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، حيث قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ ١٥٠ ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ ١٥١ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ١٥٢ ﴾ الصافات: ١٤٩-١٥٢ .

﴿ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴾ لأن ذلك يقتضي مجانسته لسواه تنزه ربنا عن ذلك .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي : ليس له ندّ ولا مماثل ، وفي هذا نفي لما يعتقد بعض المبطلين من أن لله ندّاً في أفعاله كما ذهب إلى ذلك مشركو العرب حيث جعلوا الملائكة شركاء لله .

إن هذه السورة تضمنت نفي الشرك كله وجميع أنواعه .



سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا

وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا

حَسَدَ ﴿٥﴾ الفلق: ١ - ٥

قل يا محمد : أستعيز برب المخلوقات ومبدع الكائنات ، والفلق : شق الشيء وفصل بعضه من بعض . نقول فلقت الشيء فانفلق ، كما قال تعالى : ﴿ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى ﴾ الأنعام: ٩٥ والشيء المفلق يسمى فلَقًا والمراد به كل ما يفلقه الله كالأرض التي تنفلق عن النبات والجبال التي تنفلق عن عيون الماء ، والسحاب التي تنفلق عن ماء الأمطار والأرحام التي تنفلق عن الأولاد .

﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي : من شر الليل إذا دخل وغمر كل شيء بظلامه والليل إذا كان على تلك الحال كان مخلوقًا باعثًا على الرهبة إلى انه ستار يختفي في ظلامه ذوو الاجرام إذا قصدوك بالاذى إلى انه عون لأعدائك عليك .

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ أي ومن شر الناس الذين يقطعون روابط المحبة ويبددون شمل المودة ، وقد شبه عملهم بالنفث وشبهت روابط الوداد بالعقدة والعرب تسمي الارتباط الوثيق بين شيئين عقدة ، كما سمي الارتباط بين الزوجين (عقدة النكاح) .

فالنميمة تحول ما بين الصديقين من محبة بالوسائل الخفية التي تشبه أن تكون ضرباً من السحر ، ويصعب الاحتياط والتحفظ منها ، فالنمام يأتي لك بكلام يشبه الصدق ، فيصعب عليك تكذيبه كما يفعل الساحر المشعوذ إذا أراد أن يحل عقدة المحبة بين المرء وزوجه ، أن يقول كلاماً ويعقد عقدة وينفث فيها ثم يحلها إبهاماً للعامّة إن هذا حل للعقدة التي بين الزوجين .

عن عائشة ، رضي الله عنها قالت : سَحَرَ رسولُ الله ﷺ رجلٌ من بني زُرَيْقٍ ، يُقَالُ له لَيْبِدُ بنُ الأَعْصَمِ ، حتى كان رسولُ الله ﷺ يُخَيِّلُ إليه أنه كان يفعلُ الشيءَ وما فَعَلَهُ ، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ أو ذاتَ ليلةٍ وهو عندي ، لَكَنَّهُ دعا ودعا ، ثم قالَ : " يا عائشةُ ، أشعرتِ أن الله أفناني فيما استفتيتُهُ فيه ، أتاني رجلانِ ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخرَ عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجعُ الرَّجُلِ ؟ فقال : مطبوبٌ (مسحورٌ) ، قال : من طَبَّهُ (سَحَرَهُ) ؟ قال : لَيْبِدُ بنُ الأَعْصَمِ ، قال : في أي شيءٍ ؟ قال : في مُشَطِّ ومُشَاطَةٍ (ما يتساقط من شعر الرأس أو اللحية عند تسريحه) ، وَجُفِّ (قشر) طَلَعِ نَخْلَةَ ذَكْرٍ . قال : وأين هو ؟ قال : في بئرِ ذَرَوَانَ " فأناها رسولُ الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه ، فجاء فقال : " يا عائشةُ ، كأن ماءها نُقَاعَةُ الحِئَاءِ ، أو كأن رُءوسَ نَخْلِها رُءوسُ الشياطينِ " قلتُ : يا رسول الله : أفلا استخرَجْتَهُ ؟ قال : " قد عافاني الله ، فكِرِهْتُ أن أُثَوِّرَ على الناسِ فيه شراً " ، فأمر بها فدُفِنَتْ [صحيح البخاري - كتاب الطب] وجاء في أسباب النزول للواحيدي : " بعث ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر ، فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف ، فإذا مشاطة رأسه وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقد فيه أحد عشر عقدة مغروزة بالإبر ، فأنزل الله تعالى المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة " .

والذي يجب اعتقاده إن القرآن المتواتر ينفي السحر عنه عليه الصلاة والسلام حيث نسب القول بإثبات حصوله له إلى المشركين ووبخهم على ذلك.

وعصمة الأنبياء عقيدة لا يؤخذ بها إلا باليقين ، ونفي السحر عنه ﷺ لا يستلزم نفي السحر مطلقاً فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون ولكن من المحال أن يصيبه ﷺ لأن الله عصمه منه : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ المائدة: ٦٧ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر: ٩٥ .

إلا أن هذه السورة مكية في قول عطاء والحسن وجابر وما قيل عن السحر إنما وقع في المدينة.

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ أي : نستعيذ بك ربنا من شر الحاسد إذا حسد بالسعي والجد على إزالة نعمة من يحسده فهو يعمل الحيلة وينصب شباكه لإيقاع المحسود في الضرر بأدق الوسائل ، ولا يمكن إرضاءه ولا في الاستطاعة الوقوف على ما يدبره فهو لا يرضى إلا بزوال النعمة ، وليس في اليد دفع كيده ورد عواذيه فلم يبق إلا الاستعانة بالله عليه فهو القادر على رد كيده ودفع أذاه وإحباط سعيه.

هذه السورة رقية تفيد كل إنسان لوقايته من الشرور وحفظه من السوء وتخلصه من الحسد والسحر والعين وغير ذلك والله على كل شيء قدير.



سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ الناس: ١ - ٦

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يستعين برب الناس ، مربيهم وخالقهم ملك الناس أي مالكهم ومدبر أمورهم ، وواقع الشرائع والأحكام فيها سعادتهم في معاشهم ومعادهم .

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ المستولي على قلوبهم بعظمته وهم لا يحيطون بكنه سلطانه بل يخضعون بما يحيط منها بنواحي قلوبهم .

وإنما قدّم الربوبية لأنها من أوائل نعم الله على عباده ، ثم ثنى بذكر الملك لأن العبد إنما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلاً مفكراً ، ثم ثلث بذكر الألوهية لأن المرء بعد يدرك ويعقل بعلم انه هو المستوجب للخضوع والعزة والمستحق للعبادة .

(رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس) وهو رب كل شيء ومالك كل شيء وإله كل شيء ، ليس هناك معبود سواه ولا شريك له في الملك .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) التوبة: ٣١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٠) آل عمران: ٨٠ ... سبحانه وتعالى يذكر الناس بأنه هو ربهم وملكهم وإلههم .

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ أي : ألتجأ إليك رب الخلق وإلههم ومعبودهم أن تنجيننا من شر الشيطان الموسوس الكثير الخنس لأنه يأتي من ناحية الباطل فلا يستطيع مقاومة الحق إذا صدمه ولكنه يذهب بالنفس إلى أسوء مصير إذا انجرت مع وسوسته وانسأقت معه إلى تحقيق ما خطر بالبال .

﴿ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿ أي : إن هذا الوسواس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ الأنعام: ١١٢

فشيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى ، وشيطان الإنس كذلك فكثيراً ما يريك انه ناصح شقيق ، فإذا زجرته خنس وترك هذه الوسوسة وإذا أصغيت إلى كلامه استرسل واستمر في حديثه وبالغ فيه .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل ، أو تكلم به " [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

وينبغي أن تدرك أن وسوسة الشيطان ليست قهرية وإنما بسبب استجابة الإنسان واختياره لها فهو يختار الإصغاء لوسوسة الشيطان وقد يحذر عدواتهم ووسوستهم ثم جاء في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ الإسراء: ٦٥

وتذكر الله يفيد التبصر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١ .



اللهم اجعلنا من المخلصين في أعمالنا ... وأبعدنا عن الشر
وأبعد الشر عنا ... وادفع عنا وسوسة الجن والإنس ... وآجرنا من
نار جهنم ... واستر علينا ولا تفضحنا يوم العرض يا ربنا
وأدخلنا الجنة برحمتك وجودك وكرمك
يا أرحم الراحمين ...

وصلى الله على سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه
الطيبين الأطهار

الخاتمة

قال الله تعالى في سورة إبراهيم : ٣١

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴾

اللهم أجعلنا ممن يستمعون القول ويتبعون أحسنه

شكري وتقديري لأختي في الله (آمال إبراهيم سليمان) على مساعدتي في

الكتابة على الحاسبة .. والتي نالت حظاً مباركاً معي في الكتابة إن شاء الله .

جزاها الله خيراً عني وعن المسلمين كافة

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.
- ٣- تفسير المراغي / أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير - أحمد مصطفى المراغي - رحمه الله
- ٤- الجامع لأحكام القرآن / تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق: عبد الرزاق مهدي.
- ٥- صفوة التفاسير / تأليف العلامة محمد علي الصّابوني.
- ٦- التفسير الواضح الميسر / للشيخ محمد علي الصّابوني.
- ٧- التفسير الوسيط / أ.د. وهبه الزحيلي.
- ٨- التفسير الموضوعي للحافظ المتقن مع أسباب النزول وشرح المفردات بهامش القرآن الكريم.
- ٩- مختصر تفسير الطبري / يحيى محمد بن حمادج النجيب المتوفي سنة (٤١٩هـ).
- ١٠- تفسير الإمامين الجليلين / العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، والحبر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ١١- زبدة التفاسير / لفضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي، أعدّه وعلق عليه وقدم له / عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي.

- ١٢- تفسير القرآن الكريم - أولى ما قيل في آيات التنزيل / تأليف رشيد الخطيب الموصلي.
- ١٣- تفسير ابن أبي حاتم.
- ١٤- أسباب التنزيل للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفي سنة (٤٦٨ هـ).
- ١٥- الصحيح البخاري / للعلامة المدقق أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه وأرضاه.
- ١٦- صحيح مسلم / أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري بشرح النووي - الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف.
- ١٧- مسند أحمد بن حنبل.
- ١٨- السنن الكبرى للبيهقي.
- ١٩- السنن الكبرى للنسائي.
- ٢٠- سنن أبي داود / للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي - ضبط الأحاديث وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد.
- ٢١- سنن ابن ماجه / الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥ هـ) - حقق نصوصه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٢- سنن الترمذي الجامع الصحيح / للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - حققه وصححه عبد الوهاب اللطيف.

- ٢٣- دلائل النبوة للبيهقي.
- ٢٤- المستدرک علی الصحیحین للحاکم.
- ٢٥- معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني.
- ٢٦- المناسك لابن أبي عروبة.
- ٢٧- المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني في ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني.
- ٢٨- لطائف قرآنية / صلاح الخالدي.
- ٢٩- شعب الإيمان للبيهقي.
- ٣٠- المعجم الأوسط للطبراني.
- ٣١- المطالب العالية للحافظ بن حجر العسقلاني.
- ٣٢- دلائل النبوة لأبي سعيد الأصبهاني.
- ٣٣- مصنف ابن أبي شيبة.

السَّيِّئَةُ الْعَوْرِيَّةُ

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤٧	حكم الخمر والقمار وبيان مضارهما	١٧	القول بلا علم / هو كفر صريح
٤٩	أوجه إنفاق المال	٢٠	موقف اليهود من القرآن والأنبياء
٥١	الولاية على مال اليتيم	٢٢	إن كانت الآخرة لكم؟؟
٥٣	أحكام الحيض	٢٤	من كان عدواً لجبريل فإنه عدو لله !!
٥٥	سَتَغْلِبُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِي الدُّنْيَا وَتُحْشَرُونَ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٢٨	زعم اليهود وأمانتهم
٥٧	خير من حب الدنيا	٣٠	من عرف الحق فإله وليه وناصره
٥٩	الإسلام دين الحق	٣٢	صبغة الله (شريعته وسنته وفطرته)
٦٠	الله مالك الملك	٣٥	الشبهات التي تعترض سبيل الحق
٦٣	الله عالمٌ بخفايا الأمور	٣٧	الاعتراض على تحويل القبلة
٦٥	الطاعة والمحبة لله ولرسوله	٤١	الشهور القمرية
٦٧	آية المباهلة .. الابتهاال إلى الله	٤٣	الإنفاق في سبيل الله
٦٩	جميع الأمم على ملة التوحيد	٤٥	القتال في الأشهر الحرم

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٠١	ماذا أحل الله	٧١	التلاعب بالدين
١٠٤	ادعاءت الكفار	٧٣	الإيمان بجميع الأنبياء
١٠٧	من أوصاف اليهود الذميمة	٧٥	إدعاء تحريم ما لم يحرمه الله
١٠٩	أيها اليهود والنصارى لستم على شيء من الحق والصدق	٧٧	صدق الله .. مكانة البيت الحرام
١١١	الفساد والانحراف عن الدين	٨٠	عتاب لأهل الكتاب عن عدم إيمانهم بالقرآن
١١٣	الخبيث والطيب	٨٢	النهي عن اتخاذ الأعداء بطانة
١١٤	تكذيب الكفار بالرسالة .. والرد عليهم	٨٤	إن الأمر كله لله
١١٦	لمن هذا الكون والوجود وما فيه؟؟	٨٦	الأخذ بالأسباب وتصحيح الأخطاء
١١٨	الله ولينا	٨٩	من مفتريات اليهود
١٢١	أصدق الشهود	٩١	احتكام المنافقين إلى الطاغوت
١٢٤	لو شاء الله لجمع الناس على الهدى	٩٣	أحوال المتخلفين عن واجب الجهاد
١٢٥	الدعاء من الله تعالى في الشدة والرخاء	٩٧	رعاية المرأة واليتامى
١٢٧	إذا سلبكم الله نعمة السمع والبصر والفؤاد فمن يردها؟	٩٩	ميراث الكلاله أو الاخوة

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٥٥	الوصايا العشر	١٢٨	النبي لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الأرزاق
١٥٩	سارعوا إلى الإيمان لتنالوا المغفرة	١٣٠	الإنسان مرهون برحمة الله وفضله
١٦١	اتباع ملة إبراهيم عليه السلام	١٣٢	جاهر النبي بعبادة قومه الله الواحد الأحد
١٦٢	ربنا هو رب كل شيء	١٣٤	الله المنجّي من الشدائد
١٦٤	تشريع الله (العدل والاستقامة)	١٣٧	أصبح أن نعبد الأصنام بعد الهدى فنردّ على أعقابنا؟؟
١٦٦	إباحة الطيبات والزينة	١٣٩	اتباع طريق الأنبياء
١٦٨	أصول المحرمات المضارة بالفرد والجماعة	١٤١	أظهر ظاهرة الوحي للأنبياء
١٧١	رسول الله إلى الناس كافة	١٤٣	ما كان لرسول الله أن يأتي بأية إلا بإذن الله
١٧٣	آيات يوم القيامة؟؟	١٤٥	إنذار لكفار قريش
١٧٥	لا يستطيع الرسول دفع الضرر أو جلب النفع إلا بمشيئة الله	١٤٦	التشريع الباطل للمشركين
١٧٦	حقيقة المعبودات من دون الله	١٤٨	مقارنة بين المحرمات في شريعتنا وشريعة اليهود
١٧٨	وسوسة الشياطين للكفار	١٥١	المحرمات وأسباب التحريم
١٧٩	حكم الأنفال (الغنائم الحربية)	١٥٣	لله الحجة البالغة وهي القرآن الكريم

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢١٢	انتظروا حكم الله تعالى	١٨٢	العفو عن السيئات السابقة
٢١٤	قل الله أسرع مكرأ	١٨٤	أحكام الأسرى
٢١٦	الحجة في وحدانية الله	١٨٧	إيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيله
٢١٨	يوم البعث يوم القيامة	١٨٩	قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا
٢٢٠	القرآن وحي من عند الله تعالى	١٩١	عدم قبول نفقات المنافقين
٢٢٢	موقف مشركي مكة من القرآن والنبى	١٩٣	الذين يؤذون النبى
٢٢٤	مطالبة المشركين بتحديد وقت العذاب	١٩٥	إحساس المنافقين بنفاقهم
٢٢٨	القرآن شفاء للنفوس	١٩٨	المتخلفون عن الجهاد
٢٣٠	الافتراءات الكاذبة	٢٠٠	معاملة المنافقين
٢٣١	النظر والتفكر	٢٠٢	اعتذار المتخلفين عن الجهاد
٢٣٣	أقم وجهك للدين	٢٠٤	يومئذ تعرضون على الله
٢٣٥	تحدي العرب بالقرآن	٢٠٥	حسبنا الله ونعم الوكيل أقرب عهداً بالله تعالى
٢٣٦	جدال الكفار وضلالهم	٢٠٨	تكذيب المشركين بكتاب الله والإشراك بالله وزيارة الأضرحة

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٦١	بر الوالدين والدعاء لهما	٢٣٧	الإسلام دين الحق
٢٦٣	الانفاق على القرابة	٢٣٩	وما ربك بغافل عما تعملون
٢٦٥	الله واحد لا شريك له	٢٤١	دعوة الإسلام والشريعة الإلهية
٢٦٧	الوعيد .. وتسلية الرسول ﷺ	٢٤٣	الله رب السموات والأرض
٢٦٩	وجادلهم بالتى هي أحسن	٢٤٥	إلا بذكر الله تطمئن القلوب
٢٧١	الذين يعبدون الأوثان	٢٤٧	محمد رسول الله
٢٧٣	دعاء النبي ﷺ	٢٤٩	((قل سَمُّوْهُمْ))
٢٧٤	الشاكر والكافر .. كل يعمل على طريقته	٢٥١	موقف أهل الكتاب من القرآن الكريم
٢٧٥	الروح من أمر الله	٢٥٣	منكري نبوة محمد ﷺ
٢٧٧	معجزة النبي الخالدة	٢٥٤	مصير الكافرين النار
٢٧٩	طلب المشركين آيات تعجيزية	٢٥٦	النصح والإرشاد للمؤمنين
٢٨١	الرسل من البشر	٢٥٨	النذير المبين
٢٨٣	البخل علامة المنافق	٢٥٩	نزله روح القدس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣١٤	لا حفظ لنا إلا برحمته	٢٨٤	الإيمان بالقرآن العظيم
٣١٦	إنذار بالوحي لمن أعمى الله بصيرته وختم على سمعه وبصره	٢٨٦	الدعاء بأسماء الله الحسنى
٣١٨	ألهكم الله واحد	٢٩٠	رد العلم إلى الله تعالى .. وإقران المشيئة بعلام الغيوب
٣٢٠	الرسول نذير مبين	٢٩٣	مدة نوم أهل الكهف
٣٢١	اختلاف المناسك بين الأمم	٢٩٥	فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر
٣٢٣	النار .. وعدها الله الذين كفروا	٢٩٧	قصة ذي القرنين
٣٢٤	تطهير الأرض من دنس الشرك والضلal	٣٠٠	جزاء الكفر بآيات الله
٣٢٦	اعترافات الكفار لله بالربوبية وإشراك معه غيره في الألوهية	٣٠٢	علم ربي واسع .. لا يحيط به أحد
٣٢٨	اللهم لا تجعلنا مع القوم الظالمين	٣٠٣	النعمة في الدنيا لا تدل على الكرامة عند الله
٣٣٠	غفرانك ربنا وإليك المصير	٣٠٦	تغير نظام الكون يوم القيامة
٣٣٢	غضُّ البصر والحجاب	٣٠٩	طلب زيادة العلم
٣٣٥	الطاعة عند المؤمنين	٣١١	من هو السائر إلى نهج الصواب؟؟
٣٣٧	القرآن الكريم كلام الله المنزَّل على رسوله الأمين	٣١٢	الرد على الوثنية بأن الله واحد أحد لا إله إلا هو

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٦٦	وكفى بالله شهيداً	٣٣٩	جزاء المتقين
٣٦٧	اعتراف المشركين بربوبية الله تعالى وإنه خالق كل شيء	٣٤١	الذي يفرُّ إلى الله أمره عند الله
٣٦٩	التأمل بمصير المفسدين	٣٤٣	الله غني عن عباده
٣٧١	الله الخلق والإيجاد والعلم الشامل والبعث	٣٤٤	أصول الدعوة إلى الله تعالى
٣٧٢	الموت .. والبعث .. والحساب	٣٤٦	أمر الله تعالى نبيه بحمد الله تعالى على نعمه وحاجة الخلق لله تعالى
٣٧٤	يوم البعث لا ريب فيه	٣٥٠	علم الغيب لا يعلمه إلا هو
٣٧٥	لا ينفع الخائن الفرار من الحرب	٣٥٢	عاقبة المجرمين
٣٧٧	بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة. مضاعفة الأحكام لزوجات النبي ﷺ	٣٥٤	عبادة الله .. وتلاوة القرآن
٣٨٠	الحجاب في الإسلام	٣٥٦	إن الله لا يهدي القوم الظالمين
٣٨٣	علم الساعة عند الله	٣٥٨	الحمد لله على نعمه
٣٨٤	الساعة ومصير المكذبين بها	٣٦٠	عودة الرسول إلى مكة يوم الفتح
٣٨٦	الآلهة لا تملك شيئاً ولا تشفع لأحد	٣٦٢	دعوة إبراهيم عليه السلام
٣٨٨	لا نظير لله تعالى ولا ند .. بل هو الواحد الأحد	٣٦٤	المعجزة الباقية وهي ((القرآن الكريم))

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤١٦	إن الله واسع المغفرة	٣٩٠	يوم القيامة حق
٤١٩	العبادة لله وحده	٣٩١	الله يرزق عباده ويحضنهم على التقرب إليه بالإنفاق
٤٢٢	النهي عن عبادة غير الله تعالى	٣٩٤	إن الإسلام علا وسيلو على سائر الأديان
٤٢٤	ألهكم إله واحد	٣٩٦	عظمة الله تعالى
٤٢٦	كيف تكفرون بالله؟؟	٣٩٨	سبحان الله الذي بيده ملكوت كل شيء
٤٢٨	الله يُمهّل ولا يُمهّل	٤٠١	جزاء منكري يوم البعث
٤٣١	القرآن الكريم عربي اللسان .. فصيح البيان	٤٠٣	مهمة النبي ﷺ ورسالته
٤٣٣	القرآن الكريم كتاب الله	٤٠٥	القرآن الكريم ذكرٌ للعالمين
٤٣٥	الأنبياء كلهم دعوا إلى دين واحد	٤٠٦	الموازنة بين المؤمن والكافر وقت الابتلاء
٤٣٧	بشارة المؤمن بالجنة	٤٠٨	نصائح للمؤمنين
٤٣٩	الله واحد لا شريك له	٤١١	مناقشة عبدة الأصنام
٤٤١	الله مالك السموات والأرض وما بينهما	٤١٣	الله الشفاعة جميعاً
٤٤٣	الصبر على أذى الكافرين	٤١٤	إن الحكم إلا لله

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤٧٥	الله الخالق لكل شيء وإليه المرجع والمآب	٤٤٥	يوم القيامة لا ريب فيه
٤٧٧	وجوب الاعتماد على الله في كل حاجة	٤٤٧	الرد على عبدة الأصنام
٤٧٩	أخبار عن الجن	٤٥٠	قول وافتراءات الكفار عن القرآن الكريم
٤٨٢	الإخلاص بعبادة الله وحده	٤٥٣	شاهد من بني إسرائيل
٤٨٤	وقت الساعة قريب أم يجعل له ربي أمداً بعيداً	٤٥٧	المتخلفين عن الحديبية
٤٨٦	قصة موسى <small>عليه السلام</small> مع طاغية مصر	٤٥٩	المخلفون قوم ماديتون يسعون إلى الدنيا فقط
٤٨٨	سورة الكافرون ((المقشقة))	٤٦١	طاعة الله مقرونة بالأجر الحسن
٤٩٠	سورة الإخلاص	٤٦٣	قالت الأعراب
٤٩٢	سورة الفلق	٤٦٥	الاتهامات الواهية من المشركين
٤٩٥	سورة الناس	٤٦٧	الميقات
٤٩٨	الخاتمة	٤٦٨	فتمنوا الموت إن كنتم صادقين
٤٩٩	المصادر	٤٧٠	صلاة الجمعة خير من اللهو ومن التجارة
٥٠٣	الفهرس	٤٧٢	يوم التغابن

البطاقة الشخصية للشيخة الموصلية

ولدت في الموصل الحديباء وتخرجت من معهد إعداد المعلمات وعينت في محافظة الانبار أولى محطات مسيرتي التعليمية التي لم تتوقف بتقاعدي بعد خمس وعشرين سنة من الخدمة في مجال التعليم .

وأحظى بحياة أسرية مستقرة ولي ولدان وثلاث بنات ، بدأت بتدريس التربية الإسلامية بعد دورات تلقيت فيها أحكام التلاوة ، فأصبح شغلي وشاغلي هو ضبط هذه الأحكام وقراءة القرآن الكريم بالصورة التي قرأ بها رسول الله ﷺ من رب العزة ، وقد كنت استعين بجهاز التسجيل لتسجيل المقرر على الطلبة من القرآن الكريم على كاسيتات يستمع إليها الطلبة ثلاث مرات ، وقد سر مشرفوا التربية الإسلامية بهذا العمل وأخص منهم بالذكر الشيخ المرحوم (يونس إبراهيم الطائي) الذي كلفني مرات عديدة بإلقاء دروس تدريبية للمعلمين والمعلمات ، وكذلك الأستاذ الفاضل (ضرار جاسم محمد) المشرف التربوي والاختصاصي للتربية الإسلامية الذي كنت أعتد عليه في انتقاء مواضيع الوسائل التعليمية والنشرات الخاصة بالمدارس .. ويشجعني على عمل المعارض الإسلامية ، فكان سنداً وأخاً عزيزاً ، وكانت الوسيلة العلمية والنشرة المدرسية تحوز على المرتبة الأولى بين المدارس المشاركة في نينوى كانت أم في بغداد .

قيل لي انك امرأة متعددة المواهب ؟

نعم ... كان من المهم بالنسبة لي أن أتمكن من التأثير في بناتي وأبنائي الطلبة وأتمكن وأمكن نفسي دون الحاجة إلى غيري من التمكين ، فأنا ماهرة في الخياطة والتطريز ، دخلت دورة لتعليم السيراميك والنقش على الجلود وطرق المعادن وكانت مدة الدورة أربعة شهور ، حصلت فيها على تقدير متميز بتشجيع من مشرفي التربية الفنية ، وأقامت عدة معارض فنية في التطريز والزخرفة والسيراميك في عدد من مدارس

مدينة الحدياء واجتهدت في توظيف تلك الفنون إسلامياً في تلك الفترة وما بعدها بما تحتويه اللوحات الخطية والزخارف والرسوم من معلومات دينية وآيات قرآنية وأحاديث شريفة... منها معرض (الأخلاق الإسلامية) ومعرض (قصص الأنبياء في القرآن الكريم) ومعرض (الله خالق كل شيء) وكذلك معرض خاص بالرحلات التاريخية (الحج إلى بيت الله الحرام) ومعرض (مساجد الموصل وجوامعها) وقد أعلن عنها في حينها في العديد من الصحف والمجلات منها جريدة الحدياء وفتى العراق وومضات جامعية ومجلة العلا .

إلى أن من الله عليّ بمتابعة برنامج (كيف نقرأ القرآن) الذي يقدمه الدكتور أيمن رشدي سويد على قناة اقرأ الفضائية ، كنت أدون المعلومات وأراجعها وعرضت تلاوتي على الشيخ الدكتور أيمن ، وكنت أول متصل من العراق بهذا البرنامج ، فأثنى على قراءتي وأصبح القرآن ملازمًا لي في كل تفاصيل حياتي .. استحضر في قلبي وذاكرتي قول الله عز وجل ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وحاولت وما أزال أن استكمل معلوماتي في هذا الباب الواسع من أبواب العلم يحدوني في ذلك قول رسول الله ﷺ ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) أحفظ القرآن فجزاً عملاً بقوله تعالى : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ .

قرأت على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي . أطال الله في عمره . فأجازني بقراءة حفص عن عاصم في السادس من جمادي الثاني ١٤٢٤ هـ ، وأكملت قراءة شعبة الراوي الأول عن عاصم وقرأت بالرواية على الدكتور الشيخ بشير شكر حنون فأجازني بقراءة حفص وشعبة... أقبلت بعدها على إعطاء دروس أحكام التلاوة في جوامع الموصل ، وكان لي من الطالبات في كل جامع ما يزيد على خمسين طالبة ، أجزت عدداً منهن حفظاً وقراءة .

أما عن القراءات السبع والعشر؟

بدأت بدراستها في محرم ١٤٢٦ هـ وقرأت على الشيخ محمد نوري المشهداني فأكملت أمامه قراءة الجمع الصغير، وبدأت بقراءة الجمع الكبير إلى الآية: ٢١٩ من سورة البقرة إلا أن الأوضاع الأمنية وصعوبة الانتقال من ساحل إلى آخر مما حال بيني وبين إكمال قراءتي على الشيخ المشهداني فأكملت قراءة الجمع الكبير للائمة السبعة على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي، وختمت القرآن والتكبيرات يوم الأربعاء ١٤ شوال ١٤٢٦ هـ، ثم أكملت القراءات العشر الصغرى والكبرى... والشيخ الصوفي هو الذي لقبني بـ (درة النساء) وقد حاولت تذليل ما اعترضني من الصعوبات بعد أن حملت هذه الأمانة العلمية أمام طالباتي.

إن علم القراءات من أشرف العلوم لصلته بكتاب الله عز وجل، السراج الذي لا يخبو توقده.. والبحر الذي لا يدرك قعره.. الحمد لله ان جعلني من ورثة القرآن الكريم وقد جاء في الحديث القدسي ((من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)) .

ومن فضل الله عليّ كلفت حسبة لوجه الله تعالى بإدارة ثانوية السيدة عائشة أم المؤمنين الإسلامية للبنات وإدارة مركز خديجة الكبرى لإقراء وتحفيظ القرآن الكريم بفرعيه الأول والثاني.

إصدارات الشيخة الموصلية (أم نصير)

﴿ وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقِّ نَزَلَ ﴾

سلسلة أحكام التلاوة بثلاثة أجزاء .

- ١ . أحكام التلاوة للمرحلة التمهيديّة برواية حفص عن عاصم .
- ٢ . تنبيهات خاصة للمرحلة التطويرية .
- ٣ . أحكام التلاوة من قناة اقرأ الفضائية .
- ٤ . رواية شعبة / الراوي الأول لعاصم بن أبي النجود من طريق الشاطبية .
- ٥ . كيف وقف الإمام حمزة على الكلمات المهموزة في القرآن الكريم .
- ٦ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة أبي عمرو البصري وبروايتي الدوري والسوسي من طريق الشاطبية .
- ٧ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام نافع المدني بروايتي قالون وورش من طريق الشاطبية .
- ٨ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام حمزة بروايتي خلف وخلاد من طريق الشاطبية .
- ٩ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن كثير المكي بروايتي البزي وقنبل من طريق الشاطبية .
- ١٠ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن عامر الدمشقي بروايتي هشام وابن ذكوان من طريق الشاطبية .
- ١١ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام الكسائي بروايتي أبو الحارث والدوري من طريق الشاطبية .

- ١٢ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام عاصم ابن أبي النجود الكوفي بروايتي شعبة وحفص ابن سليمان من طريق الشاطبية .
- ١٣ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع بروايتي ابن وردان وابن جَمَّاز من طريق الدرّة .
- ١٤ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام يعقوب البصري بروايتي رويس ورواح من طريق الدرّة .
- ١٥ . القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام خلف بن هشام (العاشر) بروايتي إسحاق وإدريس من طريق الدرّة .
- ١٦ . كتاب (فالتمسوا نوراً) آيات التشريع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيات أخلاق وقيم مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الواردة في شأنها .
- ١٧ . كتاب (قل - وقل - فقل) الآيات المبتدئة بهذه الكلمات مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها مدعمة بالأحاديث الصحيحة .
- ١٨ . كتاب (يا أيها الذين آمنوا) الآيات المبتدئة بهذه التسمية مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الصحيحة التي وردت في تفسيرها .
- ١٩ . كتاب (اللآلئ الكاسيات) رسالة تذكرة إلى المرأة المسلمة .
- ٢٠ . قصص الحيوان في القرآن / شرح وتفسير أسباب نزول مع الإعجاز العلمي وآيات الله في الحيوان .